گلشن خلفا

تأليف نظمي زاده مرتضي افندى

نقله الى العربية

موسى كاظم نورس

عضو جمعية المؤلفين والكتاب

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

مطبعة الآداب





تأليف نظمي زاده مرتضي افندي

نقله الى العربية

موسى كاظم نورس

عضو جمعية المؤلفين والكتاب

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

الإهداء

الى احبائي واشياخي

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرتُ اياماً تقضتْ بقربهم
فاوقدَ نارَ الوجد في قلبيَ الذكرُ

وصرتُ اناجيهم على البعدِ كلما
بدا كوكبٌ او كلما طلَعَ الفجرُ

وكانت بهم تزهو الديار فاقفرت
غداةَ نأَوا عنها وغيرها الدهرُ

فلا عجبٌ للعين إن سح دمعُها
ولا عجبٌ للقلب ان خانه الصبرُ

ولا يُرتَجى منهم لقاءٌ وعودةٌ
ولكنَ يوماً سوف يجمعنا الحشرُ

موسى كاظم نورس



مقدمة المترجم

الحمد لله الذي خلقنا شعوباً وقبائل ليتعرف بعضنا على بعض ، في مشارق الارض ومغاربها ، وليتعظ الخلف باعمال السلف ، فيأخذ النافع وينبذ الضار من سلوكهم وتصرفاتهم ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء ، المرسل الى الناس كافـة بالدين القويم والصراط المستقيم محمد بن عبد الله وآله وصحبه الطيبين .

اما بعد فان من الكتب التاريخية المطمورة كتابا يسمى (كلشن خلفا) ألفه باللغة العثمانية التركية مرتضى افندي نظمي زاده ، او مرتضى السيد علي نظمي ، وهو رجل ولد في بغداد ثم هاجر منها مع اغلب الاتراك حينما استولى عليهـا الشاه عباس الصفوي ، وقد توفي في الاستانة سنة ١١٣٦هـ ، وحول هذا الرجل كلام طويل يجـده الباحث بصورة تفصيلية في كتـاب (مباحث عراقية) ليعقوب سركيس ، وان كتابه كلشن خلفا هذا اى روضة الخلفاء طبع في الاستانة سنة ١١٤٣ هـ وتناول فيه معلومات ثمينة عن العالم الاسلامي بصورة عامة ، والعراق الحديث بصورة خاصة لانه من رجال القرن الثانى عشر للهجرة وكان شاهد عيان للحوادث التي وقعت في العراق ولم يترجم الى اللغة العربية حتى يومنا هذا لصعوبة اللغة التي كتب بها .

وقد وجدنا نسخة منه في مكتبة المتحف العراقي غير كاملة اذ فقدت

منها بعض الاوراق من اولها ومن آخرها ، وعلى تلك النسخة وجدت تعليقات كثيرة مذيلة بتوقيع يعقوب سركيس بعضها باللغة العربية وبعضها بالافرنسية واللاتينية ، يقول في احداها تعليقاً على ما جاء في ص /٧٩ « ان النسخة المخطوطة الموجودة بحوزتي فيها بقية من كلام » .

ونحن لا نميل الى الاعتقاد بان النسخة التي يشير اليها هي النسخة الاصلية لأن الكتاب كما بينا انفا قد طبع في الاستانة قبل حوالي الثلاثة قرون وليس من المعقول ان تتداول الايدي نسخته الخطية حتى تصل الى يد المرحوم يعقوب سركيس في العراق . واذا لم تكن هي النسخة الأصلية فلا يعتد بها وبزيادتها اذ لعل تلك الزيادة من عمل الناسخ وقعت سهواً بتكرار كتابة بعض الجمل كما يقع من قبل الناسخين في اكثر الاحيان . ثم ان ما كان يطبع في الاستانة في ذلك الزمان كان يعتني به ولا يطبع إلا بعد التدقيق والمقابلة من قبل الجهات الرسمية المختصة ، فالنسخ المطبوعة من هذا الكتاب اذن ينبغي ان تكون هي المعول عليها ، بيد انا حاولنا ان نعثر على تلك النسخة الخطية فلم نوفق كما لم نوفق في الحصول على نسخة مطبوعة اخرى كاملة لترجمتها .

وقد تفضل المجمع العلمي العراقي مشكوراً بتصوير النسخة المحفوظة في مكتبة المركز الوطني لحفظ الوثائق ووضعها تحت تصرفنا لسهولة الترجمة كما واقترح الدكتور الفاضل يوسف عز الدين الامين العام للمجمع العلمي العراقي بترجمتها غير ان التصوير لم يخرج واضحاً ، وأخيراً هيأ الله لنا نسخة كاملة

وهي نسخة معهد الدراسات الاسلامية العليا بجامعـة بغداد المرقمة ١٠٣١٢ وعليها اعتمدنا في ترجمة هذا الكتاب .

ان هذا الكتاب والكتابين الذين ترجمناهما قبله وهما (دوحة الوزراء) و (تاريخ بغداد) بعضها يتمم بعضاً وتتسلسل الحوادث في هذه الكتب الثلاثة من نهاية الدولة الاموية الى ما بعد حكم المماليك وانجلت بها ما كان المؤرخون يسمونها بالفترة المظلمة .

ذلك لأن كتاب (دوحة الوزراء) يبدأ من حيث انتهى به كتاب (كلشن خلفـا) ويتممهما كتاب تاريخ بغداد بشيء من التوضيـح والتفصيل .

ولقد بذلنا مجهوداً كبيراً في ترجمته نعني به كتاب (كلشن خلفا) اذ دونه المؤلف رحمه الله باللغات الثلاث ، الفارسية والعثمانية القديمة والعربية وسبكها سبكاً غريباً مما جعل الوصول الى المعاني المقصودة في غاية الصعوبة كما وانه لم يقم بترجمة ما نقله عن اللغة الفارسية من نثر ونظم الى اللغـة التركية بل تركه على لغتـه . ولما كان طابع الكتاب تركياً لا يفهم اللغة الفارسية فقد كثر في طبعه التصحيف والتحريف والاغلاط الاملائية . ولقد كلفنا بعض الاصدقاء والاساتذة الملمين باللغة الفارسية لترجمتها فتعـذرت عليهم للاسباب الآنفة الذكر .

وبما ان المؤلف قد تركهـا بدون ترجمة فقد حذونا حذوه اضطراراً ونقلناها كما وردت .

وقد استقى المؤلف يرحمه الله الكثير من الحوادث من مصادر متعددة بعضها نادر الوجود ، واكثر من ذكر الامثال بالايرانية نظماً ونثراً بمناسبة وغير مناسبة ، وقد اردنا ان نتجاوزها لان وجودها وعدمها لا يؤثر في صلب الموضوع ، ولأن المؤلف اتى بها على طريقة الامثال والعظات ولكننا اثرنا ان ننقلها كما هي متبوعة بترجمة بعضها لفائدة المتضلعين بتلك اللغة . كما انه دون تاريخه هذا بلغة ادبية راقية وملمعة باللغات الثلاث واكثر من زخرفتها وترصيعها بمصطلحات علوم المعاني والبيان والبديع مما زاده غموضاً وابهاما وعانينا في ترجمته الامرين واضطررنا للاستعانة بالقواميس والمعاجم للوصول الى المعنى المقصود ولم نغادر منه شيئاً .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان الاتراك كان من عادتهم انهم يكتفون بذكر اسم الشخص فقط متبوعاً بالرتبة او الصفة وكثيراً ما تتشابه الاسماء والرتب فيتشاكل التفريق ما بين واحد وآخر ، وقد يكون اسم الابن كأسم أبيه مثل (محمد او غلى محمد) اي محمد بن محمد او يتبعونه بلقب يزيده غموضاً وتنكيراً مثل (صارمي جزمه لي محمد اغا) اي محمد اغا صاحب الحذاء الاصفر . او كما يقول العوام عندنا (فطيمه بسوق الغزل) وفطيمه تصغير فاطمة ، ولما كانت الاعرابيات يكثرن من التسمية باسم فاطمه مصغراً للتحليه فان اضافة (بسوق الغزل) يعتبرنه تفريقا لها عن فطيمة اخرى .

وسيجد القارى الكريم في هـذا الكتاب الكثير من الاسماء المتشابهة الخاصة بالقواد والولاة والحكام وصار من العسير التفريق بينهم مثل مصطفى ومصطفى وبين سليمان وسليمان .

ويلوح لنا ان زعيم تركيا كمال اتاتورك قد امر من اجل هـذا بان يكون لكل شخص لقب يميزه عمن سواه . هذا وان المعلومات التاريخية التي تناولها الكتاب تبدأ من سنة ١٢٧ الى سنة ١١٣٠ هـ وما وقع خلال هذه المدة من الحوادث عن العراق وايران وتركيا ومصر وعموم الشرق وبلاد المغرب ، والله ولي التوفيق .

موسى كاظم نورس

ترجمة كلمة الناشر

على الكتب التي طبعها بمساعدة المشير ابراهيم باشا
صهر السلطـان الغازي أحمـــد خان
ومن تلك الكتب كتاب (كلشن خلفا)

« الحمد لله مبدع الكائنات وموجد الموضوعات ، القدوس الذي ارجو منه السعادة في الدارين ، واستجدي منه العناية والتوفيق ، والذي اعترف بقضائه وقدره » واتبرك بالاية الكريمة ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، وأسأله أن ينور بصيرتي وبصري الكليل . والصلوات الناميات والتحيات التي تفوح بالطيب على جناب خلاصة الموجودات وانقى الكائنات . صاحب الحوض الذي ترد عليه الامة للتبرك بارتشارف زلال فيضه ونيل شفاعته.واهدي عظيم تحياتي الى آله له واصحابه حماة الدين المبين وهدات طريق اليقين ، النجوم الزاهرة، والى الذين اتبعوهم باحسان ، والى المجتهدين اللذين كشفوا عنا ديجور الحيره ،ونفضوا عنا غبار الجهل ، وأناروا بعلومهم بصرنا وبصيرتنا .

اما بعد فان سبب تحرير هذه المقدمة هو انى اردت ان اجعلها تحلية

وتطريزاً للكتب التي طبعتها اقتداء بالكتب السماوية في سرد الحوادث العالمية والقصص المروية التي تبين للسالكين ما وقع للذين تقدموهم من اعمال وافعال حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية والعناية الازلية ، لاحياء السنن الطيبة المفيدة وتجديد ما اندثر منها . . » .

ويخلص من هذا الكلام الى مدح السلطان احمد خان على جارى عادة المؤلفين والناشرين في تلكم الازمان ، ثم ينتقل بعد ذلك الى ذكر كتاب كلشن خلفا فيقول « انه كتاب مستطاب جليل الالقاب لصاحبه البغدادي الاصل المحقق الفاضل نظمى زاده مرتضى الذائع الصيت المؤلف المتجمل بالعلوم والمعارف ، وهو كتاب يتناول معلومات كثيرة حدثت من سنة ١٢٧ هجرية على صاحبها افضل التحية الى سنة ١١٣٠ هـ اي لمدة الف وثلاث سنوات ، وما حدث خلال هذه المدة من وقائع تاريخية تخص العراق وايران والروم والشام ومصر وعموم الشرق ، واحوال الملل والدول الاسلامية وقد جمع اخبار ماحدث من امور عظام فيها ، وابتدأ بتاريخ بعض ملوك بني امية وايامهم ثم زوال ملكهم ثم مجيء احفاد العباس رضي الله عنه واولهم محمد بن علي بن عبدالله بن العباس رضى الله عنهم ، منذ توطنوا في قرية تميمه (الحميمه) من قرى الشام ، وكيف زاودت اولهم فكرة تولى الخلافة وكيف ان عبدالرحمن ابا مسلم راح يبث لهم الدعوة بين الناس ، لاسيما في اقليم خراسان ، وبزوغ كوكب الدولة العباسية حتى زوالها ، وكيفية اختيارهم بغداد عاصمة لهم حتى صار العراق بهم يزهو على سائر البلاد ، ثم التبدلات التي وقعت بينهم وكيفية تغلبهم على سائر الاقطار ، وكيف عادت بعد

ذلك الى الخراب بسبب النزاع بينهم وبين الاعاجم والاتراك ، وغلبة المغول الى ان آلت الخلافة الى آل عثمان حتى سنة ١١٣٠هـ وذكر الخلف والسلف من الملوك والحكام الذين تولوا الامر ، ولا سيما ذكر ابى الغزوات المرحوم السلطان مراد الغازى واحوال وزرائه ، وعلى الجملة فهو كتاب يحوى الفوائد والفرائد ، وكونه سهل المتناول رخيص الثمن لكي ينتفع به كل الناس على اختلاف طبقاتهم ، وارجو غض النظر عما يجده القارىء من هفوات وعثرات وان يشملنا بعفوه وصفحه الجميل »

ثم يذكر فهرست الكتاب الى ان ينتهي بحكومة الوزير والي بغداد حسن باشا وما قاساه من حروب مع الاعراب وغيرهم ، وجاء في آخر كلمته مايلي باللغة العربية :

« تم هذا الكتاب (ويقصد طبع الكتاب) بعون الملك الوهاب في غرة شهر صفر الخير سنة ثلاثة واربعين ومائة والف على يد الحقير الفقير ابراهيم من افراد الدركاه العالى المأمور بعمل الطبع بدار الطباعة المعمورة في البلدة الطيبة القسطنطينية دامت عمارتها الى يوم القيامه » .

ترجمنا هذه المقدمة ونقلناها عن النسخه الموجودة في معهد الدراسات الاسلامية العليا بجامعة بغداد برقم ١٠٣١٢ وهذه النسخة هي التي اعتمدنا عليها في ترجمة الكتاب .

المترجم

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تيمناً بمطلع انوار الكلام القديم وتمسكاً بالحبل المتين الذي هو تحلية ام الكتاب وشمس عنوان فصل الخطاب ورأس الاعجاز الذي يبدأ به الناطق بتلاوة الآيات في افتتاح سور القرآن الكريم والطلسم العظيم في حمد الإله الذي لا زوال لملكه ، القادر القيوم بجزيل النوال ، الذي انتظمت بقدرته سلسلة الانس والجان ، المحيط الجامع للكون والمكان ، والذي كان من فيض كرمه النفس الانسانية التي اودعها الله قلب آدم تكريماً له وتشريفاً ، ليكون خليفته في الارض هو وذريته ، وليقيموا الحكم بالعدل ووعد بخير الجزاء والاحسان لهم ولمن يتبعهم ، الواحد الفرد الصمد ، ذو الجلال والملك الذي لا يزول ، جل جلاله وعلى ناصره ، وعم نواله ، وجرى امره بالانعام على سيد الرسل المصطفى احمد المحمود ، عظيم النعم ، وسيد سادات العرب والعجم الذي يلجأ إلى باب غفرانه ورحمته الصغير والكبير لكي ينالوا شفاعته يوم الجزاء ، خاتم الرسل ، وصاحب المعراج الذي اكرمه الله بتاج العز وحباه بالروضة القدسية ، وجعله نبراساً لهداية الخلق ، والصلاة والسلام عليه وعلى آلــه واصحابه ونخص منهم الصديق الذي كان نعم الصديق ، والفاروق الرفيق الشفيق وعثمان الذي جمله الله واكرمه بصفة الحياء ، وسيف الله الامام علي

وشمس الضحى الحسن بن علي ، وبدر الدجى الحسين بن علي ، والباقي من آل النبي واصحابه والتابعين رضوان الله عليهم ورحمته وبركاته .

اما بعد فاني قمت بتتبع التواريخ والاثار ومطالعة الوقائع والاخبار الموثوقة ، واتخذت من هذه الطريقة دستوراً للعمل في ضبط الحوادث المتفق عليها ، والتي هي مرآة قلوب أولي الالباب ، وكان ذلك بناءاً على رغبة محافظ دار السلام وحامي حمى الاسلام ، وصاحب الخيرات ، الكثير البركات ، كوكب السلطنة وقرين الاسكندر في العلو والحائز على ارفع الالقاب والذي نواله كالبحر ، والجميل الافعال المسمى باسم من اشتهر بالعدل بين الورى ، الوزير المفخم عمر باشا ، لا زالت شموس اقباله لامعة وما برحت اقمار اجلاله بارقه ايده الله ووفقه لما يحب ويرضاه ، وذلك لشغفه بتتبع الاخبار والحوادث وليتخذ منها عظة ودستوراً للعمل في ادارة بغداد ذات الارجاء الواسعة ، التي كانت داراً للخلافة ، والتي هي الآن مطلع شمس انوار الدولة العلية ، والتي بنيت على احدث طراز بحيث سميت بدار السلام تشبيها لها بالجنة ، وحفت بالحدائق والنخيل وهي بالاتفاق البستان الكبرى لاقليم العراق ، بيت : سنكسار او لمسده در نخل براور هردم سروبي بار صفا سنده كزر ازاده . وكانت تتحسر على امتلاكها ملوك الافاق مما جعلها عرضة لتبدل الدول من سائر الملل التي حاولت امتلاكها والسيطرة عليها ، وذاقت من جراء ذلك ضروب الاذى والخراب سواء على عهد خلافة بني هاشم ام على عهد صناديد الاعاجم حتى صارت ملعباً للاتراك الذين أساؤوا الحكم فيها ، ثم تغلب المغول الهمج عليها حتى

آل أمرها الى دولة آل عثمان المخلدة الاركان ، اذ تولت امرها بعد وقائع ومعارك واسست فيها حكماً رصيناً ثابتاً ومصونا حتى الآن ، وهم يتعاوون على ادارتها باخلاص خلفاً عن سلف ، لا سيما في زمن ابي المغازي المرحوم السلطان مراد الغازي الذي على يده تحررت من الطامعين بها ، وصارت ايالة يحكمها وزراء من ذوي المقدرة والاخلاق الحميدة .

ولاجل تبيان الوقائع التي مرت بهـا أمرت ان احرر رسالة مستقلـة عنها ، تبين الوقائع والحوادث والوزراء الذين حكموا فيها ، وهذه كانت اقصى امنيتي ورغبتي انا الفقير مرتضى نظمي زاده الذي وان كنت قليل البضاعة ومحدود الدراية إلا أن رغبتي وامالي تغلبتا عليّ ، ولذلك عزمت على بذل اقصى الجهود لاخراج هذه الرغبة الى حيز الوجود ، وان كان قد قيل في الامثال من صنف فقد استهدف .

ومع ذلك فقد شمرت من ساعد الجد وتجشمت الاتعاب مقتدياً بالذين تقدموني ، نزولا على قاعدة « مـا لا يدرك كله » وقد قمت بتحرير هـذه الرسالة وسميتها كلشن خلفا ، وكنت قد حررت مسوداتها وحفظتها هنا وهناك بغير انتظام الى ان هيأ الله لي جمعها واخراجها سنة ١١٠٠هـ واودعتها الى بعض ارباب الفضل لتصحيحها وتدقيقها وذلك بسبب كثرة مشاغلي راجياً التفضل بالعفو عن هفواتي .

تفصيل احوال بني العباس وخلافة عبد الله السفاح
وانقراض دولة بني أميـــة
وفرار بعضهم الى الاندلس

بناءاً على ما ذكره الرواة والمؤرخون على حسب الوقائع والسنين الهجرية على صاحبها افضل التحية ، ان آل العباس كانوا قد اتخذوا قرية تميمـه (الحميمه) الواقعة في اقليم الشام مقراً لسكناهـم وذلك سنة ١٢٧ هـ ، وكانت دولة بني امية انذاك سكرى بصهباء الكبر والعظمة وتائهة في وادي سنستدرجهم (١) . وقـد تغلب بعض ملوكهم على الكثير من البلاد ، واتسعت رقعة دولتهم ولكنهم جاروا وراحوا يحكمون على حسب ما تمليه عليهم اهواؤهم .

وكان محمد بن علي يترقب زوال دولتهم ويرغب في تولي الحـكم من بعدهم ، وقد اوعز الى ابي مسلم عبد الرحمن الاصفهاني المولد والكوفي النشاة بان يسافر الى خراسان لنشر الدعوة لبني العباس ويأخذ البيعة له .

وقبل أن يبدأ ابو مسلم بتأديـة هذه الخدمة انتقل محمد الى دار البقاء وقد اوصى قبل وفاته ابنه ابراهيم بمواصلة الدعوة ، وكان هذا ايضاً يرغب في انجاح هذه الامنية ليتولى الحـكم ، وسهّل سفر ابي مسلم الى الجهـــة المقصودة وجعله وكيلاً عنه لاخذ البيعة له ، وقد اصطدم ابو مسلم بوالي

---

(١) يقصد الآية الكريمة سنستدرجهم من حيث لا يشعرون .

خراسان نصر بن سيار الذي ارسل كتاباً الى مروان خاتمة دفتر ملوك بني امية يخبره بالامر ، فلم يكن من مروان الا ان قبض على ابراهيم وزجه في السجن حيث توفى في سجنه سنه ١٢٩ هـ .

اما ابو مسلم فقد اتجه بدعوته نحو مدينة مرو ، وحاول ان يزرع هناك بذور الدعوة ويحصد ثمرتها المرجوه ولكن نصر بن سيار كان له بالمرصاد اذ هجم على تلك البلدة واخرجه منها . غير ان أبا مسلم لم تفتر عزيمته وكان الاقبال حليفه ، وكان يتقدم يوما بعد يوم ، وفي السنة التالية اوقع بنصر بن سيار واذاقه اول طعم للهزيمه في موقع خاموشان الذي اتخذه مقراً له ، وكان ابو مسلم قد عين على رأس جيشه قحطبة (١) حسب وصية المرحوم ابراهيم ، وبعد هذا الانتصار أرسله نحو والي العراق يزيد ابن هبيرة ليطرده من هناك ، وبعد تصادمه معه تمكن قحطبة من التغلب عليه حيث فر أمامه ، أما قحطبة فقد غرق في نهر الفرات اثناء عبوره ولم يعثر له على اثر ، وبناءاً على وصية المرحوم ابراهيم فقد اختير اخوه ابو العباس عبد الله السفاح بمكانه وذلك سنة ١٣٢ هـ فجمع اخوانه وانصاره واقربائه الصغار والكبار وتوجه بهم نحو الكوفة واتخذها مقراً ودار خلافة اذ اعلن نفسه هناك خليفة وبايعه اهل البلد ثم شمر عن ساعد الجد ونصب خيامه خارج البلدة في مكان يسمى حمام أعين وهناك حشد أتباعه وقواته وأعلن الحرب على دولة بني أمية للانتقام منها وارسل قواته نحو واسط

---

(١) حميد بن قحطبة الطائي ، وكان والياً على خراسان قبل نصر ابن سيار . المترجم

وشهرزور واستولى عليها ، ولما وصلت أخباره إلى مروان اقامته واقعدته وجهز جيشاً قوامه مائة وعشرون الفاً وسار على رأسه إلى هناك ، كما وأرسل عبد الله السفاح قوة لمقابلته تقدر بعشرين الفاً ، والتقى الجيشان على شاطيء الزاب ودارت الحرب بينهما وأخيراً انتصرت قوات عبـد الله السفاح على جيش بني أمية وكادت تفنيه عن بكرة ابيه شعر :

از باتك خونيان همه كيتي پر از غريواز نعـل تازيان همه عالم پر از شراريك فوج را ببيند امل رل شود اسير ريك قوم ربدست اجــل جان شود شكار غوغاني وغا وشير نمود از روز رستخير .

بيت : بازدى بخت كرير ايدرسه كما نمى استر وارى قافه قوسونلر نشاغى

وفرت بقية السيوف مع مروان نحو الشام ، ولكن عبـد الله تعقب فلولهم حتى بلغ الشام ، وهناك لم يتمكن مروان من الثبات والصمود بوجه عدوه اذ فر نحو المغرب واحتل عبد الله الشام وتحرك نحو فلسطين ، ولاجل قطع دار مروان وجنوده أرسل خلفه أخاه صالحاً لمطادرته وتعقيبه .

وفي سنة ١٣٣ هـ تغلب على مروان وسبقـه إلى البلدة المسماة بوصير من اعمال مصر لسد الطريق عليـه ثم تمكن من القضاء على جيشه أما هو فلم يعثر له على اثر . ثم احتل اقليم مصر بكامله وكتب الوالي ابو عون إلى عبد الملك يخبره بما حدث .

لقد كان مروان رجـلا عاقلا ومضيافا وكان يتحمل الامور الشاقـة بصبر وجلاده . ولكنه كان يلقب بمروان الحمار وكان يعتنق مذهب الجعدي وبه اشتهر . وبعد تصفية فلول الامويين نبشت قبور امواتهم ودمرت كلها

عدا قبر عمر بن عبد العزيز شعر :

پس تجربه کردیم در این دیر مکافاة بادردکشان هر که در افتاد بر افتاد

اما الاحياء من الامويين فقد صاروا طعما للسيوف ، ونقل بعض رواة الاخبار الموثوقة ان بقية بنى امية وعددهم تسعون نفراً ساقهم سوء حظهم والتجأوا الى مضرب خيام عبد الله يلتمسون الصفح والعفو بقلوب كسيرة وبينما كانوا يترقبون صدور العفو عنهم اذ قام احد الشعراء وقرأ ابياتاً يذكر فيها عبدالله بوقعة كربلا والشهداء الذين سقطوا في ارضها مما اثار حفيظته وامر بقتلهم جميعاً ومـد السماط على جثثهم وكان انين بعضهم يسمع من تحت السماط (١) وقد ورد عن بعض المؤرخين ان هذه الواقعة كانت مدبرة وان حب الانتقام انتقل من الآباء الى الابناء .

وفي سنة ١٣٦ عمر السفاح مدينة سماها الهاشمية قرب الكوفة لتكون عاصمة له ولكنه انتقل منها الى دار الاخرة . وبعد وفاة مؤسس دولة بنى العباس أبو العباس عبدالله السفاح تولى الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور بالله في مدينة الهاشمية ، وكان يسمى ابو جعفر الدوانيقي لشدة بخله .

---

(١) روى محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي في كتابه الفخرى في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ط / مصر / ١٩٦٢ م ان عبدالله أبو العباس كان في بعض أيامه جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقد اكرمه السفاح فدخل عليه سديف الشاعر وانشده :

لا يغرنك ماترى من رجال ان تحت الضلوع داءاً دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى لاترى فوق ظهرها امويا =

اما الذين نجوا من بني امية من عقاب عبدالله فقد اختفوا عن الانظار ، وبعدما ان ذاقوا الوانا من الغصص والهوان والعذاب فر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم نحو الاندلس واستولى على زمام الحكم هناك وصار هو الآمر الناهي . وفي سنة ١٥٠ ﻫ استولى ايضا على قرطبة . وفي سنة ١٧٠ شيد الجامع المشهور باسم جامع قرطبه الاثرى ، وقد دامت

= فالتفت سليمان وقال قتلتني يا شيخ وفعلا قام السفاح واخذ سليمان فقتله ، ودخل عليه شاعر آخر فانشده :

اصبح الملك ثابت الآساس	بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها	بعد ميل من الزمان وياس
لاتقيلن عبد شمس عثاراً	واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها اظهر التردد منها	وبها منكمو كحز المواس
ولقد غاظني وغاظ سوائي	قربهم من نمارق وكراس
انزلوها بحيث انزلها الله	بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد	وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران اضحى	ثاوياً بين غربة وتناس

ولما اتم انشاده التفت احدهم الى من بجانبه وقال قتلنا العبد ، ثم امر السفاح فضربوا بالسيوف حتى قتلوا وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فاكل الطعام وهو يسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعا .

المترجم

امارته ٣٣ سنه ثم قضى نحبـه واخلفه ابنه هشام باسم والي الاندلس وهذا ايضا توفى سنه ١٨٠ واخلفه ابنه الحكم وقد امتد حكمه في المغرب الى سنة ٢٠٦ ثم توفى واخلفه ابنه عبد الرحمن الذى توفى سنه ٢٧٢ واخلفه ابنه منذر الذى توفى سنه ٢٩٢ وقام بولاية الامر بعده أخوه عبدالله وبعد وفاته تولى عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله سنة ٣٠٠ وامتدت رقعة حكمه على اراضي الاندلس كلها ، وفي زمنه اخذ حكم الخلفاء العباسيين في بغداد يميـل الى الهزال وظهر الفاطميون في مصر حيث اعلن الناصر لدين الله هناك الخلافة ولقب نفسه بامير المؤمنين وخليفـة رسول الله . وفي سنة ٣١٥ هجم على طليطله واحتلها من ايدى الافرنج بطريق الخدعة ، وحارب اعـداء الدين حتى قهرهم ، اما أبوه محمد ففي زمن حكم أبيه عبدالله فقد أقيم عليه الحد وقتل ، وبعد وفاته سنة ٣٥٠ حكم المنتصر بن عبد الرحمن وبعد وفاته سنة ٣٦٦ تولى الحكم بمكانه ابنـه هشام المؤيد وكالة وفي سنة ٤٠٣ خرج عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله واسره واعلن نفسه ملـكاً بمكانه على ارض المغرب ، وفي سنـة ٤٠٧ خرج علي بن حمود العلوى واستولى على الحكم بمـدة قصيرة واستأصل ابناء واحفاد بني امية واعلن نفسه ملكاً على المغرب وبهـذا التاريخ انقرضت حكومة بنى امية بالكلية .

خلافة ابو جعفر المنصور ومقتل ابو مسلم

وبناء بغداد وما رواه المؤرخون عن عظمتها

بعد وفاة أبي العباس عبد الله السفاح رأس خلفاء الدولة العباسية في مدينة الهاشمية تولى الخلافة اخوه ابو جعفر المنصور الذي من شدة بخله لقب بالدوانيقي، وكان من اول اعماله انه قضى على أبي مسلم ذلك الرجل الذي على ساعده قامت الدولة العباسية اذ فتك به بسبب عداوة قديمة، وان الذين رووا مقتل أبي مسلم ينسبون الاسباب الى كونه كان يتصل بعم السفاح عبدالله بن علي القاطن في ربوع الشام، وقالوا ان السفاح بعدما قضى على بني امية اوصى بان يكون عمه ولياً للعهد ونشر ابو مسلم هذه الاخبار بين أهل الشام حتى وصلت الى مسامع المنصور فتأثر منها وحصلت نفرة بين الطرفين ادت الى التخاصم فيما بينهما كما واضمر شراً لأبي مسلم لترويجه لهذه الاخبار، ولما وقعت الحرب بين المنصور وعبدالله بن علي وجهز كل منهما قوة للقضاء على خصمه، أوعز المنصور الى أبي مسلم ان يسير للقضاء على الفتنة، وفي نصيبين اتصلت القوتان ومن هناك انتهز الداهيه أبو مسلم هذه الفرصة واتجه نحو الغوطة وراح يناوش قوات عبدالله ويضيق الخناق عليها لكي يبرىء نفسه مما اتهم به .

شعر :

« دولشكر نكويم كه رو كوه قاف رسيدند درجبوه كاه مصاف

جنان كشت روى سما كرد خودرا بخاك » .

وأخيراً كان الظفر بجانب قوات ابي مسلم الذي شـــدد النكير على عبد الله وضايقه ثم حمله على الفرار الى البصرة حيث كان اخوه والياً عليها واختفى هناك .

لقد كان عبـد الله بن علي والياً على الشام وفي ولايتـــه قتل مروان واستولى على خزائن بني أمية ، وقـد كلف أبا مسلم بان يحمـل البشارة بانتصاره إلى المنصور فاعاده إلى الشام لكي يأتي بخزائن بني أمية اليه ، ولكن أبا مسلم بدلاً من أن يقوم بهذه المهمة لوى عنان جواده واتجه نحو خراسان وهناك اخذ يبث الدعوة لنصب احد العلويين خليفة عوض المنصور ، مما حمله على اضمار الانتقام منـه لهذا العمل وأرسل اليه رسولا يـدعوه للعودة ويمنيه بمختلف الاماني ، فكان من سذاجة ابي مسلم ان صدق بالوعود التي قطعها له المنصور وعاد الى عاصمة الخلافـة والى خدمة المنصور . وذات يوم وبينما كان جالساً بحضرة الخليفة لم ير إلا وجماعة من العساكر ظهروا وهم على اتم استعداد للحرب واحاطوا بالقصر ، ولكن المنصور ظل يلاطف ابا مسلم ويظهر له الصداقة والمحبة لكي لا يرتاب وكأنلم يكن هناك شيء مدبر . بيت .

« چون شود دشمن ملايم احتياط از كف مدة مكرها در پرده باشد اب زيركاه »

ثم ظهر مائة رجل من الحرس الخاص فنهض المنصور وراح يتكلم معهم سراً وعلى انفراد ونصب كمينا منهم يتشكل من عشرين رجلا في الوقت

الذي كان ابو مسلم يروح ويجيء وكأنه استراب من هـذه الحركه وراح يحاور نفسه ولسان حاله يقول انهم لو كانوا يريدون سوءاً لهجموا عليـه وازالوه من الوجود ثم قام من مكانه واتجـه نحو الخليفة واخذ يسير خلفه ويتابعه من مكان الى مكان وحال عودتهما الى المجلس وفي اقـل من لمح البصر هجم عليه الحرس واقتلعوه من مكانه وبعد عتاب قصير مع الخليفة استل الكمين سيوفهم ومزقوه في الوقت الذى كان يرجو العفو من الخليفة وان يرق له وان يبقيه لاعدائه ، وظل حتى النفس الاخير يتضرع اليه .

فلما قضى عليه ارسل الى قوات أبي مسلم الذين كانوا واقفين خارج القصر خدمـه وخواصه ليصرفهم بعدما منحهم مقداراً من الهدايا والنقود وفرقهم بلطف .

ومما يروى ان أبا مسلم كان سفاكاً للدماء جباراً عنيداً لايرحم أحداً وكان قد تسبب بقتل ستمائة الف نفر حتى صار رمزاً للغدر والخيانة ، وبمقتله تنفس المنصور الصعـداء واستقر في خلافتـه ، ثم اعتنق عقيدة الطائفـة الراوندية القائلين بالتناسخ ، وبالنظر لانحراف هذه الطائفة وميلهم الى الفساد والسفاهات فقـد قضى عليهم معن ابن زائده بدهائه وتدبـيره ، ثم سأم المنصور من السكن في الهاشمية ورغب في الهجرة منها وكلف الحكماء والعلماء وجلبهم من اطراف الدنيا ليختاروا له مكاناً لائقاً يجعلـه عاصمة للخلافة وينتقل اليها .

وبعد البحث والتفتيش اختاروا له بغداد دار السلام ، فشمر المنصور عن ساعد الجد وامر رجاله وجنوده ببنائها في الجهة الغربية من نهر دجلة

وبشكل مدور على ان تحيط بها الاسوار من كل جهاتها .

يقول علي ابن يقطين انه كان في ذلك الوقت ملازماً لركاب الخليفة وفي اثناء الطريق مروا براهب دير فسأله الراهب عن وجهــة الخليفة وما المراد من هذا السفر قال ولما اخبرته بانه يقصد الاقامة في هذه الجهة وانه عزم على بناء مدينة فيها تضاهي مدينة ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، سألني عن اسم الخليفة فقلت انه عبدالله وسألنى عن لقبه فقلت المنصور بالله فقال ان هذا الخليفة لايستطيع بناء البلدة فقلت لماذا قال ان كتبنا تقول ان الذي يبنى هذه البلدة اسمه مقلاص ! فلما سمع الخليفه كلام الراهب سر سروراً بالغاً وسجـد شكرا لله ووهب الراهب عطايا كثيرة ، وقد اردت ان اعرف السبب فانتهزت فرصة وسألته عن وجه الحقيقة فقال : ان امه ومرضعته كانتا تسميانه في صغره باسم مقـلاص ، ذلك لان دولة بنى اميه افقرتنا ولم تترك لنا شيئـاً نتزود به ، ثم تعلمت قراءة القرآن في الكتاب وكان زملائى التلاميذ قـد اعتادوا على ان يصنع كل واحد منهم وليمة يطعم فيها بقيـة زملائه بصورة دورية كل يوم على واحد . واتفق ان جائني الدور ولا مناص من القيام بمثـل ما يقومون به من الوليمة وقد خجلت من اعلامهم بفقرى وعدم امكاني القيام بصرف شيء على هذا الغرض ولم أر بداً من المجازفه بسرقـة ماجمعته مرضعتى بعرق جبينها وتعب يمينها واقمت به الوليمه واشتريت مقداراً من الفواكه وبيضت وجهي امام زملائي .

ولما علمت مرضعتى ذهبت واخبرت أهل البيت بما فقدت فسموني من ذلك الوقت باسم مقلاص ، ذلك لان مقلاصاً هذا كان من قطاع الطرق

المشهورين بين الخاص والعام وينهب اموال الناس ولذلك استعاروني أسمه وأخيراً تهيأت اسباب البـدء ببناء المدينة وباشر المعارون في سنة ١٤٥ هـ بوضع حجر الاساس للبناء في الساعة التي اختارها المنجمون ، ولكن في السنة المذكورة ظهر الامام محمد والامام ابراهيم ابنى الحسن المثنى بن الحسن ابن علي المرتضى (رض) فتوقف الاستمرار في البناء ، وكانت النتيجة ان غدر بهما المنصور وماتا شهيدين .

وفي سنة ١٤٦ هـ استأنفوا بناء البلدة وفي سنة ١٤٩ اشرفوا على الانتهاء منها وقبيل اتمامهـا تحرك المنصور من الهاشمية وانتقل اليها ، وقد ورد في تاريخ مصلح الدين اللارى ان المنجمين قد اختاروا محلها في طالع السعد ، وقال بعضهم ان خالد البرمكي اتفق مع الحجاج بن ارطاة على تأسيس بناء بغداد وسط طالع القوس ولذلك لايموت فيها أحد من خلفاء بني العباس ولهذا فان الخلفاء عندما تدنو منيتهم يموتون خارجها ، وعلى حـد قولهم فان المنصور توفى في الطريق الى مكة المكرمة ، والمهدى في ماسندان والهادى في عيسى آباد وهارون في طوس والامين اسر من قبل قائد عسكر المأمون وقتل في الجانب الشرقي من دجلة اثناء فراره والمأمون في طرسوس والمعتصم والواثق والمتوكل والمستضيء في سامراء اثناء ذهابه الى السراى ، وقد أورد هذه النادرة ابن الجوزى في منتظمه .

ولقد كانت بغداد ايام أبي جعفر المنصور على غاية من العمارة الفاخرة وفي محـلاتها كان ستون الف حمام ، وكانت طيبة الهواء ولكنها في بعض الايام تهب عليها الرياح الشديدة فتدمر بعض آثارها ، وكان فيها ٢٦ الف

دكان و ١٧ الف حمام يرتادها الخاص والعام ، وقد ورد في تاريخ الخطيب وتاريخ أبي بكر ان المنصور وضع الحجر الاساس لسورها بيده في الجانب الغربي وانه لشغفه بها اول من دشن بنائها وشيد فيها جامعاً وقصراً كبيرا واسعاً وسط البلدة بثمانين ذراعاً طولا وارتفاعاً وشيد عليه قبة خضراء ووضع في وسطه تمثالا لفارس يحمل رمحاً يدور نحو الجهة التي يأتي منها العدو ، ولكن بمرور الايام انهدم وعفا اثره وذلك سنة ٣٢٩ .

أما تسمية بغداد فقد وردت حولها عدة روايات ، فعلى قول خميس ان محلها كان فيه دير تحيط به مزرعة ، وعندما كان المنصور يتنزه حول ذلك المكان دعا راهب الدير وسأله عن اسم المكان وصاحبه فقال انه له وان اسم المحل باغ ، واخبره ان أهل الملاحم والمنجمين قالوا اذا شيدت هنا بلدة فسوف يبقى اسمها ابد الدهر ، فاشترى المنصور ذلك المكان وبنى فيه بغداد ، وجاء في تاريخ حناني زاده ان المكان الذي بنيت فيه بلدة بغداد كان يسمى باغ منذ القديم والله اعلم .

هذا ولاجل تمديد رقعة بغداد فقد حاولوا تخريب ايوان كسرى ونقل حجارته اليها ، ولكن النية انصرفت عن هذه الفكرة لان مايصرف من الاموال على هدمه اكثر مما يصرف على البناء ، وعندئذ اتجهوا نحو واسط ونقلوا آجرها وابوابها الى بغداد ، اما كيفية التلفظ باسم بغداد فهو بالباء والغين المعجمتين ودالين مهملتين او بذالين معجمين (بغذاذ) وبغدان وبغدين ومغدان ومدينة السلام ، ولما كانت ابواب البلدة الداخلية والخارجية في سمت متغاير سميت ايضاً (زوراء) .

لقد سبق ان ذكرنا ان عم المنصور عبدالله كان قد اختفى عن الانظار ولكن المنصور ظفر به بعدئذ واعدمه .

وفي سنة ١٤٨ انتقل الى جنات النعيم سيد بنى هاشم الامام الناطق (١) جعفر بن محمد الصادق في طيبة الطيبة عن عمر يبلغ الثامنة والستين .

وفي سنة ١٥١ حكم العراق يزيد بن هبيرة ثم ان المنصور كلف امام العراق الزاهد المجتهـد الاقدم حضرة الامام الاعظم بتولى منصب القضاء وبسبب امتناعه واعتذاره اذاقه صنوف الاذى وضربه وسجنه ، وبعد اخذ ورد وتعذيب توفى في سجنه ودفن في مقبرة الخيزران ، وقال بعضهم ان الامام المشار اليه كان يميل الى الامام ابراهيم بن عبدالله المثنى ولهذا سجن ومات مسموماً .

وبالنظر لما جاء في التواريخ المنتخبة ان كلا من خالد البرمكي وسليمان والمرزبان والربيع بن يونس قـد تولوا الوزارة في زمن الخليفة المذكور ، وجاء في تاريخ خميس ان المهدي بن المنصور عندما جاءالى بغداد أعجبته حسن عمارتها وطيب هوائها فقام ببناء الرصافة في الجانب الشرقي منها وقد احبه المنصور وجعله ولياً للعهـد . ثم عزم المنصور بعد ذلك على حج بيت الله الحرام وفي الطريق وافته المنيـة ودفن في مكان يسمى الميمونه . وكان قد ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٨ عن عمر يبلغ الثالثة والستين ومدة خلافتـه احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً . ولقد كان العلويون والعباسيون

---

(١) سيأتي شرح هـذه الكلمة عند الكلام على خلافة المعتضد بالله .

المترجم

على اتم ما يكون من الوفاق والوداد والتحابب ولكن المنصور اوغر صدورهم وبث فيهم النفرة والعداوة ، وكان يصغي لاقوال المنجمين وذوى الاراء غير السديده ويستخدمهم في مناصب الدولة ، وفي خلافتــه توفي كل من الامام الكلبي والامام الاوزاعي وزفر والمقرى أبو عمرو وكلهم كانوا يبذلون له النصيحة . وقد تولى الخلافة بعد وفاته خليفته أبو عبدالله محمد المهدى . ذكر ذلك هبة الدين محمد الديري في كتابه الجدول الصفى من البحر الوفي وكذلك الخطيب البغدادي في تاريخه كما ذكر ايضاً في تاريخه الذي يقع في ستين جزءاً كثيراً من الاخبار عن بغداد وما حدث لها من عجائب وغرائب وكثرة الابنية والخلائق التي سكنتها ووفرة المساجــد والجوامع والاسواق والمحلات والحمامات والقصور العامرة وغيرها بحيث ملأ ثمانية اجزاء من تاريخه عنها ، ونحن نلخص بصورة اجمالية ذكر ماجاء فيها .

لقد شيد المنصور دار السلام بشكل مدور وجعل لسورها أبواباً فمن جهة الجنوب باب الكوفة ومن جهة الشمال باب خراسان ومن جهة الشرق باب البصرة ومن جهة الغرب باب الشام ، وجعل لها ابراجاً ومما ينقل انه في ايام الخلفاء ورد اثنان في سفراء عظيم الروم ، وعلى حسب العادة اسكنا في دارالضيافة لمدة شهرثم سمح لهما بالدخول الى القصر لمقابلة الخليفة فشاهدا في الساحة الاولى كثرة البوابين والحرس المنتشرين هنا وهناك وشاهدا مائةاسدموثقين بالسلاسل وفي الساحة الثانية مائة زرافة وفي الساحة الثالثة مائةفيل منسقين على شكل هرم وفي الساحة الرابعة ٥٠٠ رأس من الخيل منسقين خلف الفيلة ولكل واحد سائسه ورائضه . وفي الساحة الخامسه شاهدا انواعاً من الطيور الملونة

والمزركشة وفي الساحة السادسة وجدا الوزراء والامراء والكتاب وكل واحد منهم يرتدى بدلة مرصعة بالجواهر تأخذ بالأبصار ويحمل كل واحد منهم اندر الاسلحة ، وفي الساحة السابعة شاهدا عرش الخليفة يحيط به عن يمينه وشماله سبعة من الغلمان يحملون على رؤوسهم الشموع ويقومون بما يأمرهم الخليفة من الخدمات ، ثم نودى على السفيرين فتقدما الواحد بعد الآخر وسجدا تحت العرش ثم ادخلا في قبة الخليفة وقبلا الارض بين يديه واديا له مراسيم التحية والتعظيم والسلام بموجب ما كان متعارفاً لدى الملوك في ذلك الزمان وقدما له اسميهما وانهما موفدين من قبل قسطنطين بن هرقل ، وتبادلا مع الخليفة اطايب الاحاديث وابديا اعجابهما بمدينة بغداد وقصورها وابنيتها واستحسنا تناسقها وطيب موقعها وعذوبة مائها ونقاوة هوائها ولكنهما عجبا كيف ان مثل هذه البلدة العظيمة لايوجد نهر يجري في داخلها فاجابهما احد الوزراء بانهم لم يفعلوا ذلك منعاً من ان يتكدر ماؤها ويتعفن هواؤها . اما الخليفة فقد فكر بشيء آخر ثم اذن للسفيرين بالعودة الى دار الضيافة ليقيما فيها شهراً آخر .

وفي خلال هذا الشهر شق نهراً من دجلة الى داخل المدينة بعرض عشرة اذرع وبمثلها عمقاً وشجر اطرافه بانواع الاشجار التي تأخذ خضرتها بمجامع القلوب وزين سيقان تلك الاشجار بمختلف الاقمشة الزاهية وسمح للقيان بالتجول حولها والتغني في اطراف النهر وتحت ظلال الاشجار باعذب الالحان وفرشت الواح الزجاج على حافتي النهر ليجرى الماء من تحتها وطليت سيقان الاشجار التي في دار الخلافة واوراقها بماء الفضة اللامعة ، ورصعت

ثمارها وعطرت لكي تهب منها الروائح الشذيه وتفوح منها النوافح المسكية والعنبريه كلما هب عليها النسيم ، وعلى هذا النسق زينت الارائك والرياش في مجلس الخليفة الذي لبس عمامته العباسية وارتدى جبته السوداء على افخر الثياب وتأبط سيف الخلافة وجلس بصدر المجلس وعندئذ امر باحضار الثياب وتابط سيف الخلافة وجلس بصدر المجلس وعندئذ امر باحضار السفيرين على ان يكون مرورهما بالبلد لرؤية تلك المناظر الخلابة فتعجبا مما شاهدا وانبهرا ، وانكرا انهما في البلدة التي مرا بها قبل شهرا واحد وفرقا في لجة من العجب والاندهاش ، وبعد تقبيلهما الارض بين يدي الخليفة حياهما ورحب بهما وقضى حاجتهما وانعم عليهما بموفور الهدايا ثم اذن لهما بالعودة الى بلدهما.

هذا وبالنظر لما ورد في التاريخ المذكور ان مدينة المنصور كانت مساحتها ١٣٠ جريباً ثم وسعها ميلين من كل طرف من اطرافها وما بين باب وباب ميل واحد من المسافة وما بين كل ركن ١٦٠ كريج وطول كل كريج ذراعاً واحداً طولا ونصف ذراع عرضا ، وعرض بناء السور ثمانية اذرع وارتفاعه ثلاثون ذراعا ، وما بين كل باب ٢٨ برجاً وما بين كل برج مائة ذراع وشيد داخل القلعة سورا ثانيا وكان حولها خندقان وسوران وصرف عليهما ثمانية عشر الفا مرة الف من الدراهم وعند حلول سنة ١٤٥ تم بناء القصر الرئيس وصارت حقاً تضاهي ارم ذات العماد وقد صرف على بناء القصر العالي وحده اربعة الاف مرة الف ، وبعد ما اكمل البناء انصرف الى التنظيم فجعل لكل باب من ابواب البلد اميراً يجلس على تخت من الساج وتحت امرته حرس مسلح في يد كل واحد منهم عصا مطلية وقد شيد حديقة

وبستانا بباب الكوفة للنزهة وفجر خلالها الانهار ليتمتع بمنظرها اهل القوافل المارين بها وكذلك شيد الجسور والقناطر والمزارع والمناظر التي تأخذ بالالباب وذلك حول باب خراسان وكذلك الشان في باب الشام .

اما سور دار الخلافة فانه يبلغ ارتفاعه وطوله وعرضه خمسين ذراعاً وشيد فوق المجلس قبة خضراء ، وفوق القبة تمثال رجل مطلسم يحمل سهماً يتجه من تلقائه نحو الجهة التي يأتي منها الاجنبي ، وفي مجلس المنصور شمعدان من النحاس قام بصنعه امهر صناع الدنيا يحمل آلة يخرج منها طائر يهتف عند انتهاء كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، وعند الفجر تبرز صورة انسان يحمل شمعدانا ويهتف بقوله صبحتم بالخير ثم يختفي .

وبالنظر لما ذكره الخطيب عليه الرحمة انه جعل في كل باب من ابواب البلدة دار ضيافة مفتوحة الابواب للقادمين والمسافرين والفقراء والغرباء ، وما عدا هذا فقد شيد في كل محلة داراً للضيافة ورتب لها كل ماتحتاج اليه اما اعظم دار ضيافة فكانت بباب الشام في محلة الامام جعفر ، ويقول ان عمارة بغداد كانت تشرف على نهر دجلة من الجهتين وفي جهتها الغربية اربعة الاف مرة الف طاق اي دكان وفي اطرافها اربعة الاف ضيعة خارجية ومائة الف مرة الف من البساتين وفي كل بستان عشرة عمال . وفي زمن المنصور ايضاً كان فيها عشرة الاف حمام بعشرة الاف منارة ، وفي محلة الكرخ توجد من العمارات ما لا يحصى ، وعلى حسب ما يرويه عن جمهور من المؤرخين ان بغداد بعد المنصور قدرت مساحتها وعماراتها تحقيقاً كما يأتي :

كان فيها ٢٤ الف مرة الف قطيعة اي محلة ، وفي كل محله يوجد مسجد بمناره يقابله حمام وتجري خلال البلد الكثير من الأنهار وعليها ١٥٥ قنطرة ويوجد فيها من فروع نهر عيسى ٦٠٠ ساقية وفي داخل البلدة اربعمائة ساحة في كل ساحة ثلاث مدارات للطحن وفي خارج البلدة مائة الف كورة واربعة الاف دار لصنع الفخار واربعة الاف ومائة حداد ، وفي مطبخ دار الخلافة العامرة يذبح يومياً الف بقرة وثلاثة آلاف كبشاً عدا ما يتبعها من المصاريف لطبخ انواع من الاطعمة التي خصص لها اربعمائة صحناً والطبخ مستمر على التوالي ، وهناك خمسمائة صياد لاصطياد الحيوانات البرية وخمسمائة صياد للحيوانات البحرية والفان من البيطريين بمعداتهم ، وفي دار الخلافة ايضاً مائة باب للدواوين .

اما ابن الشبعين فان تقديراته كما يأتي : ٣٠ الف فرن سبعة الاف منها مخصصة لدار الخلافة . وما عدا الطرف الشرقي فهناك ١٢ الف معصرة للتمر ومائة للسكر وكذلك توجد في ثلاثة اطرافها ٣١ عمارة فيها الحدائق وحولها الطواحين والمزارع بحيث لا تخلو هذه العمارات من مائة عامل لكل واحدة منها ، وجوانبها الشمالية والجنوبية والغربية متصلة بعضها مع بعض وكلها عامرة وفي طرفها الشرقي توجد عشرة عمارات في غاية من الروعة .

اما اسعار الاقوات فهي : كل عشرة ارطال من العسل بدرهم واحد وكذلك الدهن وزيت الزيتون ، وقيمة الكبش الواحد بدرهم أيضاً وقيمة البقرة باربعة دراهم ، وكل عشرة ارطال من السكر بأربعة دراهم وكل حمل من المخضرات بدرهم وكذلك البطيخ ، وكل ستين رطلا من الرطب والعنب بدرهم ، وكل اربعة صحون من الطعام المطبوخ على أحسن

ما يكون بدرهم .

وعلى ماذكره الخطيب كان يصرف في الحمامات يومياً الف رطل من الصابون وكل ثلاثة ارطال بغدادية منه تساوي رطلا دمشقياً . وهذا الكلام ينقله عن رواية هبة الله ، وكذلك ذكر الخطيب ان بغداد كانت زمن المأمون فيها عدا العمارات الخارجية بعدد عمارات المنصور . وكانت مساحة طرفيها الجنوبي والشمالي تقدر بثلاثة وخمسين الفاً وسبعمائة جريب ، وطرفيها الشرقي والغربي ٢٧ الف جريب وفي رواية اخرى ان محيط سورها كان ثلاثة واربعين الف و ٧٥٠ جريباً ، وفيها ستون ألف حمام وقرب كل حمام مسجد ذي خمسة أبواب حسب ما ضبط في سجلاتها ، وعلى ما ذكره الخطيب ايضاً ان قصر الحسن بن سهل وزير المأمون كان يطل على نهر دجلة قرب دار الخلافة ويسمى القصر الحسن وحوله ساحة واسعة وقد هجر بعد وفاته ثم رممه الخليفة المعتضد بالله ووسعه ثم عمره من بعده الخليفة المعتضد بالله وادخله في دار الخلافة وجعله دار ضيافة ، وكان في دار الخلافة احد عشر الف مملوك اسود وابيض يقطنون هناك عدا الذين يقطنون خارجها .

ويقال أنه في زمن الخليفة المشار اليه ورد أحد سفراء الروم وبمناسبة قدومه زين القصر بالطنافس الملونة ووضعت على نوافذه الستائر الجميلة والأقمشة النفيسة وخصصت فيه امكنة للحجاب والوزراء ووضع فيه زمرة من العساكر تقدر بالف صف وفي كل صف الف حارس مدجج بالسلاح يمتطون الف راس من الخيول الأصيلة ولكل واحد منها سائس ومربطها في ميدان القصر ووضعت في القصر ثلاثون الف ستارة مزينة فوق جدران دار الخلافة وخصص عشرة آلاف مملوك للخدمة من الشباب وعشرة الاف نفر من شباب العرب يطوفون للحراسة بلا كلل ولا ملل وما عدا هؤلاء فان

هناك ثلاثين الف خادم متمنطقين بأحزمة مرصعة وملونة يقومون بالخدمة وقد رتب كل هؤلاء صفاً بعد صف ومر امامهم السفير واجتازهم الواحد بعد الآخر فاندهش مما شاهده واعجب كل العجب حتى بلغ مجلس الخليفة وقام أمامه بتأدية المراسيم المعتادة .

ثم زوده بكتاب جواباً عن كتاب مليكه واتحفه بالهدايا الفاخرة وسمح له بالعودة الى بلده .

ومما ذكره الخطيب عليه الرحمة ان دار الخلافه كانت زمن المتوكل تحتوي على أربعة آلاف فراش عداً وهم موزعون على الاصطبلات والأمكنة الأخرى المتفرقة ، وهذا ننقله عن كتابه التاريخ الصغير ، اما فى تاريخه الكبير فان القلم يعجز عن تعداد مئاثر بغداد وعما كان فيها من طلاب علم وعلماء ونقلة الحديث الشريف ، ومن الجملة كان فى مدرسة بلطاسيه وحدها ثلاثمائة وستون مجلداً لفهرست الكتب الموجودة فى خزانتها ، وكان موكلاً بهذه الكتب خمسين خادماً ، وكان فيها اربع آلاف حجرة وخصص لها عشرون الف رغيف خبزاً يومياً وعشرة من البقر ومائة رأس من الغنم ، وخصص لشيخ المدرسين فيها وهو الشيخ قوام الدين وطلابه مائة رغيف وكبشاً وخمسين درهماً ، هذا وان الذي يروى عنه الخطيب فيما يخص صرفيات خلفاء بني العباس هو هبة الله الديري ولذلك فانه يعتبر نفسه في حل من صحة هذه الروايات او عدم صحتها او ما فيها من مبالغات او زيادة ونقصان .

وانا أيضاً اعتذر واطلب العفو عما فيها من زيادة ونقص لانني نقلتها كما رويت بيت كربودش لايفـــه دركوش بارورنه زياد تو فراموش باد .

خلافة محمد المهدي بن المنصور

بعد وفات أبي جعفر المنصور تولى الخلافة محمد المهدي بن المنصور العباسي وذلك سنة ١٥٩ هـ واعلنت البشائر وزينت البلاد واطلق كل من كان في السجون الذين سجنهم ابوه ورد اليهم أموالهم وأملاكهم ، وكانت له أخلاق مرضية وعطاياه جاوزت العد ، وكان يقصد بيت الله الحرام كل سنة ويتشرف بزيارة سيد الانام عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام وكان يوزع الثلج على الفقراء ايام الصيف ويبذل لهم الخيرات ويطعمهم ويسقيهم ويصرف عليهم اثناء مروره بهم يومياً ، وكان يهيء لهم الرواحل والزاد ان رغبوا في السفر معه الى حج بيت الله ، وقد انعم على سكان الحرم مؤنة سنة كاملة من الاقوات وكساهم - على حد قول خميس - مائة الف ثوب اكراماً منه وانعاما ، وجلب الرخام على ظهور السفن الجواري في البحر كالاعلام ووسع بها أروقة بيت الله الحرام وفي سنة ١٥٨ سافر أيضاً الى بيت الله الحرام وطاف حوله كعادته ، وفي سنة ١٦٠ وسع مسجد النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ، وفي سنة ١٦١ جدد بناية حجرات مسجد مكة المكرمة ، وحفر في طريقه الكثير من الآبار وشيد الكثير من المنازل وعمل الكثير من الخيرات وبالنظر لما ذكره جامع السير ان مدبر الدولة والمتحمل لثقل الوزارة أبو عبد الله بن طهمان كان يميل الى العلويين وقد نقل اهل السعاية هذا الخبر الى الخليفة واوغروا صدره عليه فكاد له وسجنه وبقي ١٦ سنة في سجنه حتى اطلق الخليفة هارون الرشيد سراحه ، وبعد خروجه من السجن سافر الى مكة واعتزل فيها الى آخر عمره ، ولما كان الملك

عقيماً ، فقـــد تبدل طبع الخليفة وتبدلت نواياه وصار يحقد ويغضب ويثور لاوهى الاسباب وصار يأخذ بالظنة .

وفي سنة ١٦١ ظهر كاتب ديوان أبي مسلم الساحر المقنع وراح يدعو الى نفسه ويزعم انه نبي تارة واله تارة أخرى ، ويضلل عقول البسطاء بمختلف افانينه السحرية حتى تبعه الكثير منهم ، ولما وصل خبره الى الخليفة انزعج وتكدر صفوه وأرسل عليه حملة من عساكره ولكن الساحر تحصن ببعض القلاع ولما عجز عن المقاومة أهلكه أتباعه وأماتوه مسموعاً ثم صبوا عليه ماء الفضة واذابوه كأنلم يكن له وجود ولكن البعض منهم قالوا انه صعد الى السماء .

ومن آثار الخليفة المشار اليه انه عمر بلدة الري وشيد بعض البنايات شرقي بغـــداد ، كما وشيد قصراً منيفاً بالقرب من جامع الرصافة .

وفي سنة ١٦٩ وافته المنية اثناء العيد ، وقال بعضهم انه مات مسموماً وكانت ولادته سنة ١٢٧ وفي بعض الأقوال ١٢٦ وعلى هذا تكون مدة حياته ٤٣ سنة ، وقال الذهبي ان مدة خلافته كانت عشر سنوات .

وفي ايام خلافته كان ابنه هارون في ديار الروم مع المجاهدين حتى وصل الى خليج القسطنطينية ثم صالحه القيصر على مبلغ ٧٠ الف دينار كاملة العيار .

وفي زمن المهدي توفى محدث الاسلام شعبة بن الحجاج العتكي الواسطي وذلك سنة ١٦٠ وفي سنة ١٦١ توفى سفيان بن شعبة وفي سنة ١٦٢ توفي الشيخ الاكرم ابراهيم بن ادهم وزاهد الكوفة داود بن نصير الكافي وهذا على قول اكثر المؤرخين . وفي سنة ١٦٣ توفى عالم خراسان ابن طهمان وقاضي نيسابور المفسر بكر ، وفي سنه ١٦٨ توفى امير المدينة

المنورة ابو الحسن بن زيد ، وفي خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي العباسي توفى المهدي وريث العرش ، وتولى ولاية العهد حفيده موسى الهادي ، واثناء ما كان المومى اليه في جرجان وبناءاً على مسعى أخيه هارون الرشيد نودي به خليفة وقرأوا الخطبة باسمه ثم حضر الى بغداد وخطب الناس خطبة بليغة وكان أول من قال في خطبته ، ان الله تعالى امركم بأمر بدأ به بنفسه وثنى بملائكة قدسه وثلث بالمؤمنين من برية جنه وانسه الى اخرها وصارت قاعدة ينطق بها الخطباء من بعده على على المنابر . وعلى قول جامع السير انه ظهر في زمانه رئيس الزنادقة الشيطان عبد الله بن المقفع وترجم كليله ودمنه عن اليونانية ، وكان فريد عصره في الفصاحة ، وقد اتبعه بعض الذين لا علم لهم من الشيوخ الذين كانوا يضيعون أيامهم بقراءة هذا الكتاب وقالوا انه يضاهي القرآن والعياذ بالله وكانوا يتسترون فى قرائته خوفاً من بطش الخليفة ، وحفظوه عن ظهر قلب ، ولما كان الخليفة لا يألوا جهداً في محاربة اهل الزيغ والبدع فقد طرقت مسامعه أخبار هؤلاء فمزق شملهم وشتت جمعهم .

ويقول خميس ان الخليفة كان مهيب الجانب فصيح الكلام أديباً ولكنه يميل الى المسكرات وحب اللهو والطرب ، ولم تخل أيام خلافته من الظلم والتعدي ، وقد اختلف المؤرخون في وفاته فيقول صاحب كتاب روضة الابرار ان امه الخيزران كان لها مجلس يرتاده رجال الدولة حتى نهاها الخليفة واغلق مجلسها ومنعها من التدخل بشؤون الدولة وزجر الذين يترددون عليها فامتعضت منه وغضبت عليه وسعت في قتله بالسم وفعل هذه الام من نوادر الزمان وعجائبه . وكانت ولادته سنة ١٤٧ ووفاته ١٦٩ ومدة خلافته سنة واحدة وشهران وتوفى عن عمر يبلغ السادسة والعشرين وتولى الخلافة بعده اخوه هارون الرشيد .

ومما يرويه جامع السير نقلاً عن حمد الله القزويني ان الهادي كان يوماً جالساً في ديوان أحد الاشراف ولما استولت عليه الصهباء مسك بيده قوساً ونبلة وكان امامه خادم يغني فقال يخاطب جلاسه بكلام لا صواب فيه انه الآن يقدر على ان يقذف هذا الغلام بقوسه هذه فيخرج النبلة من ظهره فقالوا نعم ايها الخليفة انك قادر على ذلك وانك ذو قوة غير اعتيادية ولكنك ارفع واجل من ان تفعلها مع عبد فقير وضعيف يأمل ان ينال عطفك ونوالك واكرامك فلم يفد معه التماسهم بالكف عما عزم عليه فوجه سهمه نحو الخادم وقضى عليه ثم ندم على فعله ولكن الله انتقم منه إذ اصابته قرحة في ظهره كانت تفرز قيحاً ذا رائحة كريهة تنغص عليه راحته واخيراً كانت السبب في موته .

ويقول هرثمة بن اعين في خبر له ان الخليفة الهادي دعاه يوماً الى مجلس خلوته وبثه الشكوى من خالد البرمكي ومن ميل الناس نحو الرشيد ولهذا طلب منه اذا حضر الرشيد في هذه الساعه ان يقبض عليه ويزجه في السجن ثم يقضي على الطالبيين الموجودين في السجون ويذهب بعد ذلك الى الكوفة ليجلو عنها العباسيين ويدمر بيوتهم . فلما انتهى من كلامه اجابه بالاعتذار مرة وبالنصيحة مرة اخرى ، فاطرق الهادي ملياً يفكر ثم ترك المجلس وذهب الى الحرم وبقى هذا في بحر من الهواجس والظنون والمخاوف وفيما هو يفكر اذ حضر أحد الخدم يدعوه الى دار الحرم فلما اقترب سمع ولولة الخيزران ام الهادي وعند وصوله اليها قالت له أي هرثمه ان الهادي قد مسكه سعال حاد قضى عليه ، وقد انقذ الله عباده من شره ! والآن اذهب الى الرشيد وادعوه ليجلس على كرسي الخلافة فحضر هو واتباعه وكان من جملة الذين حضروا المأمون ، وبويع بالخلافة واشتهر باسم هارون الرشيد بن المهدي

كان الهادي طفلاً انذاك فكيف يستطيع الحكم ؟

وخلع على خالد البرمكي بمنصب الوزارة فوراً وعهدت اليه امور الامة .

خلافة هارون الرشيد ووزارة خالد البرمكي
وذكر حكومة الاغالبة في المغرب

يقول خميس ان هارون الرشيد كان ذا نظر صائب وعقل راجح وكان مصاحباً للعلماء مستمعاً للوعاظ والصلحاء ويكثر من الصدقات ويغزو سنة مجاهداً وسنة يحج البيت الحرام ، وقد اخذ بعض الشعراء هذا الكلام وقال مادحاً :

فمن يطلب لقاءك او يرده   فبالحرمين او اقصى الثغور

ومن اقوال بعض الأدباء ان الخلافة التي حباها الله لهارون الرشيد لم تتيسر لاحد غيره ، فقد كان من وزرائه يحيى البرمكي ومن قضاته ابو يوسف ومن شعرائه مروان بن ابي حفصه ومن ندمائه العباس بن محمد الاحنف ومن حجابه الفضل ابن الربيع ومن خزنته ابراهيم المعلى وزوجته زبيدة ، وكل واحد من هؤلاء فريد عصره ونادرة دهره .

وكان الرشيد قد عقد ولاية العهد لابنه محمد الامين وعمره خمس سنوات واخذ له البيعة . وفي سنة ١٧٥ شيدت زبيدة زوجة هارون الرشيد بمدينة تبريز رباطاً للشيوخ والغرباء والمنقطعين ورتبت له كل ما يحتاج اليه .

وفي اوائل ايام الرشيد ثار يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي المرتضى رضى الله عنهم في بلاد الديلم واعلن الاستقلال عن الخلافة العباسية وذلك سنة ١٧٦ ولكن الرشيد بذل الاموال والمواعيد الخلابة حتى أتى به وأكرمه أولاً ثم زجه في السجن ، وفي السنة المذكورة انتقل

الى دار البقاء الامام مالك بن انس (رض) ودفن بالبقيع ، وفي سنة ١٨٠ انتقل الى دار الآخرة القطب عبد الله بن المبارك ، وفي سنة ١٨١ توفي الامام الثاني ابو يوسف وفي سنة ١٨٢ تحرك الرشيد غازياً الى بلاد الروم واستولى على بعض بلادهم المشهورة ، وفي تلك السنة أيضاً حرر محضراً باعتبار ابنه عبد الله المأمون ولياً للعهد وأناط به وبابنه الثالث القاسم حكم مدن الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر والمغرب وخص بلاد خراسان وفارس وتركستان والاراضي المجاورة في المشرق بالمأمون ، وخص الجزيرة والثغور والعواصم بابنه القاسم . وفي سنة أربع وقيل ست وثمانين ومائة عند سفره لحج بيت الله الحرام أكد عهده لولديه الامين والمأمون وحفظ هذا العهد في سقف البيت بمكة المكرمة .

ومما يروى ان تعليق العهد في سقف البيت الحرام يعتبر ذنباً وخلافاً للعرف ولذلك ارسل الله عليه ريحاً اطاره وألقى به الى الارض وقد فسر هذه الظاهرة بعض أرباب الفراسة بأن هذا العهد سوف لا يؤخذ به وفي الحقيقة ظهرت بين ولديه فيما بعد نفرة أدت الى نقضه سنذكرها فيما بعد ، وفي سنة ١٨٣ توفي في سجنه الامام التاسع الجامع للعلوم الظاهرة والباطنة الإمام موسى الكاظم . وفي سنة ١٨٨ مالت دولة البرامكة نحو الزوال وصار عزيزهم ذليلا ، وتعرضوا للتقتيل والتعذيب وسلب الرشيد اموالهم ، وكان سبب غضبه عليهم وتمزيق شملهم وتقتيلهم - على بعض الأقوال - ان الرشيد كان يقرب جعفراً البرمكي ويميل اليه ميلا شديداً ويرعاه ويحوطه بحبه وكرمه وكان ايضاً يحب اخته العباسه بحيث لا يقوى على ابتعادها عنه لحظة ولذلك فانها وجعفراً البرمكي كثيراً ما يلتقيان على بساط الرشيد ولاجل رفع الكلفة والحجاب بينهما رأى ان يزوجهما على شرط ان لا يدنو جعفر منها .

ويقال ان العباسة مكرت بجعفر ونعوذ بالله من مكر النساء فغشيها ،
هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الرشيد امر جعفراً بحبس واعـدام
السيد الكريم يحيى بن عبد الله ولكن جعفراً اخفاه تقرباً من اجداده
الكرام لنيل الشفاعة بهم عند الله واخبر الرشيد بانه قضى عليه ، ولكن
احد حساد البرامكة وهو الفضل بن الربيع اطلع على السر وأفشاه في
الوقت الذي كان كلب الروم نقفور يتعرض بثغور الاسلام فتحرك
الرشيد لصده وتأديبه وقد تمكن منه واستولى على حصن هرقل المنيع
وفرض الخراج على قيصر الروم واسر من جزيرة قبرص ستة عشر ألف
نفر وفي سنة ١٨٩ توفى الامام الثالث محمد بن الحسن الشيباني فى
بلدة الري .

وفي السنة الماضية كان قد انقضى على سجن يحيى البرمكي اربع
سنوات . وقد بذل ابنه الفضل مبالغ كثيرة لينقذه ويفديه فلم ينجح
ومات فى سجنه :

وفي سنة ١٩١ سافر الى خراسان لتفقد شؤون الرعية وعند وصوله
الى جرجان أصيب بمرض شديد افقده حياته ونقلت جثته الى طوس
حيث ووري التراب في المشهد الرضوي ، وكان عمره ٤٧ سنه وأيام
خلافته ٢٣ سنة ولما ورد خبر وفاته الى بغداد ارتقى ولي العهد الأمين
كرسي الخلافة .

لقد كان الرشيد قد بدرت منه بعض المخالفات والذنوب ايام
شبابه وفي أوائل توليه الخلافه فاعتراه الندم ولذلك كان يصلي في اليوم
والليلة مائه ركعة يستغفر فيها ربه وظل مواضباً مع هذه العادة حتى
نهايه عمره . وكان يصاحب العلماء والصلحاء ويزور الأولياء ، وكان في
أيام خلافته لا يفارق حماد بن ابي حنيفة (رح) وسيبويه والكسائي .
ويروى أنه ترك بعد انتقاله الى دارالبقاء على حسب عادة الملوك

ستة آلاف مرة مائة الف سكة ذهباً وهذا المبلغ كان قد أودعه في مائتي خزانة عدا الأموال الأخرى ، وفي زمنه أي في سنه ١٧٤ عين من قبلـــه ابراهيم بن أغلب والياً على المغرب وعلى أرض أفريقية . ثم أعقبه ابنه عبد الله ثم زيادة بن ابراهيم ثم اخوه ابو عقال أغلب بن ابراهيم ثم ابو ابراهيم احمد بن أبي العباس ثم محمد بن ابراهيم ثم ابو عبد الله محمد بن ابي ابراهيم احمد ثم اخوه ابراهيم احمد وكان موفقاً في غزواته وفتوحاته وشيد للبلدة رقاده وبناها بناية فاخرة وجعلها مقراً للحكم ومن بعده جاء للحكم عبد الله بن ابراهيم المذكور وبعده ابو نصر زيادة الله بن عبد الله صاحب ولاية افريقيا وكان مشهوراً بميله نحو اللهو .

وفي سنة ١٩٦ ظهر الفاطميون وتغلبوا عليـــه وتولوا الحكم بعده ولكن الخليفة المقتدر اعانه على حربهم واعاده لاسترداد بلاده منهم فلما وصل مصر تمرض هناك وتوفى وبذلك اختل حكم بني الأغلب وانقرض وتولاه الفاطميون .

خلافة الامين بن هارون الرشيد

لقد انغمر محمد الامين بن هارون الرشيد في خلافته باللهو والصيد واضاعة الأموال حتى اختلت امور الخلافة ، وقد عزل أخاه القاسم عن حكم الجزيرة ، وراح يخاصم أخاه المأمون ويناصبه العداء وفي سنة ١٩٤ سعى الفضل بن الربيع في الفساد بين الاخوين وحسّن للامين حك وتزوير صحيفة العهد وشطب اسمي القاسم والمأمون منها ووضع اسم ولده الصغير موسى بدلهما ثم مزق صحيفة العهد التي كانت محفوظة

في مكة المكرمة واخيراً أمر ابن ماهان بن علي عيسى المتحرك لمحاربة المأمون ووضع تحت امرته خمسين الف رجل من العساكر ، ولما سمع المأمون بذلك امر هو الآخر طاهر بن الحسين بالتصدي لقوة أخيه ووضع تحت امرته أربعة آلاف مقاتل وان يتخذ موقف المدافع ، وقد تلاقى طاهر قرب مدينة الري بقوات بن ماهان وتصادما وكانت النتيجة تغلب طاهر وقواته على خصمه ودحره ، وعند ورود خبر هزيمته الى الامين تغافل عما جرى وكان لاهياً مع غلامه كوثر بالصيد والقنص ولم يعر هذا الخبر اهتماماً وانما انهال على المخبر بالسباب والكلام الثقيل ، وقال ان كوثراً اصطاد مرتين واني الى الآن لم اصطد ولا مرة واحدة وان همي بهذا اكبر من همي بمغلوبية العسكر .

هذا وقد سر المأمون بهذا الظفر ثم خطب في أهالي خراسان واعلن استقلاله عن خليفة بغداد فنهض ذو الرياستين الفضل بن سهل وأيد ما اعلنه المأمون ورجاه ان يخفف التكاليف عن الرعية ، اما طاهر فقد ضاعف قواته واتجه بها لمحاربة الامين واستولى على الاهواز وواسط وحلوان والمدائن ، وفي سنة ١٩٦ راح احد اولاد ابن ماهان المسمى حسين ابن عيسى يثبط العزائم ويصدها عن الاستعداد لضد العدو ولابعاد الامين عن الخلافة ، اما طاهر فانه استمر بالزحف ونال اكرام المأمون واعجابه بشجاعته وامده بقوات أخرى فحاصر بغداد ، وفي سنة ١٩٧ نصب المنجنيق وضيق عليها الحصار حتى بدت له علائم الغلبة والظفر اذ طلب قائد قوات الامين من هرثمة الامان وحاول الامين من جانبه هو وبعض قواته انقاذ نفسه بالهروب ولكن ابواب النجاة سدت بوجهه وفي سنة ١٩٨ قضى عليه طاهر .

وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر وعمره ٢٨ سنة

وكان مثقفاً أديباً حسن السيرة اولا انه لم يعر ملكه الاهتمام اللازم ولم يدبر اموره اذ كان منصرفاً الى معاشرة الخلان والتمتع بالملذات كعادة الشباب ، وكان مسرفاً في بذل الاموال وعدم ادخارها لوقت الحاجة ومن كانت هذه أفعاله لا تبقى معه كثرة الاموال ولا دفائن قارون .

وكان في أيام خلافته من المشاهير عبد الله بن كثير المقرى وورش المقرى وتلميذ الامام أبي حنيفة وكيع والشاعر ابو نواس وكلهم توفوا في خلافته ، وكان في الكوفة محمد بن ابراهيم العلوي الملقب ابو طبا قد خرج ثلاث مرات ثم ترك الدنيا . وفي سنة ٢٠٠ رفع ابراهيم بن موسى العلوي الملقب بالجزار راية الاستقلال في الجزيرة وسبب تسميته انه كان شجاعاً مقداماً ويكثر من سفك الدماء ، وفي التاريخ المذكور انتقل الشيخ معروف الكرخي صاحب الكرامات المشهورة الى دار البقاء .

خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

بعد القضاء على الامين انتقلت الخلافة الى عبد الله المأمون بن هارون الرشيد وبايعه الخاص والعام ، وكان مفتوناً بماء وهواء خراسان وفتنته منتزهاتها ورياضها وماله فيها من اصحاب وعشراء ولذلك سافر اليها بعد توليه الخلافة وبقى فيها أكثر من سنة يدبر من هناك امور الخلافة وترك شؤون العراق بعهدة هرثمة الذي قمع الفتن وازال الفساد ودبر الامور أحسن تدبير ، وبعدما هدأت الاحوال سافر هو أيضاً نحو خراسان وبسعاية من الفضل بن سهل قضى عليه هناك وتولى الحكم بعده الحسن بن سهل الذي اشتغل بزمانه العراق العربي والحجاز

واليمن بنار الفتن والاضطرابات وكثر الهرج والمرج وانشغل كل انسان بنفسه غير ان الفضل بن سهل وزير المأمون اخفى عنه ما وصلت إليه البلاد من التدهور والانحطاط بسوء ادارة اخيه الا ان العلويين اكثروا من الاحتجاج على تصرفات الحكومة وتواردت الشكاوى الى مسامع المأمون فرأى من الحكمة ان يهدىء الاحوال بتعيين شخص لائق من العلويين ليكون ولياً للعهد ويحمل العباسيين على الانقيـــاد له واطاعته وازالة ما بينهما من كدر وانحراف ، وقد استشار خواص رجاله ومنهم رجاء ابن أبي الضحاك فوافقوا على اقتراحه وانتخبوا بالا جماع الامام علي الرضا ابن موسى الكاظم واستدعى من المدينة المنورة ومن الذين اوفدهم لاستدعائه بعض اولاد العباس ، ومما ينقل ان من اولاد العباس ٣٣ الف رجل كانوا حاضرين تحت لواء المأمون في الموعد الذي تقرر فيه اعلان ولاية العهد باسم الامام ، ولما انعقد المجلس وحضره الاعيان والوجوه خطب فيهم المأمون قائلاً : يا وجوه المسلمين لقـد نظرت في امور بني العبـاس وآل علي واختبرت رجالهم وتفرست فيهم فوجـدت الأفضل ان اختار منهم رجلاً لائقاً من آل علي لولاية العهد ، وقد وقع اختياري على الامام علي الرضـا اذ وجدته أهلاً لهذا المنصب ، وكانت الخلائق المتجمعة كلها مصغية لكلامه ، ولما وصل الى هذه الكلمة هتف الكل استحساناً وقبولاً وقالوا قـد وصل الحق الى أهله ، وعندئذ أملى المأمون صيغة وثيقة العهد ثم عقـد خطبة بنت سعد ام الفضل لحفيد الامام محمد التقي وقرر ترويجهما فكان هذا العمل مدعاة لفرح الجميع ثم ابدل العباسيون لباسهم الاسود الذي كان شعـارهم واختاروا اللون الاخضر ، ولكن المغرضين اتخذوا هذا سبباً لاشعال نار الفتنة بين أبناء العمومة في بغداد وقرروا مع الذين تبعهم من العبـاسيين هنـاك على

السعي لخلع المأمون ورشحوا للخلافة اخا هارون ابراهيم الذي كان فتى قليل التجارب كثير المطامع .

ولما وصلت هذه الاخبار إلى مسامع المأمون سافر الى بغداد لقمع الفتنة ، وعند وصوله الى سرخس دخل وزيره ومدبر اموره الفضل بن سهل إلى الحمام ليزيل عنه وعثاء السفر وهناك تصدى له بعض ناكري الجميل وقضوا عليه ، وقد تولى المنصب اخوه الحسن بن سهل .

وفي سنة ٢٠٤ تحرك غصن الشجرة المباركة وسلالة نبي الهدى الامام علي الرضا نحو بلدة طوس ولكن غدر به هناك وصار مشهده فيها مزاراً للخاص والعام ، ولما وصلت كتائب المأمون واقتربت من بغداد هبت على سكانها رياح الخوف والرهبة من انتقامه وأعلنوا تجديد الولاء والبيعة له واختفى ابراهيم عن الانظار ، ثم دخل المأمون بغداد بالحلة الخضراء التي اختارها عند تعيين ولي العهد وبعد مرور ثمانية أيام عاد إلى اختيار اللون الأسود وترك اللون الأخضر شعاراً للسادات العلويين .

وعند حلول سنة ٢٠٥ توفي الامام محمد بن ادريس الشافعي ودفن في قرافة مصر رحمه الله . أما ابراهيم المار الذكر فقد اطمئن نوعاً ما في اختفائه عن أنظار جواسيس المأمون ثم أراد أن يغير مكانه فخرج متخفياً مع ثلاث سيدات وفي طريقه قبض عليه العسس ولما تبينوا شخصيته أتوا به سحراً الى مجلس المأمون وبعد الكلام والعتاب عفى عنه واسدل الستار على ما مضى مراعاة لصلة الرحم .

يقول صاحب كتاب جامع السير انه في سنة ٢٠٩ بينما كان المأمون يتجول ذات ليلة صار مروره بقصر الحسن بن سهل الكائن في موضع يسمى قم الصلح مال اليه وهناك ابصر ابنة الحسن بوران فشغف بها حباً واختارها زوجة له وجرى عقده عليها وسرت الافراح والبشائر

إلى كل مكان ، وكانت الفتاة على جانب عظيم من الحسن والجمال بحيث كان الذي يراها من الملوك والسلاطين يتحسر عليها ، ومن شدة الفرح نثرت مبالغ جسيمة على الناس واعتق الخليفة الكثير من العبيد ووزع الكثير من الخلع على الكبير والصغير وانعم على بني هاشم والأمراء بالكثير من الهدايا والاعطيات ووضعوا البندق داخل اكياس من الورق ونثروها على الناس وكل من يحصل على واحدة منها يذهب الى وكيل الحسن بن سهل ويأخذ بدلها بندقة من الذهب ، وكذلك نثروا عليهم من شمام العنبر ونافجة المسك الاذفر ، الشيء الكثير .

وفي ليلة الزفاف نثروا على رأس العروس (١) بوران مائة جوهرة كل واحدة منها بقدر رأس العصفور ، وفي الدار التي يسكنها المأمون اقيمت الولائم والمآدب للخاص والعام وأمر ان يدفع هذه السنة خراج فارس والاهواز الى الحسن بن سهل .

وفي ليلة الزفاف أوقدت الشموع المتخذة من العنبر على شمعدانات

---

(١) يظهر أن عادة نثر الدراهم على العروس من العادات القديمة التي ما زالت جارية في بعض أنحاء البلاد العربية ، يقول المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني :

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة
كما نثرت فوق العروس الدراهم

ومن هذه العادة تولدت عادة نثر الحلوى على رؤوس الواقفين مع التغني بقولهم « خطار وأهليه . . . . » تتبعها زغردة النساء أعلاناً عن فرحة الناثر بنوال مراده وما كان يرجوه وهذه العادة مازالت موجودة في العراق خاصة في الارياف .

المترجم

مطلية وكل شمعة تزن أربعين منأ . وهذا اسراف ليس بعده اسراف .
ثم مرت الايام والشهور والاعوام وحلت سنة ۲۱۲ فقرر فيها المأمون ان الصدقة النبوية من فدك ينبغي ان ترد الى الفاطميين لانها من حقهم ولانها كانت قد استولى عليها المروانيون بعد خلافة ذي النورين رضي الله عنه ولكن ابن الشحنة يروي في تاريخه ان هذا جرى في زمن عمر ابن عبد العزيز وكانت احدى مناثره ، ويقول البعض ان هذه المأثرة صدرت من قبل الاثنين والعلم عند الله تعالى .

ثم سافر المأمون غازياً نحو بلاد الروم وأخذ منهم الكثير من الغنائم وسافر الى الشام ، ثم عاد منها أيضاً الى الروم وبعد ما انتصر عليهم توجه الى مصر وعند اقامته هناك اعترته رغبة جامحة في هدم الأهرام وبعد المشاق والاتعاب كشف فرجة من الاهرام وكان يعتقد بأنه سوف يعثر على الكثير من خزائن الفراعنة ولكن لم يجد سوى خابية بها بعض المسكوكات ولوحاً ثقيلا فيه كتابة حلّوا رموزها فوجدوها تقول أن هذه المسكوكات تساوي مابذل من المصارف على الهدم . وعندئذ كف المأمون عن فكرة مواصلة هدم الاهرام .

وفي هذا التأريخ انتقلت السيدة المعظمة زبيدة خاتون زوجة الخليفة هارون الرشيد الى دار البقاء وقد دفنت في الجانب الغربي من بغداد (۱) وللسيدة صاحبة العصمة ثلاثة أمكنة في طريق مكة المكرمة حفرت فيها الآبار لحجاج بيت الله الحرام ، أحد هذه الآبار ماؤها فيه عذوبة ورائحة عطرة يضاهي ماء عرفة ، ولكنها لم تتمكن من بناء هذه البئر في حياتها ،

(۱) جاء في كتاب تاريخ العراق بين احتلالين ج / ٥ ص / ۱۹۸ للاستاذ عباس العزاوي ان هذه التربة تعود الى زبيدة بنت هارون الجويني وامها رابعه بنت احمد ابن الخليفة المستعصم بالله . المترجم

وبما أن الامور مرهونة بأوقاتها فعند انتقال الحكم الى آل عثمان قيض الله لاكمالها إخترباي شاه بنت السلطان سليمان فاتمتها وقد أعانها أبوها وأخوتها وصارت القوافل تمر بها وتستمتع بعذوبة مائها .

ثم تحرك ركاب المأمون من مصر تحفه العظمة واتجه أيضاً نحو الروم ومن هناك كتب الى عامله اسحاق والى العلماء الأعلام يلزمهم بوجوب القول بخلق القرآن العظيم الشأن ، وبعد فراغه من الغزو ونجاحه بالظفر قرر العودة وفي طريقه عرج على بلدة طرطوس ونزل فيها ، وفي سنة ٢١٧ انحرفت صحته وازداد ضعفه وهزاله وصار طريح الفراش ولم يمض عليه بضعة أيام حتى أسلم الروح وهو متكىء على حائط محراب الجامع .

وكانت مدة خلافته عشرون سنة وستة أشهر وعمره ٤٨ سنة ، أما اسحاق السيء الاخلاق فقد جمع العلماء العظام وحاول حملهم على القول بما جاء في كتاب المأمون فلم يفلح لأن الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح وأتباعهما امتنعوا عن القول بخلق القرآن وخالفوا رأي المأمون فقيدهما وأرسلهما الى معسكر المأمون ليرى رأيه فيهما وفي طريقهما ورد خبر وفاة المأمون فاستقبلا هذا الخبر بسرور وعادا الى بغداد .

وبهذة المناسبة يروي الواقدي عن اصحاب السير قصة ثلاثة دراويش قال أحدهم كنا ثلاثة توطدت بيننا المحبة في الله واستحكمت الصداقة الخاصة فيما بيننا والف بعضنا بعضاً وكان أحدنا هاشمياً وكنت أنا أتفوق عليهم بفقري وفاقتي وضعف حالي وذات مرة قارب العيد وتحركت ألسنة أهل بيتي طالبين تهيئة ما يلزم لهم من لباس وغيره وألحوا في الطلب والتضرع فلم أجد حيلة لاقناعهم بالتمسك بالصبر أما الكبار منهم فقد رضخوا لحكم الواقع مكرهين ولكن الصغار لم استطع

اقناعهم ولم يحتملوا هـذا الحرمان ورفقاؤهم امام أعينهم وقد هيأ كل واحـد منهم ما يحتـاجه من ألبسة فاخرة للعيد فرأيت أن أكتب إلى صديقي الهـاشمي اعلمه بحالتي فلم البث ان رأيته قـد ارسل لي صرة تلمستها فوجدتها تحتوي على بعض النقود الذهبية ابدلت حزني سروراً وقلت في نفسي هاقد اصبحت مرفه الحال ومرتاح البال وتقدمت محاولاً فضها واستخراج مافيها ، وقبل أن أمد اليها يدي وردتني رسـالة من صديقي الثاني يشكو فيها شدة افلاسه واحتيـاجه الى شيء من النقود فقمت وأرسلتها اليه كما هي دون ان افتحها ، ويظهر ان صديقي الهاشمي كان قد أرسل في هذه الصرة كل ما يملك وبقي صفر اليدين مما اضطره إلى الكتابة إلى صديقنـا يعرض حاله ويطلب منـه ما يدفع به افلاسه ويقضي حاجته فقام هذا الصديق وأرسل اليه الصرة نفسها فلما وصلته ورأى الهاشمي ان صرته قد عادت اليه كما هي تعجب من هذا الاتفاق وطلب حضورنا وفتح الصرة أمامنـا وقسم ما فيها علينـا نحن الثلاثة بالتساوي فشكرنا الله تعالى وحمدناه .

وقد انتشرت هذه القصة بين النـاس حتى بلغت مسامع المأمون فاستدعاني وسألني عن واقعة الحال فأخبرته بتفاصيلها وعندئذ أنعم علي بثمانية آلاف درهم قسمتها على الوجه التالي : الفي درهم لام الاطفال ولكل واحد منا نحن الأصدقاء الثلاثة الفي درهم .

ولقد نقل الرواة ان المأمون كانت أخلاقه عالية وكان يتحلى بالكثير من الفضائل والمعارف وجبينه بالآداب سـاطع وقد حاز قصب السبق في السخاء والكرم ، ومالك الملك عفو رحيم والذي يلوذ بعفوه لا يذوق العقاب ، وقد أعطى في يوم واحد ثلاثمائة الف درهم غير انه حسب ما تواترت به الاخبار انحرف عن مذهب الأئمة باعتناقه دعوى

خلق القرآن والتزامه مالا يلزم ، ولم يكن له نظير في الملوك ، وفي زمنه توفى من مشاهير العلماء الحسن بن زياد تلميذ أبي حنيفة والشيخ ابو سليمان الداراني والواقدي والاصمعي وهشام النحوي والست نفيسة .

ظهور دولة آل طاهر

سبق أن تكلمنا عن الاختلال والاضطرابات التي وقعت في دار السلام وغيرها اثناء تولي الحكم فيها من قبل وكيل الخليفة طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي الذي صار فيما بعد اميراً للامراء واعتبر من أكابر رجال الدولة لخدماته ، والآن فان هذا الرجل بعد هدوء الحالة بقى مسلوب الراحة والامنية والطمأنينة خوفاً من ان يغضب عليه المأمون عندما يتذكر أخاه الامين لانه هو الذي قتله .

ولهذا ولكي يبتعد عن المأمون تشبث في النقل الى خراسان وفي سنة ٢٠٥ اجيب طلبه وعين حاكماً على خراسان ، وبعدما بسط فيها حكمه ومكث هناك قرابة السنتين سولت له نفسه ان يستقل بها وأمر الخطباء ان يقرأوا الخطبة باسمه وكان المومأ اليه قد فقد احدى عينيه واصيبت يده اليمنى بالشلل وسببها ان المأمون عندما اختار علي الرضا رضي الله عنه ولياً للعهد كانت يده اليمنى ممسكة بيد المأمون فقدم يده اليسرى للامام فاصيبت من ذلك الحين .

وبعد تنحيته عن الحكم عين المأمون بدله ابنه طلحة حاكماً على خراسان وذلك سنة ٢١١ وفي ذلك الزمان خرج عليه في سجستان شخص اسمه صخرة واراد ان يستقل ، ولاجل قمع فتنته تحرك بقواته نحوه ودحره وفي سنة ٢١٣ توفى وعين بمكانه ابنه علي وبعد مدة قليلة هجم

عليه جماعة من الناس وقتلوه وبعد وفاته عين عبد الله بن طاهر حاكماً على خراسان فأحبه الناس لانهم وجدوه عالماً فاضلاً وحاكماً عادلاً وأصبحت منطقة خراسان في زمنه مرموقة من قبل الآخرين .

وفي سنة ٢٣٢ توفى فعين الخليفة الواثق بالله طاهر بن عبد الله وهو أيضاً كان مصداقاً للمثل . الولد على سرابيه لعـدله وحسن ادارته وتدبيره ، وفي سنة ٢٤٨ توفى وعين المستعين بالله محمد بن طاهر بمكانه وهذا وان كان أديباً عاقلاً ولكنه مالت نفسه الى الملذات وبلهنية العيش وغفل عن تدبير الملك إلى أن تغلب يعقوب بن الرشيد المشهور بالصفار على منطقة سجستان .

أما طبرستان فقد تغلب عليها احد العلويين واسمه الحسن بن زيد واعلن العصيان وكذلك اضطربت الامور في جرجان وبظهور هـذه الشخصيات تزلزلت الارض تحت اقـدام محـمد بن طاهر وأرسل إلى يعقوب الصفار يسأله عما اذا كان عمله هذا بأمر من الخليفة فليبرزه ليطلع عليه وإلا فليكن على استعداد لنيل العقاب فأجابه الصفار بانه قام بهذا العمل بأمر سيفه ثم اتجه متقدماً نحو نيسابور ، وفي سنة ٢٥٩ تغلب الصفار على محمد بن طاهر وأسره هو وعشيرته وأقاربه وجماعته في سجستان وبهذا انتقل ملك آل طاهر الى الصفارين .

خلافة محمد المعتصم بن هارون الرشيد

بعد وفاة المأمون قرر ذووا الامر اقامة ابنه العباس وذلك سنة ٢٢٨ ولكن العباس رشح عوضاً عنه عمه المعتصم ولم يرغب هو في تولي الخلافة وجلس المعتصم على كرسي الخلافة بدله بموافقة الجميع وكانت خلافته

فاتحة خير للجميع ، وفي خلافته قام احمد بن أبي داود المعتزلي للمرة الثانية يطالب الخليفة بحمل احمد بن حنبل عليه الرحمة على القول بخلق القرآن وبسبب امتناعه ضرب وعذب ووضع القيد في معصميه ، ويروى انه عندما كانت تنهال عليه الضربات يبرىء ذمة المعتصم من مغبة موافقته على ضربه ، ولما سئل عن ذلك قال لا أريد ان اكون يوم المحشر خصماً لاحد اولاد عم النبي (ص) ولا أريد ان اوجه اليه العتاب امام الخلائق جزاه الله خير الجزاء وجعل الجنة مثواه .

وفي سنة ٢٢٠ توفى في بغداد تاسع الأئمة وهو الامام محمد التقي الجواد عليه الكرامة والرضوان ودفن بجوار جده الامام موسى الكاظم رضى الله عنه وعطر الله ثراه .

وبعد تولى المعتصم الخلافة اخذ يقلد سلاطين الروم والعجم في الفخفخة واظهار العظمة وجند من الاتراك ما يزيد على الثمانية عشر الف نفر وجاء بهم إلى بغداد ، وما استقر بهم المقام حتى راحوا يعتدون على الاهلين مما حملهم على رفع الشكوى ضدهم إلى أعتاب الخليفة مستغيثين به من شرورهم فأمر الخليفة عندئذ بانشاء مدينة سامراء التي تبعد عن غربي بغداد بثلاث مراحل وبعد اتمامها نقل عساكره الاتراك إليها وأنقذ بغداد منهم ، وفي الحق انه بعمله هذا كان مصيباً جداً . ولكن هذه البلدة التي اسكنها عساكره الاتراك ما فتأت ان اعتراها الخراب والدمار ولم يبق فيها سوى بضعة دور لسكن الخدم .

أما العباس بن المأمون فقد سعى به الى الخليفة بعض المفسدين وزعموا له انه اظهر الندم على تخليه عن الخلافة وانه يحاول الآن التشبث لاسترجاعها وتوليها ، فدبر المعتصم له وسيلة وأهلكه .

وفي سنة ٢٢٢ هجم قيصر الروم على الديار الاسلامية واسر وسبي

الكثير من السكان ولما سمع المعتصم شمر عن ساعد الجد وتقلد سلاحه وسافر على رأس جيوشه للانتقام وحاصر عمورية الواقعة قرب انقرة ، وبعد حصار دام شهرين تغلب عليها واحتلها وأسر من الروم مايتجاوز الستين الفاً وعاد منصوراً .

ثم سافر نحو اذربايجان لاطفاء الفتنة التي اثارها فيها منذ مدة المجوسي بابك وعاث فيها فساداً فانقذها بشجاعته وبسالة جنوده وشتته هو واهله وجماعته اذ فروا نحو بلاد الارمن وصاروا في قبضة رئيسهم سهل بن سيناط وهو احد بطارقة النصارى وهذا أتى به مع جماعته البالغ عددهم الاربعة الاف إلى الخليفة فتلقاه الخليفة ببالغ التبجيل والاكرام ورفع عن بلده الخراج وعاد إلى سامراء وهناك عقد الخليفة مجلساً عاماً ببيت :

« زين بشارت كز چمن اردمرا هردم نسيم ميزند اشجار سرها برزمين »

وجيء ببابك وبعد محاكمته والسخرية به واذاقته أنواع المذلة والاهانة اعدم وصار عبرة للمعتبرين .

ثم مال الخليفة نحو اللهو والطرب ولكن بعض اخلاقه كانت محمودة ، وكان متصفاً بالشجاعة والاقدام غير انه كان قليل البضاعة في العلوم والمعارف وكان بدرجة من القوة بحيث يمسك القطعة النقدية ويفركها باصبعه فيزيل ماعليها من كتابة ، ويده كيد الاسد في البطش والقوة وكان يرفع بها ثقلاً بقدر الف رطل وكان الثامن من أولاد العباس ومدة خلافته ثمانية اعوام وله من الاولاد ثمانية ولذلك لقب بالمثامن وقبيل افول شمس حياته يقال انه رجع عن القول بخلق القرآن .

وكانت وفاته سنة ٢٢٧ في سامراء حيث دفن فيها .

خلافة الواثق بالله هارون بن المعتصم

بعد وفاة محمد المعتصم تولى بعده الواثق بالله هارون بن المعتصم الذي كان يواصل ليله بنهاره في اللهو والمجون واقام في بغداد واعاد القول بخلق القرآن وتعصب له ، واتخذ من أحمد بن أبي داود المعتزلي الحلي معتمداً له وقبض على احمد بن نصر الخزاعي من رجال الحديث وسفره الى سامراء حيث قتل هناك .

وكذلك القى القبض على استاذ أبي داود النسائي عبد الله بن محمد الازدي وجيء به امام الواثق ، ولما مثل بين يديه سئل عن رأيه في هذه العقيدة فوجه جوابه إلى أحمد بن أبي داود قائلاً : ان هذه المسألة التي ابتلى بها المسلمون عامة هل كان النبي المبعوث الى الامم كافة والذي خاطبه الله بقوله وعلمك مالم تكن تعلم والذي اوتى جوامع الكلم وبهر ذوي العقول من عرب وعجم ، ذلك النبي الامي صلى الله عليه كل غداة وعشى . هل كان يعلم بها ؟ وقد وجه سؤاله هذا باسلوب لطيف حكيم فقال المعتزلي نعم فسأله اذا كنت تعترف بأنها لم تفت علمه فماذا قال عنها ؟ فأجاب بانه لم يرو عنه انه تكلم عنها لاحد ! فقال عبد الله ايها الرجل اذا كان نبي الامة ينزل عليه الوحي كل حين لم يقل شيئاً عنها ولم يلزم أحداً بالقول بها فما شأنك أنت في امر لم يرو عن النبي فكيف تريد أن تحمل الامة على القول بها وما شأنك أنت في امر لم يرد عن النبي وتريد ان تجعل الامة تعتقد به ؟ .

ولما كان الحق يعلو ولا يعلى عليه فقد ظل ساكتاً ساهياً ذاهلا ، وعندئذ انبسطت اسارير الواثق واكرمه وقدمه بكل تبجيل واحترام ،

اما المعتزلي فقــد انكسر واهين وطرد من المجلس . واكرم العلماء وتلاميذهم وخصص لهم معاشهم بحيث لم يترك احداً منهم محتاجاً .

وقد كان هذا الخليفة كريماً فاضلا عادلا لم يظلم احداً ولم يعتد على احــد وكان محباً للعلم والعلماء ويعظم الاشراف العلويين ويجزل عطاياه لاهل الحرمين ، غير انه كان مبتلى بالنهم في المأكولات ولا يبالي في ادخال الطعام على الطعام حتى اصيب بمرض الاستسقاء ، وقد تمكن احد اطبائه الحاذقين من شفائه لكنه رجع بعد حين الى عادته في التهام الطعام بكثرة وعاوده المرض .

وفي سنة ٢٣٢ انتقل إلى دار الآخرة في سامراء ودفن فيها وكـان كريم الاخلاق كما قلنا ونادرا ما يوجد مثله في السخاء ، وكان مجلسه لا يخلو من العلماء والحكماء ، وكان يذاكرهم ويذاكرونه في العلوم العقلية والنقلية وقد تكلم عنه كثيراً صاحب كتاب جامع السير ، وكانت مدة خلافته خمس سنوات وتسعة أشهر وعمره اثنان وثلاثون سنة .

خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم

لقد تولى الخلافة بعـد الواثق المتوكل على الله جعفر بن المعتصم الذي ابطل ما كان يعتقده اسلافه من البدع التي أتى بها المعتزلة . غير ان خميساً يروى انه صار على مذهب النواصب .

وفي سنة ٢٣٤ اظهر بغضه لرابع الخلفاء على المرتضى كرم الله وجهه واضمر العداء لسلالة أهل الكساء وحشر نفسه مع اهل الشقاء وأمر بهدم مرقد الامام الحسين (رض) وهدم الصحن وما يحيط به من بيوت الفقراء المجاورين وساواها بالارض ، وأغضب بعمله هذا الانس والجن

وبسبب عداته القديم لمحمد بن عبد الملك الزيات قتله وهو في السجن .

وفي سنة ٢٣٥ أمر بتبديل زي أهل الذمة لازالة الالتباس ومنع الناس من التعامل معهم بالبيع والشراء ومنع استخدامهم في الدواوين وان تكون ابواب دورهم مساوية للارض ومنعهم أيضاً من دخول الحمامات وعاملهم بكل ازدراء وهوان واصدر فرمانا بذلك بيت :

انكه توخواهى نه همان ان شود انكه خداخواست همان انشود(١)

وقد عهد لكل من ولديه المنتصر والمعتز بولاية العهد على الترتيب أما أولاده الموفور والمعتمد فقد حرمهما من ولايه العهد ولكن بقضاء الله وقدره كانت مدة حكم المنتصر والمعتز قصيرة جداً ، ونحى المؤيد من كرسي الخلافة ، واستولى عليها الموفق وأولاده ، وكان للمتوكل في القيروان ثمانية عشر قرية أتى عليها الزلزال ولم ينج من سكانها سوى اثنين وأربعين نفراً .

وفي سنة ٢٤٢ وقعت صاعقة عظيمة في بلدة اخلاط دمرتها وقتلت نصف سكانها ودمرت أيضاً ثلث بلدة بسطام بالسيول ، وحدثت في أقطار الارض وافاقها الكثير من الامور الغريبة التي ارعبت الناس وحيرتهم وانخسف الكثير من الجبال الراسيات .

ومنذ خلافة السفاح الى هذا التاريخ أي سنة ٢٤٤ كان أقرباء الخلفاء وامراؤهم من العرب الموالين لبني العباس يتعاورون على حكم مصر بموجب القوانين التي يصدرها الخلفاء من حين لآخر . ثم اخذ يحكمها جماعة من الاتراك . وكان المنتصر ابن المتوكل قد عزل عن ولاية العهد

---

(١) معناه ان الذي تريده انت لا يكون وانما الذي يريده الله هو الذي يكون المترجم

وتركها للمعتز فكان موضع ازدراء من أبيه الذي كان يتهكم عليه امام ندمائه وفي مجالس انسه وطربه فصار ينفر من تصرفات أبيه وينتقده عليها ثم اتفق مع جماعة من الاتراك وتآمر معهم عليه ولكن حكمة الله قضت بأن لا تصيبه السيوف الموجهة اليه ونجا منهم باعجوبة .

غير ان احد خدمه المسمى باغر وهو من الترك والذي اكتسب ثقة الخليفة خرج عليه ذات ليلة مع عشرة من الاتراك وهجموا عليه بسيوفهم وقتلوه وهو على سريره وكانت في مجلسه جاريته قبيحه ، وكان فى مجلسه أيضاً جماعة من الفضلاء يقصون عليه أخبار الملوك الغابرين . ومن هؤلاء الفتح بن خاقان وقد بوغتوا بهذا الاعتداء الغادر ورمى الفتح نفسه على الخليفة قائلاً لا اريد الحياة بعدك فقتله المهاجمون ايضاً .

ومما يروى ان المتوكل كان من عادته ان يداعب جلاسه في بعض الاحيان ويباغتهم بتعريضهم للحيوانات المفترسة ويلقي العقارب والحيات عليهم ثم يداوي جراحاتهم بالمراهم اما الملدوغين فكان يداويهم بالادوية وكثيراً ما كان يأتى بالقناني المملوءة بالحيات والعقارب ويلقيها عليهم فلم يقدر احد منهم على الحركة والهرب ذهولاً واندهاشاً ، وفي احدى هذه المجالس دخل عليهم خادمه باغر شاهراً سيفه فظن الحاضرون ان المتوكل كعادته احضر افعى لتخويفهم فصاح باغر قائلا يا اميرنا لقد ذهب زمن التلهي بجلاسك وتخويفهم والآن جاء دور السيف فانقذ نفسك منه ان استطعت فأجابه المتوكل بقوله ماهذا الهذر وما كاد يتم كلامه حتى انهالت عليه السيوف وانقطعت انفاسه .

لقد هلك المتوكل سنة ٢٤٧ ومدة خلافته على قول المسعودي ١٤ سنة وتسعة اشهر وتسعة أيام ، وكان عمره ٤٤ سنة وقد ارتفع في زمنه جدل العلماء ومناظراتهم وأبحاثهم وعاد الناس يرتشفون العلم من

المجتهدين الأئمة الاعلام بأمر منه ، وكان الناس في أيامه على أحسن حال وفي سنة ٢٤٠ كان مجلس الامام احمد بن حنبل محط رحال الخاص والعام ويصلى خلفه من الخلائق مايتجاوز عددهم الثمان مائة الف وكان من أكثر الأئمة تقليداً ، وفي سنة ٢٤٣ توفى القاضي يحيى بن أكثم وفي سنة ٢٤٤ توفى فريد عصره ذو النون المصري وفي هذه الأيام توفى من المشاهير الشيخ حاتم الاحيم وابو عثمان المازني واسحاق الموصلي نديم الخليفة .

خلافة المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن المتوكل

وتولى الخلافة بعد الراحل المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن المتوكل وعند توليه انعم على حاشيته والغى أساليب أبيه وطريقته الممقوتة . وسلك بالرعية مسلكاً مرضياً واحسن إلى العلويين وقربهم واكثر من تكريمهم وتعظيمهم وأجزل لهم العطاء ورفع من قلوبهم الكدر الذي نالهم من جراء تصرفات أبيـه وعمر أضرحة ومراقد الامام الحسين رضي الله عنه وشهداء كربلاء وظل يتفقدها ويرعاها ، واذن بزيارتهم كالسابق .

ومن غريب الاتفاق ان احد ملوك الفرس القدماء المسمى شيرويه كان قد قتل أباه ابرويز في مكان يقال له مارجوبه ثم اندثر وقد بنى المتوكل في ذلك المكان قصراً فخماً كان يقضي فيه بعض أوقاته ، وقد حدثت الموقعة فيه ، فلما تولى المنتصر الخلافة بعد مقتل أبيه بسبعة أيام أمر بهدمه وعاد نحو دار الخلافة .

ويظهر من رواية محمد بن سهل انهم وجدوا داخل احد جدرانه

بساطاً مصوراً وفيه صورة ملك كتب تحتها ان قاتله لا يعيش بعده اكثر من ستة أشهر ! فلما قرأها المنتصر تشائم مع كونه كان قد اندفع إلى هذا العمل باكراه من أكابر رؤساء الترك ، ثم احرق البساط وأمر بهدم القصر ، وقد توفى الوزير احمد بن الخطيب وتشتت سائر أهل الفساد وتنحى المعتز والمؤيد إذ أجبرهم الترك على التنازل عن ولاية العهد ونصبوا ابن المنتصر عبد الوهاب بدلاً عنهما ، وبحكمة الواحد القهار ان هؤلاء كلهم لم يذوقوا طعم الراحة والهناء .

يقول المؤرخون ان الخليفة المنتصر قضى في خلافته ستة أشهر وفى سنة ٢٤٨ توفى وقد قيل انه مات مسموماً وفي قول آخر ان الحمى او مرض السرسام قضى عليه ، وكان المومأ إليه أديباً مثقفاً وشجاعاً وكان يقضي اوقاته مع اصدقائه الطيبين وكان كريماً وتوفى عن عمر ٢٦ سنة وخلافته ستة أشهر .

خلافة المستعين بالله احمد بن محمد المعتصم

وتولى الحكم بعده عمه المستعين بالله احمد بن محمد المعتصم لانه اعتمد على الترك فساعدوه ، وبتحريضهم سجن المعتز والمؤيد سجناً مؤبداً .

وفي سنة ٢٤٩ ثار يحيى العلوي في الكوفة وأعلن الاستقلال ولكنه توفى بعد امد قصير ، ثم ثار الداعي إلى الحق العلوي وهذا أيضاً توفى وثار بعدهما الحسن بن زيد واستقل في طبرستان ودام حكمه هناك تسع عشرة سنة ثم توفى بأجله وتولى بعده اخوه محمد بن زيد وامتد حكمه لمدة ثماني عشرة سنة وقضى عليه محمد بن هارون بمعاونة اسماعيل السامانی .

وفي سنة ٢٥١ تآمر كل من باغر الذي قتل المتوكل هو وجماعة من الترك على قتل المستعين ومعاونيه بغاووصيف (١) وتنصيب خليفة آخر بمكانه لكي تكون لهم الكلمة المسموعة بين الناس بعد حصر الحكم بأيديهم ، ولكن هذه المؤامرة قد وصلت أخبارها إلى مسامع المستعين ووصيف ، فألقى القبض على باغر وزج في السجن تمهيداً لاعدامه ، فلما علم الاتراك هجموا على اصطبل الخليفة وامتطى كل واحد منهم جواداً وتجمهروا على باب الخليفة ولاجل تخويفهم امر بقتل باغر ولكنهم ازدادوا ثورة وهيجاناً واضطروا الخليفة الى الهروب من سامراء هو ووصيف واتباعهما متجهين نحو بغداد .

وبسبب هذه الحركة وخطورة نتائجها ندم الترك الثائرون على فعلتهم وانتخبوا وفداً من بينهم وارسلوه إلى الخليفة ليتشفع لهم ويطلب العفو والمغفرة والتمسوه العودة إلى سامراء معززاً مكرما ، ولكن الخليفة لم يجبهم إلى مطلبهم وأوعز إلى محمد بن طاهر أن يخبرهم بذلك وعادوا بالفشل في مهمتهم إلى سامراء وأخبروا جماعتهم بالنتيجة .

ولما يئسوا من عودة الخليفة قاموا باطلاق سراح كل من المعتز والمؤيد وبايعوا المعتز بالخلافة ، فلما وصلت هذه الاخبار إلى مسامع المستعين اضطرب لها وعزم على قتالهم واوعز بالاستعداد للحرب وجدد أسوار بغداد وحصنها ونصب المنجنيق عليها واتخذ ما يلزم للدفاع إذا اقتضى الأمر ، وقد أناط هذه المهمة بمحمد بن عبد الله بن طاهر ، وعندما علم المعتز بهذه الاستعدادات استعد هو الآخر وعين أخاه احمد

(١) يقول شعراء ذلك الوقت لما رأوا الخليفة مغلوباً على أمره :

خليفة في قفص ، بين وصيف وبغا يقول ما قالا له ، كما تقول الببغا .

المترجم

المؤيد قائداً على جيشه البالغ خمسين الف مقاتل واتجـــه نحو بغداد وحاصرها ثم التحم به المسؤول عن حماية بغـداد ودارت الحرب بين الطرفين وسقط الوف القتلى من الجهتين واستمر الكر والفر والأخذ والرد بينهما لمدة شهر أصاب الناس خلاله ضيق شديد وقحط في الأرزاق حتى اضطر السكان الى أكل الميتة ، وبعد ذلك ظهرت خيانة محمد بن الواثق اذ فر نحو قوات المعتز والمؤيد وتبعه كل من بغا ووصيف اذ كانا يدوران حيثما دارت مصالحهما الذاتية وتبعهم بعد ذلك محمد بن عبد الله بن طاهر الذي كان مسؤلا عن حماية بغداد وعن قيادة الجيش واتفق مع المعتز والمؤيد على ما اشترطا عليه . بأن يتعهد اليه الوزارة اذا بايع المعتز وخلع بيعة المستعين .

وأخيراً انتصر المعتز واستولى على دست الحكم وتقلد الخلافة بمعاونة محمد بن عبد الله وبغا ووصيف وفر المستعين الى جهة مجهولة ثم قبض عليه في واسط واودع السجن .

وفي عام ٢٥٢ أمر المعتز بجلبه الى سامرا ، وفي الطريق وبأمر من المعتز قتله الحاجب سعيد غيلة وغدرا وجيء بجنازته الى بلدة سامراء حيث دفن فيها . وكانت مدة خلافته عشرة سنوات وتسعة أشهر وعمره أحدى وثلاثون سنة ، وكان رجلا كاملا وعاقلا فاضلا . وفي الكرم بلغ حد الاسراف .

خلافة المعتز بالله محمد ، وقيل الزبير بن المتوكل

وقد جلس المعتز بالله على كرسي الخلافة وأقيمت لـــه الافراح والاحتفالات وعين أحد الذين استعان بهم على خلع المستعين وهو محمد

ابن اسرائيل وزيراً للخلافة وعهد حكم بغداد الى محمد بن عبد الله بن طاهر على حسب الاتفاق معه فيما سلفاً وأهمل بغا ووصيف ولم يعهد اليهما بمنصب من مناصب الدولة في وقت كانا يترقبان المكافئات من المعتز . وقد أمر برفع اسميهما من سجل أرباب السيف والوظائف حتى التي كانا يمارسانها وأوعز الى حاكم بغداد محمد باعلامهما بذلك فتقدم اليهما وأعلمهما بأمر المعتز بكبرياء وعظمة وسيماء الغدر والخيانة تلوح عليه ، ثم رأى الخليفة أن بقائهما مطلقين لا يخلو من محذور فأوعز الى محمد بازالة وجودهما ، ولكن محمداً أخفى عنهما هذا الأمر ، وتوسط الوزير محمد بن اسرائيل لدى الخليفه بالعفو عنهما منعاً من اثارة الفتنة مع الترك ، ثم حضر كل من بغا ووصيف مع جماعة من الترك الى دار الخلافة ملتمسين الموافقة على العودة الى سامراء ولكن الخليفة لم يلتفت اليهم ولم يعرهم اهتماماً ، وبعد الحاح والتماسات أجاب للطلب ولكنه كتب الى حاكم بغداد محمد يمنعهما من السفر فراح هذا يقنعهما بلين الكلام بأن من مصلحتهما الانتظار في بغداد لمدة قصيرة فلم يفد معهما كلامه وسافرا الى عاصمة الخلافة ، وهناك اندفعا يثيران الفتنة للقيام بحركة كالحركة التي قاما بها زمن المستعين في الوقت الذي كان فيه الأمر بيد الترك تماماً ذلك لأن المعتز كان قد نصب أحمد بن طولون نائباً عنه هناك ، ومن جراء هذه الفتن والاضطرابات ساءت أخلاق المعتز وتبدل ولم يعد يبالي بنقض العهود والوفاء بالوعود لا سيما وأنه قتل الخليفة السابق المستعين بالله وحبس المؤيد والموفق وشطب اسم المؤيد من ولاية العهد ، ثم لما رأى ميل الاتراك الى المؤيد قبض عليه بعدما أذاقه مر العذاب ونفى الموفق الى

البصرة ، مثال « هرجه كنى بخود كني كرهمه نيك وبدكنى (١) »
وعلى هذا لقيا جزاء ماصنعت يداهما .

ثم بعد مرور أربعة اشهر ساء حالهما وكتبا الى الخليفة يلتمسانه اطلاق سراحهما واعادتهما ، وكانت الفتن تغلي في ذلك الوقت فرد عليهما بخشونة واخيراً فرّا من سجنهما واختفيا في احدى المحلات ، ولما علم بهروبهما هجم عليهما بعض الأشرار وقتلوهما بايعاز منه ، أما بغا فقد فرّ نحو الموصل غير انه لما سمع بان غلمان الخليفة قد هجموا على قصره ونهبوه عاد وفي عودته القى القبض عليه وجيء به الى بغداد وفي الطريق هجم عليه العوام من أهل بغداد وقتلوه واحرقوا جثته .

لقد انقرض الذين كانوا يدبرون أمور الدولة بحرص واخلاص ويسعون لخيرها بامانة ونوايا حسنة واستولى عليها الطامعون من الترك الذين اندفعوا يأخذون الرسوم والاموال من الرعية بأية وسيلة كانت ولما صار الأمر والنهي بأيديهم قبضوا على وزير الخليفة محمد بن اسرائيل ورؤساء الديوان وزجوا بهم في غياهب السجون ، ولم يكتفوا بهذا بل قام صالح بن وصيف ومحمـــد بن بغا وجماعتهما وهجموا على دار الخلافة وجذبوا المعتز من تخته واهانوه بالضرب والاهانات واجبروه على التنازل عن الخلافة ثم ساقوه الى السجن وارسلوا في طلب المهتدي محمد بن الواثق من بغداد لكي يبايعوه بالخلافة .

ويقال ان الترك قبل خلع الخليفة المعتز طلبوا منه خمسين الف دينار لكي يدبروا أمر مقتل صالح بن وصيف ، ولما كان الخليفة معسراً ولا يملك المبلغ المذكور في ذلك الوقت فقد طلب من امه قبيحة ان

---

(١) ان معنى هذا المثل مقتبس من الآية الكريمة : من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها . . . المترجم

تقرضه هذا المبلغ وكانت الام غافلة عما يحاك في الخفاء فاعتذرت بعدم وجود المبلغ المطلوب لديها ، ولما خلع المعتز وجدوا في خزانتها عدا الجواهر ثلاثمائة الف دينار عداً ، ولما احضر المهتدي امتنع من قبول الخلافة وطلب أولاً احضار المعتز ، فلما احضر من سجنه بثيابه الرثة قام له المهتدي بالتعظيم والتجلة واجلسه بجنبه وبكل احترام راح يحادثه ويسأله عن حاله فاظهر له المعتز عجزه وعدم قدرته على تحمل اعباء الخلافة فقال له المهتدي انني حضرت الى هنا لازالة سوء التفاهم الحاصل بينك وبين الترك وازالة ما علق في القلوب واعادة الامور الى مجاريها الطبيعية من المصافات والالفة فاجابه بانه هو الآخر يرغب في ذلك ولكنه لم يجد ذلك الرجل الـــذي يتوسط لهذا العمل وانه تنازل عن الخلافة ولايريد العودة اليها فقال له المهتدي اذا كان الأمر كذلك فارجو الآن عفوي من ربقة مبايعتك وقد برئت ذمتي منها ، ثم اعيد المعتز الى سجنه فوراً وقطع عنه الطعام والشراب وفي سنة ٢٥٥ قضى نحبه .

وممن توفى ايام خلافته الامام علي الهادي العسكري والتحق بجنات النعيم ودفن فى سامراء وذلك سنة ٢٥٢ عن عمر احدى وأربعين سنة .

خلافة المهتدي بالله محمد بن الواثق

بعد وفاة المعتز تولى الخلافة المهتدي بالله وقرأت الخطبة باسمه وقام ببسط بساط العدل بين الناس ومنعهم من تعاطى المنكرات وان يتمسكوا بأوامر الشرع الحنيف وخصص محلا لذوي الحاجات الذين لديهم ما يعرضونه من الشكاوى فى دار الخلافه وراح يمارس شخصياً الأحكام ويفض المنازعات بينهم والغى الألبسة التي ترتدى للطعام ورفع

من الدار الستائر التي عليها صور وابطل عادات الملوك في مثل هــذه الأحوال تلك العادات التي لا يرضى بها الشرع ، وكان يكثر من الصيام وقيام الليل ، وكان في جميع أحواله أشبه مايكون بعمر بن عبد العزيز الأموي لاسيما في عدله وصار مثالاً يحتذى به من قبل العباسيين ، ثم تآمر الترك على خلعه وانتقضوا عليه وفى سنة ٢٥٦ هجموا عليه وقتلوه ، وكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً و ١٧ يوماً وعمره ٣٩ سنة .

خلافة المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل

وظهور الزنج وحكومة الصفارين وآل سامان

بعد ارتحال المهتدي الى دار البقاء تولى الخلافة المعتمد بعون الله أحمد بن جعفر المتوكل ، وعلى جاري العادة قام ببعض التبدلات اذ عهد بمنصب الوزارة الى عبد الله بن خاقان وعين أخاه موفقاً نائباً ومفلح التركي قائداً للجيوش . وفي سنة ٢٥٥ ظهر من جانب البصرة ولأهواز رجل أسود يقال له علي صاحب الزنج فأرسل قوة لايقافه عند حده بعدما أخذ يتقدم بالمكر والحيل ، وكان على رأس هذه القوة مفلح التركي الذي راح يناوشه القتال اما موفق فقد اتجه عن طريق واسط ومن هناك سار بواسطة السفن نحو جهة هرمز وهناك بينما كان يجمع السفن والمقاتلين للهجوم على العدو لم يشاهد الا والخيام قد شبت فيها النار واحرقتها واحرقت ما فيها من امتعة وعتاد الامر الذي حال دون التصادم مع العدو وعاد ادراجه نحو سامراء ، وفى هذه الظروف من سنة ٢٦٢ استولى على عراق العجم يعقوب بن ليث الصفاري وتحرك نحو بغداد مما اوجب ان يتجه موفق مع عساكره البحرية لمقابلته وجعل مقره في

اطراف واسط وكانت النتيجة ان الظفر كان حليف موفق ورجع يعقوب مدحوراً الى خراسان .

لقد كان والد يعقوب صفاراً في ضواحي سجستان ثم ترك هذه المهنة وسلك طريق الشقاوة واستولى على الكثير من أموال الناس التي نهبها ثم التحق بجيش درهم بن نصر بن رافع بن ليث بن نصر بن سيار برتبة عريف وظل يتقدم حتى صار أميراً وبعد وفاته صار ابنه يعقوب بمكانه ، ولما توفى درهم خرج عليه أبناؤه نصر وصالح ، وفي سنة ٢٣٧ تقدم نحوهم الى سجستان واستولى عليها وحكمها ومال الناس الى حكمه بعد ما استأصل كلاً من نصر وصالح بمختلف الطرق ثم اتجه نحو خراسان واستولى عليها وصار حاكماً فيها بعد أخذها من أيدي آل طاهر ، وسار بعدئذ نحو فارس وشيراز وأسر حاكميهما وضم المنطقتين الى ملكه ، واضطر الخليفة المعتز أنذاك الى الاعتراف به ، ثم اتجه نحو العراق ومازندران وقاتل واليهما الداعي الى الحق حسين بن زيد الباقرى وتغلب عليه ، ثم أخذته نشوة الظفر وأراد أن يستولي على البلاد العربية ، وفي زمن المعتمد انكسر امام موفق وعاد مخذولا ومجروحاً نحو خراسان ، وبينما كان يفكر في اعادة الكرة في الهجوم على البلاد العربية وافته المنيه وذلك سنة ٢٦٥ في اطراف رستاخون ، وكانت مدة حكمه ١٢ سنة ثم تولى الحكم بعده أخوه عمرو بن ليث على خراسان والعراق وفارس وكرمان وسجستان وقهستان ومازندران وغزنه ، وكان اسمه يذكر في الخطبة مع اسم الخليفة . ولم يقنع بهذا بل أخذ يحاول الاستيلاء على بلاد العرب ، فلما سمع الخليفة المعتضد بمقاصده التوسعية أوعز الى حاكم ما وراء النهر الأمير اسماعيل الساماني أن يسافر على رأس قوة كافية الى هذا الطامع والقضاء عليه ، ولما اصطدم الفريقان

وقامت الحرب بينهما على قدم وساق خانت قوات عمرو وانقلبت عليه وانخذل تجاه قوة الامير اسماعيل ووقع أسيراً وتمزقت جيوشه شذر مذر وبعد ما ظل سجيناً مدة جيء به الى بغداد وأحضر أمام المعتضد وهناك ايضاً وضع القيد في معصميه ثم قتل .

لقد كان الموما اليه اعوراً وكان جسوراً ومقاتلا مرهوباً وقد دام حكمه ٢٢ سنة ثم اعيد طاهر بن محمد بن عمر الذي كان مقيماً في سجستان الى الحكم وبعد سنة ازاحه الامير اسماعيل ثم قام من بعده في حكم سجستان من عائلة أحمد وابنه خلف ونصر بن طاهر وطاهر ابن خلف ثم انتهى حكمهم .

وفى سنة ٣٣٠ تولى الحكم بعض أقربائهم بلقب شاه .

ولنعد الى موضوعنا السابق فنقول ان صاحب الزنج استغل فتنة يعقوب بن ليث الصفار وتقدم يفتح البلاد الواحدة بعد الأخرى واتباعه يعيثون فى الارض فساداً ويتعرضون بالعباد ويغيرون على المدن والاطراف الامر الذي اشغل بال الخليفة المعتمد فسيّر لقمعه قوة عسكرية بقيادة أبي العباس بن الموفق وراحت تناوشه القتال دون التوصل الى نتيجة فعززت هذه القوة بقوه أخرى تحت قيادة الموفق الذي اتجه مسرعاً نحو واسط ونصب خيامه بمكان يبعد عنها فرسخاً واحداً وهناك التقى بالعدو الذي حصن نفسه بقلعة بناها هناك يصعب الاستيلاء عليها فبدأ يناوشه ويضيق عليه الخناق وأوقع به وباتباعه المنتشرين كالجراد مابين الكوفة والبصرة وفي البطائح والاهواز والجزائر موقعة مذهلة شتت بها شمله ومزق جنده تقتيلا وتشريدا واسر معظمهم وأطلق ما كان بأيديهم من الاسارى المسلمين نساءاً واطفالاً وبعث بهم الى ذويهم ، ثم صار الموفق امام صاحب الزنج وجهاً لوجه وظل يصاوله

ويطارده إلى أن ظفر به وقضى عليه وشتت جموعه واتباعه وجعلهم كبنات نعش .

وفي سنة ٢٦٠ عقد المعتمد مجلساً وقرر ان تكون ولاية العهد لابنه جعفر ثم لاخيه الموفق وانعم عليهما غير ان الموفق توفى قبل تولي الحكم ودفن في رصافة بغداد .

وفي التاريخ المذكور توفى الامام الحادى عشر من الأئمة الاثنى عشر الحسن العسكرى في سامراء والتحق بالرفيق الأعلى ، اما الامام الثاني عشر المتمم لبروج فلك اهل البيت الامام محمد المهدي بن الحسن العسكري الذي سطعت عليه منذ الصغر انوار العلوم والحكمة وبدرت منه انواع الكرامات والمناقب فقد اختلف فيه المؤرخون وقال أكثرهم انه غاب عن الانظار في سنة ٢٦٤ ولا يعلمون عن مصيره شيئاً .

وفي سنة ٢٦١ توفى المرشد الكبير بايزيد البسطامي وقد حضر دفنه جامع الصحيح مسلم النيسابوري ، وفي التاريخ المذكور اتسع ملك أولاد أسد بن سامان في خراسان بفضل انتخاب أبيهم من قبل المأمون لهذا المنصب .

ان جد هذه الطائفة أحمد بن أسد بن سامان يرجع نسبه إلى بهران چوبين الذي كان جمالاً في بداية امره وبعدئذ صار من ابرز العيارين العالميين في الشجاعة والاقدام وظل يخدمه الحظ ويتقدم الى ان استولى على مدينة اشناس وتولى الخليفة المأمون رعاية ابنه وتثقيفه والحقه بوالي خراسان طاهر ذي اليمينين ، وهناك برزت مواهبه وعين من ابنائه نوحاً حاكماً على سمرقند واحمد حاكماً على فرغانه والياس على اشناس ويحيى على هرات .

وفي سنة ٢٦١ صار نصر بن احمد والياً على ما وراء النهر في زمن

المعتمد ، اما اخوه الامير اسماعيل فقد اضطرب حكمه في بخارى وحصل بينه وبين اخوته تنافر وجفاء بسبب سعي المفسدين واستولى على ملك ما وراء النهر ونحى نصراً عن الحكم وجعل اسماعيل مدينة بخارى مقراً وعاصمة لملكه .

وفي سنة ٢٧٩ ارتحل المعتمد الى دار البقاء اذ وافته المنيـــة في بغداد فجأة وأرسلت جنازته الى سامراء حيث دفن هناك ، وتولى الخلافة بعده المعتضد الذي أعاد للخلافه رونقها ، وفي زمنه قام الأمير اسماعيل بتنحية عمر بن ليث الصفار وقرىء اسمه في الخطبة مع اسم الخليفة المعتضد وذلك لخدماته السابقه المشكورة وظل ملكاً على ايران سبع سنوات .

وفي سنة ٢٩٥ ارتحل الى دار البقاء وعين الخليفة المكتفى ابنه احمد ملكاً على خراسان وعلى منطقة طوران ، وفي سنة ٣٠١ قتله خدمه الناكروا الجميل اثناء ما كان نائماً ، وتولى بعده ابنه نصر بن احمد وقضى على قتلة ابيه ، وفي أيام حكمه فرّ بوجه الثائر ماكان بن ماكان الديلمي الذي تمكن بطريقة ما من جعل خراسان تحت قبضته ثم تمكن نصر من تجهيز قوة كبيرة عليه برئاسة احد امرائه المدعو امير علي الذي تمكن من دحره وقتله وفرق اتباعه .

وفي سنة ٣٣١ توفى نصر وجلس بمكانه ابنه نوح وهذا ايضاً توفى سنه ٣٤٣ وتولى بعده ابنه عبد الملك وفي عهده صار التبكين والياً على خراسان ، وفي سنة ٣٥٠ كبا به جواده فسقط ومات ، وتولى بعده اخوه منصور بن نوح وبعد بضعة سنوات اراد احضار التبكين والي خراسان ولكن هذا خوفاً من عاقبة هذه الدعوة استصحب معه مقدار الف رجل من اتباعه واتجه بهم نحو غزنين وعندئذ اودع منصور حكم خراسان الى

ابي الحسن سمجور الذي راح يتعقب التبكين لاستئصاله ، والتقى به بالقرب من بلخ ، ولكن سمجوراً هرب من أمامه ودخلت غزنين في ملك التبكين وعندئذ قام الأمير منصور بتجهيز قوة عليه للمرة الثانية ولكنها خذلت ثم انتهت الحرب بين الاثنين .

وفي سنة ٣٦٥ توفي الامير منصور وتولى الحكم بعده ابنه نوح بن منصور الـــذي أصدر أمراً بتعيين سبكتكين اميراً على غزنة باقتراح من امراء خراسان وصارت منطقة خراسان نصفها بيده والنصف الآخر بيد ابنه محمود ، وفي زمن حكم محمود برز سبكتكين وسجل اسمه في سجل الملوك وفي سنة ٣٠٧ توفي نوح ايضاً في بخارى وتولى ابنه منصور الثاني ، وبعد مرور سنة قتله امراؤه غدراً ونصبوا بدله اخاه عبد الملك بن نوح ولكن هذا اصطدم مع السلطان محمود حول الاستيلاء على خراسان وبعد حروب كثيرة فرّ عبد الملك مخذولاً نحو بخارى .

وفي سنة ٣٨٩ استولى ملك الترك ايلخان على ماوراء النهر واسر عبد الملك بن نوح وزجه في السجن ثم جيء به وقتل امامه وبه انقرضت دولة سامان وكانت هذه الدولة تتكون من عشرة ملوك اشتهروا بالعدل والسيرة الحسنة على حد قول اصحاب التواريخ .

خلافة المعتضد بالله احمد بن الموفق طلحة بن المتوكل

وظهور فرقة القرامطة

ارتحل المعتمد الى دار البقاء سنة ٢٧٩ وتولى الخلافه بعده ابنه الموفق وفي زمنه انقادت له الملوك وانطفأت نيران الفتن ونعم الناس بالأمن والطمأنينة ، وكانت تتوارد اليه الهدايا من كل مكان .

وبينما كانت الامور تسير سيرها الطبيعي من حيث استتباب الامن والهدوء خرجت من سواد العراق ومن الحسا والبحرين الطائفة الباغية المسماة بالقرامطة وذلك سنة ٢٧٨ واشعلت نيران الفتن والبغي والفساد وامتدت شرورها الى معظم البلاد والآفاق ، وعلى قول البعض انها بدأ ظهورها منذ سنة ٢٦٤ ويقول الذهبي وابن الجوزي ان هذه الطائفة كان يتزعمها قرمط أو احمد بن قرمط .

ويقول جامع السير ان قرمطاً كان احـــد زعمائها وسمي قرمطاً لرداءة خطه . واليه انتسبت الطائفة ، ومن معتقداتها انها أباحت المحرمات ولم تأخـذ بما أقره الفقهاء من الأحكام الشرعية ، وراحت تذهب بتأويلها كيفما تشاء واما الصلاة فقالوا ان المراد منها اطاعة الامام المعصوم وان الزكاة انما المراد منها دفع الخمس الى الامام ، والمراد من الصوم حفظ الاسرار وهكذا اخذت هـــذه الطائفة تأول الامور الشرعية وتفسرها على حسب اهوائها وكيفما تشاء . وظلت تعيث في الأرض فساداً مدة تقارب المائة سنة اهلكت خلالها الحرث والنسل وارتكبت مختلف الفضائح والقبائح ، ومن جملة رؤسائها ابو سعيد الجنابي الذي كان لايتورع عن ارتكاب ابشع الجرائم والموبقات وينهب أموال المسلمين وينكل بهم .

ولما بلغت شرور القرامطة حداً لايحتمل جهز عليهم المعتضد حملة بقيادة العباس بن العمري امير الجيوش وبعد قطع الامكنة وطى المنازل وصل الى مقر تجمعهم وتقابل الصفان وتصادم الفريقان وقامت الحرب بينهما على قدم وساق فكانت النتيجة حسب تقدير الملك العلام ، ان انخذل العباس وتغلب عليه ابو سعيد الذي امر باحضار العباس امامه ثم احتفظ به في السجن مدة معينة وقضى على الباقين من جنوده ،

وبعدما استقرت الحالة احضر ابو سعيد العباس ولاطفه وانعم عليه واقنعه ان يكون سفيراً له الى الخليفة ليتوسط بالصلح بينهما ، فوافق الخليفة حقناً للدماء .

ولقد جاء في كتاب تاريخ نظام الملك ان هذه الطائفة ظلت تخرج في كل مكان وزمان باسماء مختلفة ، ففي حلب ومصر واطرافهما كانت تسمى الاسماعيليه ، وفي فارس وطبرستان السبعية ، وفي بغداد وما وراء النهر القرامطة ، وفي الكوفه المباركيه ، وفي البصره الراوندية والمبرقعية ، وفي الشام الاباظية ، وفي المغرب السعيديه ، وفي الحسا والبحرين الجنابية ، وفي اصفهان الباطنية .

ومن الحكايات المنقولة عنها انه في خلافة هارون الرشيد كان يسكن في بغداد دار السلام حضرة الامام الناطق (١) جعفر الصادق ومعه أحد أحفاده المسمى محمداً بن اسماعيل ، وهناك توفى محمد وانتقل الى الدار الأبدية ودفن في مقابر قريش ، وكان له عبد مشترى يسمى مبارك يكتب له الرسائل ، واتفق أن اتصل به قرمطي من اهل الاهواز يسمى عبد الله بن ميمون فتصاحبا .

زنهار از قرين بد زنهار وقنا ربنا عذاب النار (٢)

وقد توثقت بينهما الصداقة ، وذات يوم اخبره ان مولاه كان قريبه

---

(١) ان الناطق في اصطلاح علماء المنطق ليس المتكلم فقط بل الذي يدرك ادراكاً كلياً مبنياً على الفلسفة ودراسة المقدمات والنتائج للتفريق بين الفكرة السليمة وبين الفكرة السقيمة ، راجع كتب المنطق هذا وللاسماعيلية تفسير آخر لهذه الكلمة لا مجال لايراده .

المترجم

(٢) معنى هذا البيت حذار من قرين السوء ، وشطره الثاني عربي واضح المعنى . المترجم

وصديقه وانه علمه كلمات لم يقلها لاحد غيره وانه كان قد كاشفه بها قبل وفاته .

وهنا اشتدت رغبة المبارك في معرفتها ولكن القرمطي اخذ يمانع ويراوغ وبعد لأي اباح له بعضها وهي عبارة عن بعض حروف ورموز من كلام اهل الطبايع واهل الفلسفة خلطها بأقوال بعض الأئمة وجعلها بحيث تلمح بانه سيكون ملكاً ثم اتفقا على ان يسافر مبارك الى الكوفة وعبد الله نحو العراق الشمالي لبث الدعوة سراً وعلانية ولينشرا عقيدة القرامطة الباطلة الى ان خرج ابو سعيد الجنابي وتغلب على جيش المعتضد وكانت مدة بقاء هذه الطائفة قرابة المائة سنة .

وفي زمن المقتدر كانت الطائفة المذكورة تخرج لقطع طريق الحج وتنهب اموال الحجاج وفي سنة ٣٠٨ هجم أحد رؤسائها المسمى ابوطاهر ومعه ٧٠٠ نفر على البيت العتيق يوم التروية واوقع مقتلة عظيمة في الحجاج تقدر باكثر من ثلاثين الف حاج وألقى بعض الجثث في بئر زمزم ثم هدم جانباً من البيت واقتلع بابه كما واقتلع الحجر الاسود ونقله إلى موطنه فى هجر ، وقال البعض انه نقله الى الكوفة .

ثم اتفق حاكم العراق مع القرامطة على رد الحجر مقابل مبلغ قدره خمسون الف قطعة ذهبية ، وبذلك استرد من هذه الفرقة الكافرة ويروى ان نقل الحجر المبارك الى هجر كلف حمله هلاك أربعين جملا وعند اعادته الى البيت الحرام حمله جمل هزيل وأوصله بأقرب وقت .

وفي زمنهم تعطلت الاحكام الشرعية الاسلامية فى الأمكنة التي تغلبوا عليها ، وأصاب بدر انوارها المحاق ، وقد استولى القرامطة على الشام والمغرب وخراسان وما وراء النهر .

وفى سنة ٣٦٣ الغيت الخطبة باسم الخلفاء العباسيين في الحرمين

المحترمين ثم تولى المعز العلوي محاربتهم وراح يتعقبهم من الحسا والقطيف وقتل الكثير منهم واعاد للشريعة الاسلامية نورقها وبهجتها في كل مكان دنسوه ببدعتهم ، ثم جرت خطبة قطر الندى ذات الحسن والجمال ، ابنة حاكم مصر خمارويه للخليفة وجهزت الى بغداد ، وقد كلف بها الخليفة كلفا لا مزيد عليه ويقال انه كان في مطبخها الف هاون من الذهب ، وقد صرف ليلة زفافها من المبالغ والابخرة الطيبة مالا يعد ويحصى ، وكان جهازها يعد من غرائب الزمان .

وفي سنة ٢٨٨ وقيل ٢٨٥ انتقل المعتضد الى دار البقاء وعمره ٤٧ سنة وفي بعض الروايات ٤٩ سنة وخلافته تسع سنوات وتسعة أشهر وكان المومأ اليه مهيب الجانب وفصيح اللسان وكان يعمل في كل اموره بعزم وحزم وقام باصلاح ما افسده الزمان منذ خلافة المتوكل من شؤون الخلافة وأعاد إليها هيبتها وعظمتها حتى لقب باسم السفاح الثاني ، وفي زمنه احرقت كتب الفلاسفة والمنجمين واهل الرمل والقصص التي كانت تقرأ ومنع القصاصين من تلاوتها والهاء الناس بها .

خلافة المكتفي بالله علي بن المعتضد

عند وفاة المعتضد كان ابنه وولي عهده المكتفي في الرقة ، فأرسل اليه الوزير القاسم بن عبد الله يستدعيه الى بغداد بسرعة بعدما أعلمه بالامر فتحرك من الرقة ولما وصل بغداد بويع بالخلافة وتقدم اليه اركان الدولة يزفون اليه التهاني والتبريكات وكان أول أمر صدر عنه يتضمن هدم الدار التي كان يعذب فيها المذنبون ، وتلك الدار كان قد بناها المعتضد ، وقال البعض انه اتخذها مسجداً ، وكسب قلوب الرعية

بعطاياه الجزيلة واحبه الجميع ، وفي خلافته ظهرت أيضاً فرقة القرامطة واستولت على الأقاليم العربية ولما جرت المناوشات بينهم وبين قوات الحكومة انخذلت قواتهم التي كانت بقيادة يحيى بن ذكرويه وقتل اثناء المعركة ، ثم بايع القرامطة اخاه حسين الملقب بصاحب الشامة وهذا ادعى بأنه يمت بقرابة الى أهل الكساء ، وهجم على بعلبك وأوقع بأهلها قتلاً وتشريدا ثم اتجه نحو طبرية وفعل بأهلها كما فعل بأهل بعلبك وقتل الصغار والكبار ودمر كل بلد يمر به في طريقه ويقتل الكثير من أهله ، فخرج لجهادهم أحد قواد الخليفة المقيمين قرب الرقة وهو محمد ابن سليمان الذي تجهز بما يحتاجه من عتاد وسلاح ولما اقترب من صاحب الشامة قرب بلدة حما تصاولت القوتان وقتل الكثير من الطرفين انتصر محمد بن سليمان على خصمه واسر احد قواده مع ٣٦٠ نفراً من أتباعه وقيدهم بالاغلال وأرسلهم الى بغداد حيث نالوا عقابهم .

وقد اكتفى بهذا الانتصار وعاد الى بغداد ، ثم استرد قائد جيوش الخليفة بعد ذلك مدن الشام ومصر واسر حاكم مصر احمد بن طولون وقيده مع أولاده السبعة وارسلهم الى قصر الخلافة .

اما طائفة القرامطة فقد تجمعوا مرة اخرى وهجموا ثانية على الشام فاحتلوه وتابعوا تقدمهم إلى الكوفة وأوقعوا بقوات الخليفة هناك وهزموها وتعرضوا بحجاج بيت الله الحرام وغدروا بهم ، الامر الذي أغضب الخليفة المكتفي وأوقد في قلبه نار الحمية والنخوة العربية فجمع قواته وأرسلها للقضاء على هذه الفرقة ، ولما التقى الفريقان تمزقت قوات القرامطة ولم يعثر لرئيسها بن ذكرويه على أثر ، فشكر المسلمون رب العالمين على هذا النصر .

وفي سنة ٢٩٥ انتقل المكتفي الى الدار الآخرة وكانت مدة

خلافته ست سنوات وستة اشهر وعشرة أيام ، وكان عمره ٣٣ سنة وستة أشهر .

خلافة المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن احمد

المعتضد وظهور الفاطميين وتجمد نهر دجلة

بعد وفاة المعتضد تولى الخلافة المقتدر بالله ولكن اتفق محمد بن داود بن الجراح احد أهل النفاق مع عبد الله بن المعتز على خلع الخليفة المقتدر وتنصيب ابن المعتز بمكانه وقد كلفوا بعض أتباعهما بتنفيذ هذه المؤامرة ، فلما علم الخليفة بنكول هؤلاء عن بيعته قرر التنازل ولكن خادمه مؤنس وبعض خواصه لم يوافقوا على تنازله وقرروا محاربة خصومه وفي النتيجة تغلبوا عليهم بقدرة الملك القدير ،

اما عبد الله بن المعتز فقد اختفى ثم توفى في مخبأه ، وقد ألغى الخليفة ما كان قد سمح به وزيره محمد بن خاقان من فتح حانات الخمور التي كانت تدر سنوياً خمسمائة الف قطعة ذهب واغلقها وقطع دار هذه البدعة .

وفي سنة ٣٠٠ رفع عبد الله بن حمدان فى الموصل راية العصيان وكان حاكماً عليها من قبل الخليفة فقبض عليه وبعد حساب وعتاب عفى عنه وأعيد الى منصبه ، وفى سنة ٣٠٢ حصل فى الموصل برد شديد خلاف العادة وتجمد نهر دجلة .

وفى سنة ٣٠٧ قتل المغفور له حسين بن منصور الملقب بالحلاج فى بغداد بمسعى الوزير حامد بن عباس . ثم مال المقتدر نحو مجالس الانس والطرب ومقارعة الأقداح واختلت الامور وصارت القيان والخدم يدخلون

الى الديوان ويخرجون في أي وقت يشاؤون وبدون اذن ولا نظام .

وفي سنة ٣١٦ قام الذين يفتشون عن المتاعب من المنحرفين وأهل الشغب وتآمروا على الخليفة وانزلوه من على كرسيه ونصبوا بمكانه اخاه محمد القاهر ولكن القاهر خاف من النتائج وهرب منهم ولجأ الى والدة المقتدر طالباً الامن والحماية .

أما المقتدر فقد أعيد ثانية الى كرسي الخلافة وذلك في اليوم الثاني وبمعاونة بعض اتباعه وعفى عن القاهر ، ثم حصل فتور بين مؤنس الخادم وبين الخليفة فرّ مؤنس على اثر هذا الفتور نحو الموصل خوفاً من بطش الخليفة ، غير أن الخليفة طلب عودته بعدما مناه بالوعود واستماله ولكنه لم ينخدع .

وفي سنة ٣٢٠ حشد المقتدر مقداراً من قواته واتجه بهم نحو الموصل وكذلك استعد مؤنس مثله وتمكن من دحر قوات الخليفة وتشتيت جموعها وقتل الخليفة وجيء برأسه الى مونس الذي ماكاد يراه إلا وانهمرت الدموع من عينيه وشهق بالبكاء ووجه لوماً وتعنيفاً للذين قتلوه واتوا برأسه .

وكانت مدة خلافة المقتدر ٢٥ سنة وبلغ من العمر ٣٨ سنه وقد كان مبذراً ومسرفاً حتى انه صرف تسعين الف مرة الفاً ، وكان يصرف لسكان الحرمين وللحجاج المسلمين ٣١٥٤٢٦ فلوري ، ويصرف على الثغور الاسلامية ٢٩١٤٥٠ سكة ذهبية وافرنجية ، وعلى القضاة والفقهاء ٦٩١١٠ ديناراً كامل العيار ،

هذا ما تواردت به الاخبار عن بذخه وفي أيام خلافته أي في سنة ٢٩٧ ظهر اول ملوك الفاطميين عبد الله بن الحسين المهدي في سجلماسه بأرض المغرب وأعلن استقلاله .

وفي سنة ٣٠٣ انشأ في القيروان القلعة المهدوية وفي سنة ٣٢٢ توفى وتولى الملوكية بعده ابنه محمد بن عبد الله ولقب نفسه القائم بأمر الله وفتح بعض الامكنة وحارب اهل سردانيه ثم عاد الى افريقية .

وفي سنة ٣٣٤ ارتحل الى الدار الآخرة وتولى الملوكية بعده المنصور بالله اسماعيل وهذا ايضاً توفى سنة ٣٤١ واخلفه ابنه المعز لدين الله معد الذي اتجه همه لاحتلال مصر القاهرة وارسل حملة قليلة العدد بقيادة عبده جوهر وتمكن من احتلالها ودحر الاخشيديين منها ونقل مقر ملكه اليها وشيد فيها الجامع الازهر ونقل الى مصر كل اقاربه ومتعلقيه .

وفي سنة ٣٦٤ توفى وولى من بعده ابنه العزيز بالله الذي توفى أيضاً سنة ٣٨٦ وقام حفيده الحاكم بأمر الله منصور بمكانه وفي سنة ٤١١ انتقل الى دار الآخرة مقتولا وتولى الملوكية بعده ابنه المستنصر بالله ، وبعد وفاته سنة ٤٨٧ تولى الملوكية ابنه المستعلي بالله أحمد وفي أيامه اختلت أمور الملك واستولى الافرنج على انطاكيه والرملة والقدس .

وفي سنة ٤٩٧ توفى وصار بمكانه ابنه الآمر بأحكام الله منصور وفي سنة ٥٢٤ مات مقتولا وتولى الحكم بعده ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد بن المستنصر معه .

وفي سنة ٥٤٤ توفي وصار بمكانه ابنه الظاهر بالله اسماعيل الذي استولى الكفار في زمنه على بلدة عسقلات .

وفي سنة ٥٤٩ مات قتيلا وتولى ابنه الفايز بنصر الله عيسى وهذا أيضاً مات سنة ٥٥٥ وتولى الحكم بعده ابن عمه العاضد لدين الله وبوفاته سنة ٥٦٧ انتهى حكم الفاطميين في القاهرة وانتقل الحكم الى وزيره صلاح الدين وأولاده .

خلافة القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد أحمد العباسي وظهور آل بويه

وبعد وفات المقتدر العباسي أراد جماعة أن ينصبوا عباساً بن مؤنس بمكانه ولكن أركان الدولة تدخلوا فى الأمر وبايعوا القاهر بالله أبو منصور أذ جيء به من سجنه وأجلسوه على كرسي الخلافة .

وفي الوقت الذي كانت والدة المقتدر تشفق عليه وتمده بمختلف النعم والاحسان وتحوطه بعطفها ورعايتها أثناء ضيقه وسجنه فانه صار لها مصداقاً للمثل « اتق شر من أحسنت اليه » وعلى حد قول الشاعر :

نكوي بابد ان كردن چنانست .

كه بد كردن بجاى نيك مردى

فقد قابلها بالاساءة والعقوق وجزاها شر الجزاء بينما كانت لـــه بمثابة أمه ولم يكتف بهذا بل صلبها طمعاً بأموالها وأهان أولاد المقتدر وتوعد مؤنساً فقام هذا بالسعى لخلع القاهر أيضاً ولكن هذا الخبر انتشر ووصل مسامع الخليفة فقضى عليه ثم قبض على محمد بن المكتفي الذي اتهم بموالاته لمؤنس وسجنه سجناً ابدياً وذلك بوضعه في حفرة وبناها عليه حياً .

وهكذا فان الذي تضطرب أفكاره وتتولاه الوسوسة يأخذ النـاس بالظنة فيقتل هذا ويشرد ذاك ، وفي سنة ٣٢٢ اتفق الاتراك على خلعه فقبضوا عليه وسجنوه في مكان مظلم لا يرى الناس فيه ولا يرونه ، وفي خلافته أي في سنة ٣٢١ ثبتت اقـدام دولة بني طولون في مصر وصار محمـد بن طغج بن جف الفرغاني الشهير بالاخشيد حاكماً عليهـا من

قبل القاهرة وبذلك انتقل حكمها الى الاخشيديين وكان آخرهم كافور الأسود .

ثم ان الاخشيديين ظهر عجزهم في ضبط النظام وسياسة البلد واستولى بعدهم على مصر الفاطميون ، ويقال ان ملكهم امتد الى الحاكم الخامس ثم تشتت شملهم وصاروا فقراء يتسكعون على أبواب المساجد للتصدق عليهم .

وفي خلافة القاهر أي في سنة ٣٢١ ظهر آل بويه وعظمت شوكتهم واستولوا على عراق العجم :

وقد روى الرواة ان بويه كان من الديلم ومن اقليم كيلان وكان يسكن في قرية تسمى كباكيش وكان يقتات بما يحصله من أتباعه . وكان رجلا متوسط الحال ، وقال صاحب تاريخ النويري انه ينتسب الى سلسلة بهرام ثم اتصل بخدمة ماكان بن ماكان ، ومن أبنائه عماد الدولة علي وأخوته حسن وأحمد وأسفار بن شيرويه ومرداويج بن زياد ودشمنكير ابن زياد وكلهم كانوا في خدمة ما كان ثم تقدمت بهم الأيام واستولوا على ملك ماكان ثم قتل كبيرهم من قبل القرامطة وتولى بعده أحدهم المسمى مرداويج الذي اتجه هو وأخوه نحو جهة فارس حتى وصل اصفهان واحتلها ونصب نفسه حاكماً عليها وملكاً على الديلم ولكن بعض خدمه من ناكري الجميل قتلوه غدراً .

وبتوفيق الله القادر الأزلي انقادت الأمور لعلي واتسع ملكه ولقب نفسه عماد الدولة ، وفي سنة ٣٢١ قرأوا الخطبة بأسمه ولقب أخاه كهترى حسن بركن الدولة وجعله ولياً للعهد في اصفهان واتخذ شيراز داراً للسلطنة وعندئذ ارسل اليه الخليفه قوة لاخضاعه ولكنه تدارك الأمر وخضع للخليفة واعلن الولاء والانقياد وعلى هذا أقره على الحكم هناك .

وفي سنة ٣٣٨ توفى عماد الدولة في شيراز ، وبما ان ركن الدولة حسن بن بويه بن مرداريج قد نصب بفرمان صدر عن عماد الدولة قبل وفاته فقد تم تعيينه ملكاً على العراق ثم اصطدم بالملك سامان وبعد حروب تصالحا وبقى ٤٤ سنة على التوالي ملكاً على العراق .

وفى سنة ٣٦٦ توفى وآلت الملوكيه بعده الى معز الدولة احمد بن بويه اخوه وكان مرشحاً لها بفرمان من اخيه عماد الدولة ، وبعد حروب مع علي بن الياس فى كرمان عاد إلى مقر حكمه دون الوصول الى نتيجة وبعد وفاة ابن الياس صار اليسع حاكماً على كرمان ولكنه أظهر الخلاف مع معز الدولة وبنتيجة هذا الخلاف قتل اليسع وضبط كرمان وضمها الى ملكه وفرض الجزية على الاهالي ثم حارب فرقة بلوح وبلوج وطارت يده اليسرى اثناء القتال ثم عزم على التوجه نحو خوزستان والبصرة وواسط وتمكن من ضبطها .

وفي سنة ٣٣٥ هجم على بغداد وكان الخليفة المستكفي حينذاك في قبضة الترك فلما وصل معز الدولة انقذه وانتصر له واعلن الولاء له . وكان يدفع للخليفة يومياً خمسة آلاف دينار كامل العيار ليصرفها على احتياجاته عدا المصاريف الأخرى ثم افسدت بينهما بطانة السوء وهجم معز الدولة على قصر الخليفة وأحاط به ثم عزله وبايع المطيع بالله أبا القاسم الفضل بن جعفر المقتدر .

وبما ان معز الدولة شيعي فانه اقام خلال شهر عاشوراء من سنة ٣٥٢ مأتماً للتعزية بمناسبة مقتل الامام الحسين رضى الله عنه ، واتخذ الشيعة ذلك شعاراً وعادة لهم في كل سنة .

وفي سنة ٣٥٦ توفى معز الدولة ، وبناءاً على وصية عماد الدولة صار عضد الدولة ابو شجاع بن ركن الدين ملكاً على فارس وكان أميراً

شهيراً وقام ببناء الكثير من الأمكنة في النجف الاشرف وكربلا المشرفة ومشهدى الامام علي الولي والامام الحسين بن علي رضى الله عنهم وشيد دار الشفاء في بغداد وفي المدينة المنورة وقصراً ببغداد ، وشيد في شيراز سوقاً يسمى بسوق الامير وكل هذه من آثاره .

وفى سنة ٣٦٧ وصل الى بغداد وكان الخليفة الطائع بالله من جملة الذين استقبلوه ولقبه بتاج الملة ، وفي بغداد خلع عليه الخليفة الاماره بدل ابن عمه وقتل عز الدولة البختياري وصار زمام الأمور بيده وتحت تصرفه وحمايته .

وفي سنة ٣٧٢ توفى في بغداد ودفن بجوار حضرة الامام علي كرم الله وجهه ، اما مؤيد الدولة بن نصر بن ركن الدولة حسن أخيه الذي كان قد تقلد لقب عضد الدولة وصار ملكاً على العراق فقد تنازع هو وأخوه مع فخر الدولة وبعد حروب تقاسما حكم جرجان وطبرستان .

وفي زمنهما تقلد الوزارة ابو الفضائل والمعارف وحيد زمنه في العلوم الصاحب ابو القاسم اسماعيل بن عباد وكانت بحوزته مكتبة عظيمة وفيها من الكتب ما يتجاوز حمل اربعمائة بعير وهو الذي نظم امور الدولة على نسق بديع ، ومع كل اعبائه ومشاغله فقد كان لا ينفك من التأليف والتدريس .

وقد توفى الملك المومـــا اليه في سنة ٣٧٣ عن عمر يبلغ الثالثة والاربعين ، وبناءاً على وصية فخر الدولة صار علي بن ركن الدولة حاكماً على همدان ، ثم اختلف مع اخيه عضد الدولة وهرب نحو نيسابور وبعد وفاته استدعا الصاحب بن عباد الى العراق ، وكان امير بغداد ابن عمه بهاء الدولة قد توسط للصلح بينهما وتمت الموافقة على توليه الحكم في خوزستان وأعيدت امارة بغداد ثانية الى بهاء الدولة .

وفي سنة ٣٨٥ توفى الوزير العظيم الصاحب بن القاسم وبوفاته رجعت شؤون الوزارة القهقرى وانتشر الظلم ومصادرة أموال الناس ثم عهدت الوزارة من قبل ابي العباس الى ابي على بن النحوى الاصفهاني على أن يدفع عشرة الآف فلوري ، وقـــد استبد في الحكم وسن قوانين قاسية اضرت كثيراً بالرعايا ، وفي امد قريب اختلت الامور المالية واضطربت الاحوال .

وفي سنة ٣٨٧ توفى ودفن بالقرب من اصفهان ، وبوفاة رستم بن فخر الدولة تولى الحكم ابنه مجد الدولة ابو طالب وصارت تساعده في اموره امه سيده خاتون لانه كان يبلغ من العمر ١٥ سنة وكانت الأحوال في زمنه مستقره والحكم يدبر بعقل وحكمة .

ولما بلغ المومأ اليه أوج شبابه ونضوجه وقع فتور بينه وبين امه تطور الى نزاع وقتال وكانت النتيجة ان تغلبت امـه عليه وسجنته ثم اطلقته بعد مدة واعادته الى الحكم غير أن معظم امور الدولة بقيت بيدها وان كانت حسب الظاهر ظلت باسم ابنها مجد الدولة مع كونه اخذ يميل الى الاستقامة ويحكم الرعية بالعدل .

وفي سنة ٤١٥ توفيت صاحبة العصمة امه واضطربت بعدها أمور ابنها مجد الدولة الذي حصلت بينه وبين السلطان محمود سبكتكين مناوشات قتل خلالها واستقل بعده سبكتكين في عراق العجم ، اما في كرمان فقد تولى الحكم فيه شرف الدين ابو الفوارس شرحبيل بن عضد الدولة وذلك بعد وفاة ابيه .

وبعد مرور لربع سنوات قام بزيارة بغــداد فاستقبله بالاجلال والاكرام امير بغداد صمصام الدولة وبطريقة ما استولى على امارة بغداد وصار يتصرف في حكمها بدون منازع الى ان توفى سنة ٣٨٩ وعندهـا أعيد صمصام الدولة الى الامارة ، ثم حصل نزاع بينه وبين اخيه بهاء

الدولة ادى الى محاربته وتدمير بلدتي البصرة والأهواز ، وكانت النتيجة ان رجع صمصام الدولة مدحوراً وانهزم نحو حدود فارس .

وبعد مضي ثماني سنوات توفي في زمن اولاد عز الدولة ، ثم تولى الحكم بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بعد صمصام الدولة ولقبه الخليفة القادر بالله احمد بلقب الشاهنشاه قوام الدين ، وعقد زواجه على كوهرين ابنة السلطان سبكتكين وبعد حكم دام ٢٤ سنة توفي في اطراف فارس ، وتولى الحكم سلطان الدولة ابو شجاع ابن بهاء الدولة بعد ابيه على فارس وكرمان .

ولما كانت كرمان تحت حكم اخيه قوام الدين فقد حصل نزاع عليها بين الاخوين تغلب بعده على سلطان الدولة ولكن انتصر له السلطان محمود الغزنوي ثم عاد قوام الدولة وهزمه وعندئذ التجأ الى شمس الدولة ابن فخر الدولة في همدان ولكنه اوجس خيفة منه ورحل الى بغداد وما كاد يستقر فيها مقامه حتى سافر الى شيراز وفي الطريق وافته المنية .

ثم انيط الحكم في بغداد الى سلطان الدولة وهو اخو شرف الدولة ابي علي حسن بن بهاء الدولة خلال وجوده في خدمة الخليفة حصلت بينه وبين اخيه نفرة بسعي التركمان ادت به الى شطب اسم أخيه من الخطبة وجعلها باسمه ولقب نفسه أمير امراء بغداد وصار يأمر وينهى بدون منازع ولا شريك .

وفي سنة ٤٢٠ توفي وأخلفه في مكانه اخو جلال الدولة ابو طاهر فيروز خسرو شاه ابن بهاء الدولة حاكم البصرة في زمن أخويه سلطان الدولة وشرف الدولة امير الامراء على بغداد ، وفي زمنه استولى الترك على الحكم وشتتوا شملهم ولم يبق بعده أمير يتولى الحكم .

لقد كان المومأ اليه يقضي اوقاته مع العلماء وكان فريداً في حسن

الخط وفي سنة ٤٣٥ قذفت به رياح المنية الى دار الآخرة .

وفي اقليم فارس تولى العماد لدين الله عز الملوك موزبان بن سلطان الدولة بعد أبيه ثم سولت له نفسه أن يكون أميراً للامراء في بغداد وناصب جلال الدولة العـــداء وظل يتربص به الدوائر ويحاربه تارة ويصالحه تارة أخرى الى أن توفى واستولى هو على امارة بغداد بدون أدنى صعوبة ولكنه بعد خمس سنوات تركهـا بسبب مضايقة الترك له وفر نحو شيراز بعدما نصب ابنـه الملك الرحيم وكيلاً عنـه ثم التحق بالسلطان طغرل السلجوقي في العراق وقـــد استقبله السلطان وبواسطة القاضي ابو محمد زوج ابنته اخترين للسلطان .

وفي حدود سنة ٤٠٤ توفى في كرمان ، وكان امير الامراء في بغداد الملك الرحيم أبو منصور فيروز خسرو بن العماد لدين الله بنص من أبيه .

وفي سنة ٤٤٧ جاء السلطان طغرل إلى بغداد وخرج الموما إليه لاستقباله ولكن السلطان طغرل قبض عليه وزجه في السجن حيث توفى بعد مدة قصيرة وبه انتهت دولة آل بويه في العراق العربي ، وكان الملك أبو منصور بن العماد لدين الله بعـد وفاة أبيه بقى أربعين سنة في حياة منعمة إذ تولى في زمن السلاجقة منطقة فارس بطريقة الاقطاع وكان محبوباً من قبل السلاجقة . وفي سنة ٤٨٠ توفى وبوفاته انقطعت سلالة آل بويه بالكلية .

خلافة الراضي بالله ابو العباس محمد بن جعفر

المقتدر العباسي

بعد خلو منصب الخلافة من القاهر بعد وفاته جيء بالراضي وهو شاب وبويع بالخلافة ، وفي زمنه ظهر ابن مقلة من مخبئه وخلع عليه منصب الوزارة ، وكان هذا قد عاهد ربه اثناء اختفائه بألا يسيء إلى احد حتى الذين أساؤا اليه وان يصفح عن أعدائه ولا ينتقم منهم ، وقد أظهر في وزارته من العدل والمروءة مالا مزيد عليه ، ومع ذلك فان هذا لم يكن بالدواء الناجع لحساده .

ولذلك إئتمروا به وكتبوا متفقين الى الخليفة بأن وزيره يكيد له ويشوه سمعته وينصحونه بابعاده وقد احضره الخليفة وسأله بعض الأسئلة وجابهه بما اتهم به فأنكر كل مانسب اليه ولكن الخليفة لم يصدقه وأمر بقطع يده ولم ينفعه تضرعه والايمان التي أقسم بها لتبرئة ساحته .

كذار وانفجار سنك واهى سهله دراى در

قسي قلبك ملايم او لمسي اما عجب شكل (١)

ومن غرائب الاتفاق ان ابن مقلة خدم ثلاثة خلفاء وتولى الوزارة ثلاث مرات وسافر ثلاث مرات وتعرض للاغتيال ثلاث مرات .

ومما يروى أن الخليفة القاهر كانت له حديقة غناء قد شغف بها وزرع فيها أنواع الزهور والأشجار والرياحين بحيث جعلها من نوادر

---

(١) يقول من السهولة أن يلين الصخر الأصم ويتصدع ، ولكن عدم مماثلة القلب القاسي للصخر من أعجب المشاكل .

المترجم

الحدائق ، وكان يقضي فيها جل أوقاته مع عشرائه من شيوخ وشباب يتعاطون فيها كؤوس المدام ، فلما أصيب بالعمى وآلت الخلافة الى الراضي أعجب بها وصار يتمتع بطيب شذاها وأزهارها ويستنشق عبير نسماتها وظل القاهر يتسحر عليها وعلى تلك الأيام التي قضاها فيها .

وذات يوم بينما كان مع الراضي في تلك الحديقة جرهما الحديث الى ذكرها وكيف أنه بذل قصارى جهده لجعلها بتلك الحالة ثم قال القاهر للراضي أيها الخليفة انك بما أكرمتني وأنعمت علي أريد أن أقدم اليك برد فضلك أضعافاً وأفضي لك بسر كنت قد أخفيته عن كل انسان وهو اني فى أيام خلافتي كنت قد دفنت في ثراها خزينة فيها أنواع الجواهر النادرة التي لا تثمن ولا يحويها ملك في خزائنه ، ولكن في أي مكان دفنتها لم أعد ، أتذكره ، فما كان من الراضي إلا أن أمر بحفرها طولا وعرضاً ولم يترك فيها شبراً إلا حفره وصارت تلك الورود والرياحين والأشجار طعمة للمعاول والفؤوس ودمرها تدميراً ، ولم يعثر على تلك الخزينة المزعومة فسأل القاهر مرة أخرى عن مكانها وعندئذ كشف له عما كان يضمره بأنه انما قصده الوحيد محو هذه الحديقة التي أحببتها كثيراً لئلا يتمتع بها غيري وليس فيها خزينة أو جواهر ، وعندئذ نبذه وقطع عنه ما كان يوصله به وتعجب من حسده وتركه يقضي أيامه على أبواب المساجد .

هذا وكان الراضي يكرم العلماء ويقربهم ويحترمهم ويبذل لهم العطايا ويخصص لهم الجرايات وكان يقتدى بأسلافه من الخلفاء فى معاملتهم مع الوزراء والحجاب . وفي سنة ٣٢٩ أصيب بمرض الاستسقاء وانتقل الى رحمة الله ودامت خلافته ست سنوات وعمره ٣٢ سنة ، وفي أيامه أي في سنة ٣٢٤ كانت البلاد معظمها تحت سيطرة الخارجين ولم

يبق منها تحت حكمه سوى بغداد وملحقاتها .

أما الفئة الباغية وهي القرامطة فقد كانت تقطع الطرق وتشن الغارات على الحجاج وأبناء السبيل واستمروا على هذه الحالة ١٧ سنة الى ان قام المصلحون بالتوسط لديهم والاتفاق معهم على السماح لمرور الحجاج دون تعرض بهم لقاء رسوم (باج) معينه .

خلافة المتقي بالله أبو اسحاق ابراهيم بن المقتدر العباسي

وردت أخبار وفاة الراضي الى أمير الامراء الذي كان يقيم في واسط فأوفد رسله الى كل من العباسيين والعلويين والعلماء والأشراف لكي ينتخبوا من بينهم من يليق لتولي الخلافة .

وبعد المشاورة اتفقت كلمتهم بعد الاقتراع على تنصيب المتقي بالله ابراهيم ، وهذا بعد أخذ موافقة القاهر جلس على كرسي الخلافة ، وقد أظهر الخلاف حاكم البصرة عبد الله البريدي فأرسل عليه قوة بقيادة طوران فلما تقابلا والتحما تغلب عبد الله على طوران ولكن هذا عاد والتحم به ثانية وفر منه جمعه وهزمه فالتجأ مع ما بقى من قواته بجبال كردستان .

وكان الحكم في تلك على وشك الأفول فاتفق مع الحاكم على أن يكون هو الخلف له ، وبعد وفاته حل محله عبد الله البريدي غير أنه بعد توليه الحكم تخاصم مع ناصر الدولة ابن حمدان او مع كورتكين الديلمي فقد أمارته واستولى عليها كورتكين وعندئذ تنفس ابن رائق والى الشام لتخلصه من أحد خصومه وقوى نفوذه وسار على رأس جيش الى بغداد وتمكن بنفوذه من خلع ، كورتكين ، ولما وصلت الأخبار الى اسماعيل

البريدي هو الآخر اتجه نحو بغداد ولكنه لم ينل ما كان يرجوه ثم أن الخليفة سافر مضطراً الى الموصل هو وابن رائق ليقيما كلاجئين عند ابن حمدان فتلقاهما بالتجلة والاكرام ولكنه اعدم ابن رائق بعدئذ وسافر هو والخليفة الى بغداد لطرد البريدي منها وقد انتصر عليـــه ومزق قواته .

اما طوران التركي فقد بقي يتحين الفرص إلى ان حدثت بينه وبين الخليفة نفرة أدت الى قيام كل من ناصر الدولة بمحاربة طوران انتصاراً للخليفة فتغلب عليهما بقضاء الله وقدره واضطر الخليفة على الالتجاء ثانية الى الموصل هو وعياله وحاشيته ومنها سافر الى الرقة وأقام فيهـا ومن هناك طلب نجدة من حاكم مصر الاخشيد بكتاب فتلقى كتاب الخليفة بكل احترام وأرسل اليـه الهدايا والتمسه ان يتكرم بالمجيء إلى مصر فقام الخليفة باعداد وسائل السفر بعـــد استشارة خواصه فحبذوا له الذهـاب إلى مصر ولكنـه عـاد وغير عزمه وأراد أن يقضي أولاً على خصومه .

أما طوران التركي الذي تولى الحـكم فانه أوفد إلى الخليفة من يقدم معاذيره ويقسم بأغلظ الايمان على اخـلاصه والتمسه بالعودة إلى بغداد معززاً مكرما ، فما كان من الخليفة إلا وافق بسلامة قلب على قبول معذرة عدوه وعزم على العودة إلى بغـداد ولم يلتفت الى تحذير ونصائح سيف الدولة وناصر الدولة وسافر .

وعند دنوه من بغدار نصب خيامه على نهر عيسى وألقى عصا ترحاله هناك للاستراحة ، فتقدم طوران لاستقباله والاحتفاء به وترجل من مسافة بعيدة احتراماً وقدم له مراسيم الاستقبال ثم عاد ولكنـه أسر الى حرسه بالهجوم على خيام الخليفة ونهب مافيها ففعلوا ثم ألقوا

القبض على الخليفة نفسه وسملوا عينيه بميل حديدي حموه بالنار واقتادوه الى السجن .

وفي سنة ٣٣٣ بويع ابنه المستكفي وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات وعشرة أشهر وظل سجيناً ٢٥ سنة بعد العزل وكان عمره ستين سنة وكان كاسمه متقياً وزاهداً وصالحاً عابداً ورعاً وحريصاً على دينه وكسب رضاء الله ولم يمتد حكمه سوي إلى بغداد وملحقاتها ولم يترك لخلفه مالاً حسب ما روى عنه .

خلافة المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله ابن المكتفي

بعد ما خلع المتقي من منصب الخلافة وأودع السجن تمكن طوران الظالم من اقناع أمراء بني هاشم العباسيين منهم والعلويين ونصب المستكفي بالله خليفة وجيء به الى بغداد وأجريت له مراسيم البيعة ، وبعد مدة قصيرة خمل ذكر طوران ولم يعد يؤبه به وبناءاً على الاتفاق مع أركان الدولة عين شيرزاد أميراً للامراء في بغداد وبسبب كثرة بطشه وظلمه وتعدياته نفر منه كل أهل بغداد وأوصلوا أخباره الى معز الدولة أحمد ابن بويه الذي كان في واسط واستقدموه الى بغداد لانقاذهم من ظلم هذا الطاغية ، وفعلا وصل اليها وأزال ما كان يشكو منه الأهلون وفر ابن شيرزاد وبقيت قواته الترك خارج بغداد لا يدخلونها خوفاً ورهبة من معز الدولة .

وبعد عودة الطمأنينة الى النفوس خلعوا عليه وقرروا أن ينقش اسمه على الدراهم والدنانير ، وقد قرر جعل مصرف الخليفة خمسة آلاف درهم تسلم اليه مع سائر المخصصات على أن يتصرف بها كيفما

يشاء ، ولكن خرب ذلك البنيان المشيد الاركان على أسس المحبة بينه وبين الخليفة بسعي أهل الفتن والفساد ، وعلى غير مقدمات وأسباب ظاهرة خلع الخليفة من منصبه وأذيق كأس المذلة والهوان بعد ذلك الاعزاز والاكرام ، وأهين ثم سملوا عينيه وأقعدوه في بيته واستولوا على كل ما كان يملكه .

وفي سنة ٣٣٤ نصبوا المطيع بالله الفضل ابن المقتدر خليفة صورياً بعده ، وكانت خلافة المستكفي سنة واحدة وبقي بعدها في الحياة أربع سنين في السجن وانتقل الى دار الآخرة .

خلافة المطيع بالله أبو القاسم الفضل ابن المقتدر

لقد كان المطيع مختفياً أيام خلافة المقتدر خوفاً من بطش المستكفي ، فلما زال ظله لم يجد نفسه الا على كرسي الخلافة بعد ذلك الضيق والاختفاء ثم جيء بالمستكفي من سجنه وتنازل عن الخلافة أمامه طوعاً أو كرهاً .

ولما كان الديالمة يعتقدون أن الخلافة ينبغي أن تكون للعلويين فقد اتصل معز الدولة في أوائل أيامه بأجل السادات فضلاً وأدباً وحسباً ونسباً وهو المشهور أبو الحسن محمد بن يحيى بن زيد وراح يفكر ويسعى لتوليته الخلافة ، ولكن مدبر الدولة الوزير أبو جعفر محمد بن حمير قال له يوماً : أن الخليفة الحق هو الذي يجلس الآن على كرسي الخلافة ويعتبره الناس لازم الطاعة فاذا كان يرغب في تنصيب غيره فلماذا أسرع باجلاسه على كرسي الخلافة ومبايعته له ، لقد كان الصحيح أن تتريث في هذا الامر وان تحصل على موافقة العباسيين باي طريقة وعندئذ تأتي بكل

سهولة بالرجل الذي تريده ، أما الآن فأني أرى قيامك بتبديل الخليفة سيكون له صدى مثيراً في الأوساط وعليه فقد نصحه بالانصراف عن هذه الفكرة وأخيراً تمكن من اقناعه وصرف النظر عنها .

لقد دامت خلافة المطيع ٢٩ سنة ثم اعتل واصيب بمرض الفالج . وفي سنة ٣٦٣ ترك الخلافة لابنه الطائع بالله ابوبكر عبد الكريم وبعد مرور شهر واحد ترك المطيع دار الغرور . وفي ايام خلافته أي في سنة ٣٢٨ توفى القاهر وفي سنة ٣٣٩ توفى المستكفي .

ومن المشاهير الذين توفوا في هـذه السنة الشيخ الشبلي والحكيم ابو نصر الفارابي والشاعر ابو الطيب المتنبي ومؤلف كتاب مروج الذهب المسعودي ومؤلف كتاب الأغاني ابو الفرج الاصفهاني .

خلافة الطائع بالله ابو بكر عبد الكريم ابن المطيع

لقد تولى الخلافة الطائع بعـــد المطيع وبعد مدة قصيرة حصلت برودة بينه وبين معز الدولة وكان الترك يميلون الى الخليفة فذهب بعضهم الى عضد الدولة ابن عم عزالدولة واخبره بالوضع طالباً التدخل لازالة الخلاف ، فتحرك هذا على رأس قوة كبيرة الى بغداد فاتجهت انظار الخليفة نحوه ثم انحازت جماعة الترك .

وبعد الأخذ والرد والمداولات والمشاورات قدم معز الدولة اعتذاره للخليفة وطلب العفو والمغفرة فعاد الى دار الخلافة وقد أنعم على عضد الدولة واكرمه وزالت النفرة وعاد الخليفـــة يأمر وينهى باطمئنان كالسابق وتوفى عضد الدولة بعـد ذلك ودفن بجوار المشهد المرتضوي ثم ان صمصام الدولة طوى بساط امارة شرف الدولة وعهدت الامارة

الى بهاء الدولة ابو نصر خسرو الذي ما كاد يتولى الامارة حتى ناصب الخليفة العداء وخلعه .

وفي رواية أخرى ان بهاء الدولة هذا احتاج الى مال ليصرفه على عساكره وأراد ان يصادر اموال وزيره وذلك بسعي ابي الحسن المعلم وخبثه وتدبيره ثم مال على الخليفة وخلعه وأودعه السجن وهتك استار حرمته .

وفي سنة ٣٨١ جرت البيعة للقادر بالله بن اسحاق بن المقتدر . وكانت مدة خلافة الطائع ١٧ سنة وتسعة أشهر وبعد اعتقاله في قصر القادر محجوراً توفى سنة ٣٩٣ عن عمر يبلغ الثالثة والسبعين سنة .

خلافة القادر بأمر الله ابو العباس بن اسحاق
ابن المقتدر بالله

لقد كان القادر مختفياً قبل الخلافة في احدى البطائح خوفاً من الخليفة وقد أكرمه صاحب البطيحة مذهب الدولة علي ، وعندما خلع الطائع رأى اهل الحل والعقد استدعائه لتولي الخلافة ، فلما احضر بايعه الخاص والعام واجريت له مراسيم البيعة ، يقول صاحب كتاب السير أن الخليفة اثناء ما كان مختفياً رأى في منامه رابع الخلفاء علي المرتضى كرم الله وجهه وقال له يا قادر ستعهد اليك الخلافة وتستقر فيها عمراً طويلاً بعز وهناء فكن لاولادي راعياً ومعيناً وبهم رحيما . ولما أصبح نقل هذه الرؤيا وقصها على بعض أصحابه فبشروه بأن هذه الرؤيا فال حسن وقدموا له التهاني من ذلك الوقت .

وفى خلافته نشر لواء العدل على الجميع وأعطى للخلافة طراوة

وعمراً جديداً وأخضع الديالمة وانتهت بوقته دولة السامانيين وعين لمنطقة خراسان السلطان محمود السبكتكين ولقبه يمين الدولة وأمين الملة ، وكان هذا الخليفة قد أحبته القلوب وانقادت اليه ملوك الأطراف وأطاعوه وكان يغدق على الجميع بكرمه وأنعامه ويعطف على الفقراء في بغداد وضواحيها ويقيم لهم الولائم كل ليلة ويوزع الطعام على معتكفي الزوايا وكانت هذه الأعمال في خصاله المحمودة ، وفي سنة ٤٢١ ترك دار الغروب وعبر الى الدار الآخرة وتولى الخلافة بعده ابنه القائم وكانت مدة خلافته احدى واربعون سنة وعمره بلغ السابعة والثمانين .

خلافة القائم بأمر الله عبد الله بن احمد القادر بالله

لقد تولى الخلافة وراثة القائم بأمر الله عبد الله بن احمد القادر وبايعه اهل الحل والعقد وفي بداية حكمه انتهى حكم آل بويه ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتولى الحكم بعدهم السلاجقة ، وقد تنازع أحد امراء الخلافة منهم المسمى فساسير (١) مع وزير الخليفة واشتد الخلاف بينهما وتطور الى درجة ان الفساسير شق عصا الطاعة وهجم على نواحي بغداد وقراها ونهبها بل خلع ايضاً طاعة الخليفة وتابع سلطان مصر العلوي وطلب منه مدداً فلما علم الخليفة بذلك كتب الى طغرل بك السلجوقي يدعوه للوقوف في وجه هذا المتمرد ، فتحرك طغرل بك نحو بغداد ولما وصل موكبه الى النهروان خرج وزير الخليفة لاستقباله مع بعض النقباء والأشراف

(١) ان كتب التاريخ تسميه البساسيري وليس فساسير .
المترجم

وهنؤه بالقدوم ثم نصب خيامه حول بغداد دار السلام ومن سوء الحظ ان الخلاف كان ناشبآ بين أهالي بغداد وبين السلجوقيين في ذلك الوقت واشتد حتى نهبت المخازن والاموال من قبل الرعاع واراذل الناس واستمر النهب والسلب اسبوعآ كاملا وذلك بسبب انتهاء عهد دولة آل بويه ، وقد نسب طغرل بك هـذه الاعمال الى تحريض الملك الرحيم البويهي وطلب الاذن من الخليفة بسجنه ولكن الذين رفعوا راية العصيان راحوا يستنجدون حاكم مصر المستنصر العلوي وطلبوا العون منه كما وتظاهرت بنو أسد وبنو كلاب وبعض الأكراد وكثرت بينهم المناوشات مما حمل ابن عم طغرل بك قتلمش بن اسرائيل على جميع عشيرة قريش ابن بدوان والعقيليين وتولى قيادتهم واتجه بهم لدفع الاعداء ، ولكن قريشآ وعشيرة العقيليين اتفقوا فيما بينهم وغدروا به والتحقوا بقوات الغساسير فاضطر قتلمش الى الفرار نحو جيش طغرل بك الذي جمع جموعه وعبأهم واتجه لمحاربة الثائرين .

ولما التقى الجمعان وتعاون الفريقان لاح النصر من جانب طغرل بك فأوقع بهم وهزم فساسير الذي اتجه نحو سنجار بعد تشتت قواته ، غير أن فساسير أغوى ابراهيم أخا طغرل بك وأرسل اليه خمسين الف دينار كامل العيار ووعده بأنه سيكون حاكمآ على الشام كما وأنه اجتذب قسمآ من جنود طغرل بك .

ولما علم هذا بما دبروا له من المكائد والفتن ترك فساسير يعمل مايشاء وانسحب من المعركة وسافر الى همدان ، ولما خلت الديار من طغرل بك ورأى فساسير نفسه انه أصبح على جانب كبير من القوة اتجه نحو بغداد واحتلها سنـة ٤٥٥ واركب رئيس الرؤساء وخواص الخليفـة على ظهور الجمال وأمر أن يطاف بهم في الأزقة والأسواق ثم قتلهم وطرد

الخليفة وأوعز الى مهاوش العجلي بنفيه الى عانه وحديثة ، وأغار عسكره على بغداد وأوقعوا فيها نهباً وسلباً وتخريباً وأمر بأن يخطب في المساجد باسم سلطان مصر المستنصر العلوي باعتباره هو الخليفة .

فلما سمع القائم بما فعله فساسير ارسل الى طغرل بك يعلمه بما فعله فساسير وارسل الى طغرل بك يعلمه بما جرى ويبثه شكواه فأجابه بما يطمأنه وبان هذه السحابة ستنجلي عما قريب وختم جوابه بالآية الكريمة « ارجع اليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون » فتفائل الخليفة بذلك .

ولما استعد طغرل بك للحرب بدأ بأخيه ابراهيم فأوقع به وهزمه ومزق جيوشه بالقرب من بلدة الري ثم واصل تقدمه نحو بغداد وسار يطوى السهول والوديان حتى اقترب منها والقى الرعب في قلب فساسير وجموعه ثم مزقها وشتتها وأرسل الى مهاوش الموكل بحبس الخليفة ان يأتي به حالا .

ولما اقترب من بغداد خرج طغرل بك لاستقباله بالتجله والاكرام وتقدم هو ماشياً على الاقدام وعرض على الخليفة مراسيم التحية والطاعة وعندئذ لقبه الخليفة بلقب ركن الدين طغرل وقرن اسمه باسمه في كتبه باسم ركن الدين السلطان طغرل ، وعاد الخليفة الى تخته كالاول وامر باعادة المنهوبات ودفع لكل من يأتي بها مختاراً اثمانها ، ولم يحاسب احداً أو يعتب عليه ، ولأجل قطع الطريق على فساسير الذي فر نحو جهة الشام مع قواته الباقية تبعه طغرل أيضاً من مكان إلى مكان ثم قبض عليه بالقرب من الكوفة وجرعه كأس الهلاك والهوان .

وفى سنة ٤٥٥ ارتحل طغرل بك الى الدار الآخرة وتوارى عن دار عزه وسلطنته وتولى بمكانه أحد ابناء أخوته وهو الب ارسلان الذي

كان ملكاً كبيراً على خراسان . وفي سنة ٤٥٦ فاض نهر دجلة فيضاناً خارقاً للعادة رغمر الدور والمساجد وهرب أكثر السكان نحو السواحل وعبروا على ظهور القرب وقد غرق الب ارسلان في هذا الفيضان . وفي سنة ٤٥٩ شيد وزيره نظام الملك المدرسة النظامية ولكنها تهدمت بعدئذ وزال أثرها .

لقد كان الخليفة عالماً فاضلا وشاعراً فصيحاً ومحبوب الصورة وكانت سيرته حسنة وفي سنة ٤٦٧ انطرح أسير الفراش من علة لازمته وعهد بالخلافة الى ولده المقتدى وارتحل الى دار البقاء وكانت مدة خلافته ٤٤ سنة وثمانية أشهر وبلغ من العمر سبعين سنة وثلاثة أشهر .

تفصيل أحوال سلاطين السلاجقة

ان طائفة من المتتبعين ورواة الحوادث والأخبار قد تناقلت أخبار السلاجقة بكل تقدير واعجاب وقالوا أنهم بلغوا في العدد ابتداء من أبيهم الى آخر واحد منهم وهو افرسياب ٣٣ رجلا ، وكانت هـــذه السلالة على جانب كبير من القوة والمنعه والعزة طريفاً وتالداً .

فقي سنة ٣٧٥ نهض من أولاد سلجوق ميكائيل واسرائيل وخرجوا بجموعهم من تركستان وأقاموا في بادية ينشابور في منطقة خراسان باذن وموافقة السلطان محمود الغزنوي ، وقد انعقدت اواصر الصداقة بينه وبين اسرائيل .

وذات يوم كان اسرائيل في مجلس السلطان محمود يتحادث معه بما يليق به من الأحاديث التي تناسب المقام ، ولما كان الكلام يجر الكلام فقد تطرق اسرائيل مفتخراً الى ذكر قبيلته وكثرتهم وقوة بأسهم

مما احفظ صدر السلطان محمود عليهم لأن قبيلة هذه قوتها تدعو الى أخذ الحيطة منها ، وخشيه من عواقب أمرها اصدر أمره بحبس اسرائيل وبقى محبوساً الى أن توفى بعد سبع سنوات ، وبعد وفاته التف أهل خراسان حول طغرل بك بن ميكائيل ابن سلجوق الذى سطع نجم سعده واطاعوه وجعلوه رئيساً عليهم ، ولما سمع السلطان مسعود بن محمود الغزنوي أراد أن يقضي على تقدمه فجهز عليه حملة كبيرة لاجلائه عن منطقة خراسان وبعد مناوشات وحروب تغلب طغرل على جيش السلطان محمد مسعود .

وفي سنة ٤٢٩ استقل طغرل بك وصار شاهاً على خراسان ثم تصادم مع جيش مسعود في اطراف مرو وتغلب ايضاً عليه واستولى على اقليم العراق العجمي وتمكن بالتدريج من ضم اذربايجان وكردستان وفارس وخوزستان الى ملكه ، ثم سار نحو بغداد ليكون بخدمة الخليفة القائم بأمر الله فصار موضع تقدير من جانب الخليفة وحج البيت الحرام وزار روضة سيد الانام عليه وآله أفضل الصـــلاة والسلام ، وفي سنة ٤٥٥ انتقل الى رحمة الله .

وبعد وفاته تقلد السلطنة الب ارسلان بن جغري ابن ميكائيل وتقدم حتى صار يشار الى عظمته بالبنان وانعم عليه الخليفة بلقب عز الدين وكان وزيره نظام الدين الطوسي الذي كان يتولى زمام امور السلطان بكل مقدرة وحنكة .

وبعد استيلائه على كرجستان اتجه نحو ارمنستان وهناك وافق على الصلح معهم وزوجه ملك ارمنستان ابنته فصارت من جملة حرمه المصون ، ولما قصد قيصر الروم ديار الاسلام جمع الب ارسلان جموعه من المجاهدين وخرج على رأسهم للقاء الروم فانتصر عليهم واسر القيصر

واستولى على الكثير من الغنائم وقسمها حسب أوامر الشريعة الاسلامية واستخرج منها رسوم الخراج واحتفظ بالباقي .

وفي سنة ٤٦٥ قرر الاستيلاء على ما وراء النهر وتقـــدم حتى بلغ قلعة كرزم على شاطىء نهر جيحون ، ثم أحضر وكيل الوالي يوسف الخوارزمي امامه وفي اثناء السؤال والجواب والمناقشة هجم عليه وكيل الوالي على حين غرة وطعنه بسكين ومات من جرحه سنة ٤٦٥ وفي زمنه كان هناك رجل يسمى حسن الصباح يضمر العداء للوزير نظام الملك ويترصد أعماله وهفواته ، وذات يوم طلب الب ارسلان من نظام الملك أن يطلعه على سجلات الايرادات والصرفيات فأجابه ان تنظيمها وتقديمها اليه يتطلب وقتاً قد يمتد الى سنتين او اكثر ، فلما سمع حسن الصباح انتهز هذه الفرصة وتقدم الى السلطان يخبره بأنه مستعد لتقديم هذه السجلات خلال أربعين ، ولما كان هذا يتفق ومراد السلطان فقد عهد بها اليه وقدمه على غيره ، فراح يواصل ليله بنهاره في العمل حتى انجزه خلال المدة المتفق عليها وقدم السجلات الى السلطان ولما اطلع عليها وجدها مشحونة بالاغلاط وبالتداخل بعضها ببعض وأعادها اليه وفي صباح اليوم التالي جيء به امامه وكشف له عن اغلاطه واضطراب حساباته وظهر الغضب على وجه السلطان فانتهزها نظام الملك وقال له يا سيدي ان هذه الحسابات كان يتطلب تنظيمها سنتين عقلا ولكن هـذا الرجل اكملها بأربعين يوماً جهـلا وبدون تفكير وبطبيعة الحال تكون النتيجة كما تراها ، واعيدت السجلات الى نظام الملك وسقط حسن الصباح من نظر السلطان .

وفي زمن الخليفة المستنصر سلك حسن الصباح طريق الالحـــاد والزندقة وذهب الى قوهستان وتولى الحكم هناك هو وثمانية افراد بعده

من أولاده وكلهم كانوا يروجون مذهب الالحاد واخيراً . وفي سنة ٦٥٤ استولى هولاكو على تلك الأمكنة ودمرها وقضى على حكامها ، وكانت مدة حكمهم مائة وسبعين سنة ثم صار ملكشاه بمعونة وزيره نظام الملك ملكاً على ايران واستولى على مدينة سمرقند واسرحاكمها .

وفي سنة ٤٨١ حج بيت الله الحرام وبعد عودته خرج لمحاربة الروم ولكنه غلب على أمره واسر ملك الروم عدداً من جنوده ولكن السلطان اخفى هذه الموقعة عن وزيره نظام الملك ولما علم بها اخفاها هو أيضاً عن اتباعه ، ولما تقرر الصلح ذهب نظام الملك بنفسه الى ملك الروم لعقد معاهدة الصلح وفي اثناء الكلام قال لملك الروم ان لديك عدداً من جنودنا وقعوا في اسرك وانك اجبرتهم على اعتناق الدين النصراني فأنكر ذلك ملك الروم في بداية الامر وبعد اخذ ورد اقنعه بلطيف حكمته وحسن تعابيره فوافق عندئذ على احضارهم امامه وسلمهم إلى نظام الملك وتم عقد الصلح واعاد الاسرى الى امكنتهم في الجيش الاسلامي كل ذلك بتدبيره الحكيم وتصرفاته المعقولة .

وبعد هذه الوقعة تكررت المعارك مع القيصر الذي وقع اخيراً في الاسر ولم يطلق سراحه إلا بعد استيفاء الجزية والخراج منه ، ثم انقذ السلطان انطاكية والشام واللاذقية حتى بلغ حدود الروم ، وفي أواخر ايامه افسد المغرضون بينه وبين وزيره نظام الملك وأمر بعزله .

وفي سنة ٤٨٥ تصدى لنظام الملك احد فدائي الملاحدة وضربه فقتله ويقال انه قبل ان يلفظ النفس الاخير ردد هذه الأبيات التي رواها المؤرخون باللغة الفارسية وهي :

« سال باقبال نواى شاه جوان بخت كردستم از جهدهٔ ايام ستردم

جون شدز قضـا مـدت عمرم نور وشش اندر سفر از ضربت يك كارد بمردم منشور نكو نامى وطغراى سعـادت بيش ملك الفرش بتوقع تو بردم بكذاشتم اين خدمت مردانه بفرزند اورا بخداوند سپردم (١) .

ذكر الاتابكية الموصل المعينين من قبل ملكشاه

لقد تولى حكم حلب آقسنقر سنة ٤٨١ وظل يحكمها مـدة عشر سنين بكل مقدرة وجدارة ثم انتقل الى الدار الآخرة وتولى ابنـه عماد الدين زنكى امارة بغداد والموصل من قبل السلطان محمود السلجوقي ثم أضاف اليه الشام .

ونظراً لقربه من بلاد الافرنج فقد قام بغزوهم واسترد قلعة الرها منهم ثم استرد ديار بكر وصارت كلها تحت قبضته ثم حاصر قلعة جعبر وبقى يضيق عليها الحصار ولكنه قتل من قبل مماليكه والتحق بزمرة الشهداء سنة ٥٤١ وتولى بعده ابنه نور الدين محمود واستولى على حما وحمص وسنجار واتخذ من دمشق مقراً له ..

---

(١) عرضت هذه الابيات على صديقي الاستاذ جعفر الخليلي وبعد تفكير وامعان قال ان معناها على ما يظهر ينبغي ان تكون (مرت سنون محوت بها من جبين الأيام الظلم فخوراً بخدمة عظمة السلطان المحظوظ ولما حم القضـاء وقد مر من عمري ست وتسعون سنة ومت على أثر ضربة من سكين في هذا السفر فقدمت الصحيفة الناصعة البيضاء وخاتم الحكم لملك العرش موقعة بتوقيعك ووضعتها امامك . وهذه الخدمة الخالصة لنجله الكريم اكلها الى الله تعالى) . المترجم

يقول صاحب كتاب روضة الابرار انه في سنة ٥٥٧ رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدةوبشره بالفوز في الدارين ثم قال له ياحمود دونك هذين الأشقرين واقض عليهما وقد أراه أياهما فلما انتبه نهض سريعاً وفي تلك الليلة جهز نفسه وتحرك على رأس عشرين نفراً من الخيالة وسافر الى المدينة المنورة فوصلها بعد ستة وعشرين يوماً كاملة وجمع فقراء المدينة واغدق عليهم ثم انصرف الى حجرة في الرباط القريب من الروضة المطهرة واتخذ زي الحجاج المغاربة وراح يتجسس على صاحب تلك الصورة التي رآها في المنام ثم وجد بالقرب من الضريح نفقاً وبعد التفتيش والتحري والتحقيق اكتشف وجود شخصين كافرين بذلك الوصف الذي رآه في المنام فقبض عليهما وقد تبين انهما كانا قد ارسلا من ديار الكفر لغرض سرقة الجسد الشريف وعندئذ اعدمهما فوراً وسد النفق الذي كانا قد حفراه بالرصاص المذاب وشيد عليه حائطاً اوصله الى السطح ، وقد أمر المومااليه ببناء الكثير من المدارس والخانقاهات وانفق الكثير من الخيرات وكان يكثر من الخروج للجهاد .

وقال صاحب عروض الرياحين انه كان واحداً من الابدال الاربعين وبعد عشرين سنة من توليه الحكم سافر إلى دار النعيم ، وممن تولى الحكم من أولاده الملك الصالح الذي توفى بعد ثمان سنوات .

وبعد وفاة سيف الدين الغازي بن عماد الدين زنكي تولى ابنه نور الدين محمود الحكم في ديار بكر والموصل والجزيرة وكردستان ، وكان يقضي معظم أوقاته في الجهاد ، وبعد حكم ثلاث سنوات توفى في سنة ٥٤٤ فتولى الحكم بعده اخوه قطب الدين مودود بن زنكي على الموصل وتوفى في ديار بكر بعد عشرين سنة من الحكم ، وصار حفيده

سيف الدين غازي حاكماً على الموصل وديار بكر وتوفي بعد عشرة سنين وصار أخوه عز الدين مسعود حاكماً على الموصل وبناءاً على وصية ابن عمه الملك الصالح ضم اليه منطقة حلب ثم تنازع مع سلطان مصر والشام صلاح الدين وكانت عاقبة هذا النزاع ان استولى صلاح الدين على حلب وسنجار وميافارقين ثم تصالحا .

وبعد ثلاث عشرة سنة من الامارة قضى نحبه وقام بمكانه ابنه نور الدين ارسلان حاكما على الموصل وبعد حكم دام ثمانية عشرة سنة ارتحل الى الدار الآخرة وتولى الحكم بعده ابنه عز الدين مسعود الذي تولى الحكم بعد وفاته مدبر امورهم بدر الدين لؤلؤ وهذا ايضاً لحق بهم بعد مدة قليلة فملك بعده ابنه الملك الصالح وظل حاكماً على الموصل حتى سنة ٦٦٠ إذ قتله هولاكو وانتقل الملك الى أولاد هولاكو .

بقية سلاطين السلاجقة

تولى السلطنة بركيارق بن ملكشاه على ايران بالوراثة وصار شاهاً عليها ثم حصلت بينه وبين اخيه محمد حروب ومنازعات كانت نتيجتها استيلاء محمد على الشام وديار بكر وبغداد واذربايجان والارمن وكرجستان وترك الباقي تحت حكم بركيارق واصلح بين الاخوين بعض أرباب الاصلاح ، ثم اتجه نحو سمرقند وبخاري واكثر من الغزو لبلاد ماوراء النهر وكان صاحب همة وعزيمة ولم يكن فيه عيب سوى ميله إلى الحروب .

وفي سنة ٤٩٨ عزم على السير نحو بغداد وفي أثناء طريقه وافته المنية وبوفاته استقل اخوه محمد بن ملكشاه وآلت اليه السلطنة وهذا

أيضاً توجه الى بغداد وحضي بتوجيهات الخليفة المستظهر وسار بعد ذلك إلى الهند وفتح الكثير من مدنها وامتلك أحد اصنامها وقد تقدم الهنود إليه بشراء الصنم منه بالكثير من الجواهر وكاد يميل الى بيعه ولكن وزيره صرفه عن هذه الفكرة وقال ان بيعه لا يليق بجلالته لانه اذا باعه سيكون مضغة في افواه الناس وعندئذ أرسله الى أصفهان ووضعه على عتبة مدرسة الشاه حيث بقى هناك مدة ١٣٠ سنة ثم تهدم .

وفي سنة ٥١١ انقرض حكمه وانقضت مدته ووری التراب في مدرسته وقبيل وفاته كان ينشد هذه الأبيات :

تطم پرچم تیغ جهاز نکیر وكزر قلعه کشای جهان مسخر من شد
جو من مسخر رای بس بلاد کشورم بیك اشارت دست
بس قلاع كشورم بيك فشرده پای جومرك ناختن اورو هيج
سودن داشت بقابقای خداست وملك ملك خدای (١) .

وبعد وفاته تولى الحكم سنجر بن ملكشاه حاكم منطقة خراسان وبقى شاهاً لمدة ٤٤ سنة وبلغت حدود مملكته الى أقصى بلاد الشام ومن بحر الخزر الى اليمن ، ثم تنازع هو وابن عمه محمود وانهزم امامه وبعد ذلك تصالحا وزوجه ابنته اخترين وترك له محمود سلطنة العراق واقصى الشام الى ان مات ، وكان في ايام ملكه قد اصطدم بالعدو

(١) وقد ترجمها الأستاذ الخليلي بما يأتي : -

السلاح القوي يتم به الاستيلاء على العالم وينشر اعلامه والقوة التي تفتح امنع القلاع في الدنيا قد اصبحت في قبضتي وسخرت لارادتي فكم فتحت بها بلدانا بمجرد اشارة واحدة مني ، ولكن كل هذا لم يجدني نفعاً حينما هم الموت بأن يضغط بقدمه ضغطة واحدة ، فالبقاء لله وحده والملك ملكه سبحانه وتعالى . المترجم

وانتصر عليه سبع عشرة مرة ثم انهزم واسره العدو .

وفي سنة ٥٠١ اطلق سراحه وقد أدركه الهرم ولم يعد قادراً على تحمل اعباء السلطنة وتوفى بعد سنة من اطلاق سراحه وبوفاته انقرضت دولة السلاجقة في منطقة خراسان واستولى على بعض املاكه هناك خوارزم شاه والبعض الآخر صار من نصيب الغوريين وصار محمود ابن ملكشاه ملكاً على العراق وكان قد تنازع مرة مع عمه السلطان سنجر ومرتين مع ابن اخيه مسعود وفي كل منهما كان هو المنتصر والمتغلب عليهم وكان حسن الصورة والسيرة ومتضلعاً بعلم النحو والشعر وفي التاريخ كان اوحد زمانه وفي سنة ٥٢٥ انتقل من الحياة الى العدم عن عمر يبلغ العشرين سنة .

أما طغرل بن محمود بن ملكشاه السلجوقي فانه بعد وفاة ابيه محمود استولى على العراق واذربايجان والشام وصار ملكاً عظيماً على هذه الأمكنة وقد ساس الأمور بالعدل والكرم حتى جذب اليه قلوب الناس ولم يخطر بباله ان يتمتع بالملاهي والمهازل ، وبعد حكم ثلاث سنوات وشهرين توفى عن عمر يبلغ الخامسة والعشرين وذلك في سنة ٥٢٩ ودفن في بلده همدان .

أما مسعود بن محمد بن ملكشاه فقد صار بعد طغرل ملكاً على العراق وكان جواداً كريماً يكثر من العطاء وينعم على الفقراء وكان يقسم ايراداته على مستحقيها بدون تأخير وكان في الشجاعة مضرب المثل ، وبعد حكم دام ثماني عشرة سنة وستة أشهر ، وبعد أربعين سنة من العمر قضى نحبه في همدان وسنذكر ماوقع له في بغداد من التنازع مع الخليفة الراشد وذلك عند ذكر ترجمة الخليفة انشاء الله الملك الجليل .

وبعد وفاته تولى الحكم ملكشاه بن محمود بن محمد السلجوقي ولكنه

مال الى شرب الخمور والى الملاهي فخلع من منصبه ، ولما لم يكن أخوه محمد لائقاً للحكم فقد ولى وجهه نحو جهة خوزستان ثم عاد الى اصفهان وصار حاكماً عليها .

وفي سنة ٥٥٥ انتقل الى الدار الآخرة . وان محمد بن محمود بن محمد السلجوقي صار هو الحاكم على العراق بعد خلع اخيه ولكنه اصطدم مع عمه سليمان شاه ووقعت بينهما حروب قرب رودارس وانتصر عليه ثم تنازع مع الخليفة المقتفي وضيق عليه واغلظ له القول ثم اعتذر وزوجه كريمته كرمان خاتون تأكيداً للصلح والصلح سيد الأحكام .

وفي سنة ٥٥٤ توجه نحو همدان وهناك انتقل الى الدار الآخرة ، ومن غريب الاتفاق ان سليمان شاه بن محمد ملكشاه السلجوقي بعد وفاة ابن عمه كان قد حضر الى بغداد من الموصل وتقلد منصب الملوكية بعده . وبالنظر لميله وانصرافه نحو الملاهي ومجالس الطرب ومعاشرة الندامى فقد خلع واودع السجن وكان عمره ٤٥ سنة وتوفى في سجنه سنة ٥٥٠ .

وبعد ذلك تولى بمكانه ابن اخيه ارسلان بن طغرل بن محمد السلجوقي ، وبسبب هجوم الكفار على بلاد الاسلام فقد تولى حربهم وانتصر عليهم واستولى على الكثير من الغنائم والاسرى وفي عودته استولى ايضاً على أربع قلاع منيعة من قلاع الملاحده وضمها الى ملكه وكان جميل الصورة ومثالاً يحتذى به في الكرم .

وفي سنة ٥٧١ انتقل الى الدار الآخرة وتولى بعده ابنه طغرل بن ارسلان بن طغرل السلجوقي وكان في الحكمة يضاهي الشيخ النظامي والخواجه ظهير وله طبع لطيف وخلق شريف وعقل كامل وكرم شامل ومفخرة آل سلجوق وكان عمه اتا بك محمد مديراً لأمور دولته وكان

متصفاً بالعدل .

وبعد وفاته آل الحكم الى قزل ارسلان وهو صديق محمد وبعد مدة قصيرة تنازع الطرفان ووقعت الحرب بينهما قرب دامغان فرّ على أثرها قزل ارسلان ولكن الخليفة انجده فعاد إلى الحرب وفي هذه المرة تغلب على السلطان طغرل وقبض عليه وأودعه السجن ولكنه لما توفى قزل ارسلان تولى الحكم بعده .

وفي سنة ٥٠٩ وقع نزاع بين خوارزم شاه وسلطان تكشر فتغلب عليه الاخير وحز رأسه وارسله الى الخليفة ، وبوفاته انقرضت حكومة السلاجقة في العراق ، ومن هذه القبيلة تولى الحكم في كرمان أحفاد ميكائيل بن سلجوق وهم احد عشر نفراً .

وفي سنة ٥٨٣ هؤلاء أيضاً انقرضت دولتهم ، اما أولاد اسرائيل ابن سلجوق وعددهم خمسة عشر نفراً فقد صاروا من اتباع الروم .

وفي سنة ٦٩٩ كان علاء الدين خاتمة دفتر آل سلجوق وكان سجيناً من قبل كيقباد غازان خان بن ارغون بن ابقا بن هولاكو ولم يبق منهم من يليق بالملك ولكن بقى منهم في كل بلدة امير وفي كل قريه حاكم ثم صاروا بك زادات (١) في قسطموني وبايزيد ولاوند وايج ايل حكاماً وولات .

ولقد كانت بداية آل سلجوق سنة ٤٢٩ وانتهوا في سنة ٦٩٩ ومدة ملكهم ٢٧٠ سنة ، وكان علاء الدين صاحب دين ومحبوب من لدن الرعية وكان في زمنهم سلطان العلماء برهان الدين وحفيده جلال الدين محمد الشهير بمنلا حنكار وابنه السعيد سلطان وابنه شمس الدين تبريزي

---

(١) بك زادات معناها ابناء الامراء .

المترجم

وصدر الدين قنوي وجدهم الامجد عثمان اسد المغازي وارطغرل الغازي وامتد ملكهم الى حدود الروم .

خلافة المقتدي بالله عبد الله بن احمد بن القائم

لقد تولى الخلافة بعـــد جده القائم باالله عبد الله بن احمد بن القائم ، وكان المثال بالعدل وكان ينهى عن المنكرات ويمنع النائحات والمغنيات ويصون حرمات المسلمين ويمنع ملاعبة الحمام والنظر إلى نساء المسلمين من السطوح ويمنع أيضاً من دخول الحمام بلاازر وكان يتشدد في كل تلك الامور .

وفي سنة ٤٨٠ اتصل بملك شاه وأرسل اليه وفـــداً لخطبة ابنته مه ملك وعاد اليه الوفد بالموافقة والقبول بعـد أخذ ورد ، وارتفعت اسعار السلع في الاسواق التجارية بهذه المناسبة وارسل الى الخطيبة ١٣٠ حمل جمل من افخر انواع الديباج والامتعة والاقمشة المختلفة وثلاث هوادج مرصعة ومزخرفة وأربعة وسبعين بغلاً مسرجاً ومزينـــاً بأنواع القلائد وستة جمال تحمل الشال والجواهر وثلاثة وثلاثين حصاناً لسحب المحفة ، ولما وصلوا بالعروس قرب دار السلام بغـداد وضعوا اثقالهم للراحة واستقبلها أهالي بغـــداد ووزير الخليفة استقبالاً رائعاً يتقدمهم ثلاثمائة جارية باحسن الألبسة يحملن مشاعل العنبر ، وتقدم كل من الخواجة نظام الملك واعيان الدولة لكل من الخليفة وملكشاه وبيد كل واحـد منهم شمعة من العنبر ومن ورائهم الفا خيال من الشجعان وثلاثمائة من الجواري الحسان وقد أحاطوا بمحفة العروس ورافقوها الى دار عزها وكان يوم الزفاف من الايام المشهورة وظلت السنة الخـاص

والعام تلهج بذكره ، وفي الصباح امر المقتدي بمد الاسمطة بأنواع الاطعمة اللذيذة ، واجلس اركان دولة ملكشاه كل واحد منهم على سرير يليق به .

ولما كانت لذات الدنيا سريعة الزوال وكل جمع عاقبته الى التفرق والفناء فان بعد تلك المهرجانات والافراح دب الخلاف بين العروسين وتنافرا وكان عاقبة ذلك ان اضطر الخليفة الى اعادتها إلى بيت أبيها حيث مرضت وماتت .

ومما يروى ان اباها ملكشاه قد تأثر وحقد كثيراً على الخليفة وحضر الى بغداد قاصداً خلعه وابعاده والح في طلب تنحيته وابعاده عن بغداد حالاً ، فتوسط لديه الكثير من الوجوه والاعيان يلتمسونه بأن يؤجل اخراج الخليفة ولو لمدة عشرة أيام على الاقل لكي يتمكن من جمع امتعته ويتهيأ للسفر في اليوم العاشر فوافق ملكشاه على ذلك وعندئذ اخذ الخليفة يستعد ويصلي ويصوم ليلاً ونهارا ، ومن الغريب وردت الأخبار في اليوم العاشر تحمل نبأ وفاة ملكشاه وعندئذ اطمأن الخليفة واستقر في مكانه بعدما فرج الله عنه كربته وانقذه من شر عدوه .

وكان المقتدي عظيم الهمة قوي الشكيمة وفي زمنه بلغت الخلافة أوج عظمتها . وفي سنة ٤٨٧ بينما كان جالساً مع أصحابه بعد الغداء اذ التفت فجأة وقال من هؤلاء الذين تجرؤا ودخلوا دار الخلافة بلا استئذان ؟ فالتفت الجالسون يمنة ويسره فلم يروا احداً وانما شاهدوا الخليفة قد سقط جثة هامدة وقد فارق الحياة ، وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وخمسة أشهر عن عمر بلغ الستة والثلاثين أو التاسعة والثلاثين وثمانية اشهر .

خلافة المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدي

بعد ارتحال المقتدى الى دار البقاء جلس ابنه العزيز المستظهر احمد على كرسي الخلافة ، وفي ايامه خرج حسن الصباح وانتشرت دعوة الاسماعيلية وقال المنجمون بأنه سيحدث هذه السنة طوفان عظيم أشبه بطوفان نوح وستكثر السيول وتدمر كل شيء وتجعله خراباً ، فأحضر الخليفة المنجم ابن عيسى واستوضح منه عن هذه المزاعم فقال له ان طوفان نوح وقع عندما كانت السيارات السبعة في برج الحوت اما الآن فليس في هذا البرج سوى سيارة زحل ولذا فان من المحتمل ان تغرق بعض بقاع الارض .

وعلى هذا اوصى الخليفة بتحكيم السداد وتقويتها ، ومن غريب الاتفاق ان الوادي الكائن فى بادية طريق الحجاج قد انحدرت عليه السيول واغرقت بعض الحجاج فيه قضاءاً وقدراً .

وهذه الحادثة جاءت مصداقاً لمزاعم علي بن عيسى المنجم وصار موضع رعاية من قبل الخليفة وأنعم عليه بخلعه فاخرة صار يتبختر فيها .

وفي حدود سنة ٤٩٠ تقدم الافرنج من سواحل الشام ودمروا السفن وتقدموا حتى اقتربوا من انطاكيه وحاصروها تسعة اشهر ثم احتلوها من أيدي المسلمين وتقدموا نحو المعره وفتكوا بما يتجاوز المائة الف من أهل الأيمان وحاصروا بعدها بيت المقدس واحتلوه بعد أربعين يوماً ودون جلوة أنوار التوحيد منذ عهد عمر الفاروق الى سنة ٤٧٠ وفتكوا بأهله فتكاً ذريعاً وقتلوا حول المسجد الاقصى فقط أكثر من سبعين الف مسلم .

وفي سنة ٥١٢ توفي الخليفة المستظهر عن عمر احدى واربعين سنة ونصف سنة وبقي في الخلافة ٢٥ سنة .

يقول صاحب كتاب كزيده ان البرج الكائن في الجانب الشرقي من بغداد من اثاره وهو الذي بناه وبنا أبوابه وحفر حوله خندقاً وحصنه تحصيناً متيناً ، وكان على جانب من مكارم الأخلاق وكان يكرم الصغير والكبير ويحسن الى الجميع وكان يساعد المظلومين على من ظلمهم ، وكان حسن الخط ويجيد قرض الشعر وأوصافه الحميدة تفوق الوصف .

خلافة المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن المستظهر

بعدما اختفى المستظهر والتحف الغبراء جاء دور المسترشد لتولي كرسي الخلافة وتمت له البيعة بموافقة الأكثرية ، غير أن سلاطين السلاجقة لم يكونوا راغبين فيه ، وبعد توليه الخلافة اصدر أمراً بشطب اسم السلطان مسعود السلجوقي من الخطبة والأكتفاء بذكر الخليفة وحـــده .

وفي بداية توليه الخلافة رفع أخوه أبو الحسن علم الثورة في الحلة وما جاورها فأوعز الى نقيب نقباء بغداد بأن يكتب الى حاكم الحلـــة شرف الدين علي زيدي يستعجله في أخذ البيعة للخليفة فامتثل ولكن أبا الحسن مانع ورفض وتوجه نحو جهات واسط وراح من هناك يبث الدعوة لنفسه . فلما علم الخليفة بذلك كتب الى حاكم الحلة أن يسافر على رأس حملة لاخضاعه والقضاء على فتنة دفعاً لما قد يقع من البلبلة والانشقاق ، ولما التحمت القوتان اندحر ابو الحسن واتجه نحو البادية

ولأجل اصطياده ارسل خلفه عدداً من الفرسان الشجعان وتمكنوا من القبض عليه والاتيان به الى بغداد فاستقبله أخوه المسترشد وشمله برعايته وأدركه حنوه الأخوي . ولم يتخذ بحقه أية اجراآت ولم يعاتبه على فعلته ، وقال بعض الرواة ان الخليفة وبخه وعاتبه ثم عفى عنه .

وفي سنة ٥٢٩ تولى السلطان مسعود أعلى الرتب في دولة الخلافة بسعي أمراء آل سلجوق ، ولم تمض مدة طويلـــة حتى دب الخلاف والتنافر بينه وبين الخليفة بسعي وافساد اولئك الأمراء ثم طلبوا الى الخليفة هم انفسهم ان يؤدبه ويقلم أضافره .

اما مسعود فانه احتراماً للخليفة لم يقابل الشر بالشر في بداية الأمر واخيراً اشتد الخصام بينهما وتقابلا بجيشهما وكانت الغلبـة لعساكر مسعود الذين هزموا عساكر الخليفة ولم يبق في الميدان سوى الخليفة نفسه وخاصته الامر الذي تعجب منه مسعود وامر رجاله بعدم التعرض بهم ثم لوى عنان جواده واتجه نحو اذربيجان حيث ابن اخيه داود بن ملكشاه الذي كان قد رفع لواء التمرد والعصيان ، وعند وصوله الى مراغة نصب خيامه هناك ، وكان الخليفة يرسل اليه سنوياً مرتباته ولم يقطعها عنه ثم وقع الصلح بينهما وسمح له الخليفة بالعودة الى بغداد وفي هذه الظروف تقدم جماعة من الملاحدة وهجموا على المسترشد وقتلوه فمات شهيداً وذلك في سنة ٥٢٩ وفي رواية اخرى ان القتلة كانوا قد نهبوا امواله بعد مقتله ولكن مسعوداً امر بردها مبدياً اسفه على هذه الاعمال الطائشة وعاقب الذين قاموا بها ، وفي رواية اخرى ان عمه سنجر قد ارسل اليه كتاباً شديد اللهجة توبيخاً له على تهاونه في هذا الصدد وامره برد ما نهب من اموال الخليفة ، وفي رواية اخرى ان هذه الاعمال كانت بايعاز من السلطان مسعود ولكنه عاد فقتل القتلة

واقام له مجلس العزاء ودفن في احدى مدارسه ، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وسبعة اشهر عن عمر يبلغ الرابعة والاربعين سنة .

خلافة الراشد بالله ابو جعفر المنصور ابن المسترشد

وبعد وفاة المسترشد المظلوم اتفق اولو الحل والعقد من البغداديين ونصبوا بمكانه ابنه وولي عهده الراشد وبايعوه بالخلافة غير ان السلطان مسعوداً مانع هو واتباعه الذين كان قد ارسلهم الى بغداد ، ومع ان الراشد وافق على ما كان يدفعه أبوه الى مسعود فانه بقى على اصراره وعدم البيعة ، واخيراً اتفق اهل بغداد واخرجوا المسعوديين الذين يتجاوز عددهم الخمسين الفاً في بغداد ، وفى هذه الاثناء وصل عماد الدين زنكي من الموصل وداود بن محمود بن ملكشاه من اذربايجان واتفقوا مع الخليفة على تأديب مسعود وتعاهدوا على ذلك ولكن مسعوداً كر راجعاً إلى بغداد وحاصرها لمدة شهرين وبعد عدة مصادمات تغلب عليهم ودخلها كالقضاء المبرم وتولى حكمها واجبر الخليفة على الخروج منها فسافر الى الموصل مع الاتابك زنكي كما وان داود بن محمود ملكشاه سافر أيضاً الى اذربايجان وبقى مقر الخلافة خالياً من الخليفة .

وفي سنة ٥٣٠ تولى الخلافة الشاب المقتفى لامر الله ، ثم ودع الخليفه حاكم الموصل وسافر ليلحق بداود ملكشاه ولما التقى به وافق على العودة الى بغداد معه فسمع بذلك مسعود وقام فوراً على رأس قوة كبيرة واتجه نحوهم فتغلب على داود واضطره الى الهروب نحو خوزستان اذ لم يتمكن من المقاومة .

وفي حدود سنة ٥٣٢ ائتلف الراشد وداود على اعادة الكرة لمحاربة

مسعود ولاجل تدارك ما يقتضي لهم سافر الى اصفهان فانتهز الملاحدة هذه الفرصة وهجموا على الخليفة وقتلوه وهناك دفن غريباً عن بلده ، وفي بعض الروايات ان خدمه هم الذين قتلوه وكانت مدة خلافته سنة واحدة عن عمر يبلغ الثلاثين سنة .

خلافة المقتفي لأوامر الله ابو عبد الله

ابن المستظهر

بعد جلاء الراشد من بغـداد وخلو كرسي الخلافة صار المقتفى خليفة بتدبير مسعود بالرغم من كون المومأ اليـه كثير العيوب وعديم اللياقة للخلافة كما قال ذلك بعض المطلعين .

ومما يروى انه قبل ستة أيام من توليـــه الخلافة رأى في المنام سيد العرب والعجم الرسول الابطحي خاتم الانبياء محمد المصطفى عليه من الصلاة أزكاها ومن السلام اتمه وخاطبه قائلاً ستنال الخلافة عما قريب فاقتف بهدي وسنتي في اعمالك ولهذا لقب بالمقتفى ، وقد أرسل اليه السلطان مسعود عدداً من الرجال لينظموا له سجلات مصـارفه اليومية فقيل له انها تحتاج الى اجور نقل أربعين حملاً على أربعين بغلا يومياً فاستكثر ذلك وندم على اقتراحه .

وفي سنة ٥٤٧ توفي مسعود وضعفت شوكة السلاجقة بموته ونشطت الخلافة بعد وفاته وكان الباقون عندما يمرون بدار الخلافة يترجلون من على ظهور خيولهم ويقبلون العتبة بتبجيل واحترام ، لقـــد كانت عصا النبوة والكسوة قد استولى عليها سنجر من الخليفة المسترشد فاستردها

المقتفي مما اوجب الشكر لله من قبل البغداديين وأقاموا الاحتفالات فرحاً وابتهاجاً .

وقد ارسل السلطان محمود بن ملكشاه رسله الى بغداد على جاري العادة يلتمسون ابقاء ذكر اسمه في الخطبة ولما وجد ان الخليفة لم يأمر بذلك احتد كثيراً وجرت بينه وبين قوات الخليفة حروباً كثيرة ، وفي هذه الظروف حصلت فتنة في عراق العجم اضطرت السلطات الى التخلي عن محاربة الخليفة والعوده الى مقره دون نوال ما يريده وانزاح عن بغداد بهمة اهل بغداد واتفاقهم ضده . وفي هذه الأيام انتشر الوباء بكثرة وأهلك الكثير من الناس .

وقد شيد الخليفة بابا جديداً مرصعاً للبيت العتيق وارسله الى هناك وابقى الباب القديم ليكون تابوتاً له عند وفاته .

وكانت مدة خلافته ٢٤ سنة وثلاثة اشهر عن عمر يبلغ الستين سنة ومنذ ظهور الديالمة كانت الخلافة العباسية تتدانى وتضعف ولم تعد لها تلك الهيبة والعظمة الا في زمن المتقفى الذي نفخ فيها الروح ومد في عمرها وأعاد اليها هيبتها امام الاجانب وغيرهم .

خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ابن محمد المقتفى

بعد اختفاء المتقى تحت التراب تولى الخلافة بعده ابنه وولي عهده المستنجد وقد نشر العدل في كل مكان ولم يفسح المجال لوقوع ظلم او فساد وبذلك اكتسب رضاء الرعية وابعد اهل السعاية والنفاق من حوله ، ومما يروى انه كان قد زج في سجونه الكثير ممن كان يؤذي الناس وقد

توسط لاطلاقهم بعض الجهلة على ان يدفعوا له عشرة آلاف قطعة ذهبية لقاء ذلك فقال الخليفة للوسيط انني ادفع لك عشرة الاف قطعة ذهبية اذا اختبرتني عن امثال اولئك المؤذين لكي اريح البــلاد والعباد من شرورهم .

ولما تقلد الخلافة سعت امه بازاحته عنها وتولية اخيه أبا علي وقدمت لاركان الدولة وذوي المناصب العالية الكثير من المبالغ لتنفيذ ما أرادته ولو بجعل أخيـــه ولياً للعهد ، ولما سمع الخليفة المستنجد سجن الام وابنها ثم قتـلا بيد الجواري والقيت جثتيهما في نهر دجله .

وفي أيامه وقعت في عراق العجم والعرب وبلاد الشـام والجزيرة صواعق وزلازل كثيرة زلزلت اقطار الارض وهدمت الكثير من الدور واضطرت الأهليين إلى النزوح خـارج المدن والسكن في العراء تحت الخيام .

وفي سنة ٥٦٦ ترك المستنجد دار الغرور ، وكانت مـدة خـلافته احد عشر سنة عن عمر يبلغ السادسة والخمسين وفي خلافته توفى الشيخ الرباني والمرشد الصمداني عبد القادر الكيلاني قدس سره .

خلافة المستضيىء بنور الله الحسن بن المستنجد وظهور صلاح الدين الايوبي

بعدما اقتربت شمس المستنجد من الافول وانحدرت نحو الغروب بزغ كوكب طالع سعد المستضيىء بنور الله من أوج برج الخلافة وبايعه الخاص والعام وأنعم على أركان دولته بالخلع السنية الفاخرة وبسط يده في البذل والعطاء وكان يوم جلوسه من الايام المشهورة بين الانام

وكان يتولى رتبة امير الامراء في زمنه قطب الدين قيمار الذي يتصرف بشؤون الدولة بدون مداخلة أحـد وكان وجود الخليفة بالنسبة إليـه كالعدم .

وقد تصدى له ذات يوم احد خواص الخليفة المسمى ظهير الدين العطار فتولاه امير الامراء بالضرب والاهانة ففر من بين يديه راكضاً نحو دار الخلافة ، ثم نشبت بينهما العداوة الى درجـــة قيام قيمار بالهجوم على داره ونهبها ثم اتجه هو واتباعه نحو دار الخلافة ، فتجمع حولهم الصغار والكبار وعندما اقتربوا من الدار ارتفعت اصواتهم بالشكوى من اعمال امير الامراء واتباعه وارتفع ضجيجهم الى درجة لفتت انتباه الخليفـــة فارتقى الشرفة مذعوراً ، ولما علم بالامر خاطب الجماهير بقوله ان رأس قيمار لي وامواله لكم ولما عاد قيمار إلى داره وجدها قد نهبت .

ومما يروى انه كان في قصره من الغرائب سلسلة مطلية بروائح المسك والعنبر يفوح عطرها ممتدة الى الخلاء بالاضافة الى المياه المعطرة التي يستنجي بها ، ووجدوا ايضاً خمسة اكياس مملوءة ذهباً وكاد العوام يتناهبونها لكنها وقعت بأيدي اللاوند وصاروا يتلقفونها من يد الى يد اما قيمار فقد تمكن من النجاة بنفسه بمختلف الوسائل ولكنه في طريق هروبه لفظ انفاسه الاخيرة وصار عبرة للذين يكفرون بالنعمة .

وفي سنة ٥٧٥ انتهى اجل المستضيء بنور الله وقد عاش حميـداً ومات سعيداً وكان صادق القول ومخلصاً وعابداً وفي ايام خلافته اى في سنة ٥٦٩ ظهر في سجل السلطنة الايوبية اول سلطان وهو صلاح الدين ابن يوسف بن ايوب بن شادي وهو من اصل كردى وكان وزيراً لعاضد الدين آخر ملك من ملوك الفاطميين الذي انتقل الى الـــدار الاخرة

باجله وبموته انتهت دولة الفاطميين .

وفى سنة ٥٨٢ سل صلاح الدين سيف جهاده واتجه نحو طبرية فاستردها والقى الرعب في قلوب الكفر واستولى بعدها على عكا والناصرة وصفوريه والقيصرية ونابلس وصيدا وبيروت وحلب وعسقلان والرملة وداردم وغزة وانطاكية صلحاً وعنوة بمعونة رب العزة وقدرته وانقذ المسلمين من بغيهم وبقى يواصلهم الحرب ثم توكل على الله واتجه نحو ألقدس الشريف وحاصره وبعد حروب دامت عشرين يوماً رفع الاعداء راية التسليم وطلبوا الأمان وبعدما استولوا على القدس الشريف احدى وتسعين سنه استرده منهم واعاده الى حضيرة الاسلام .

وقد كان صلاح الدين ميمون النقيبة وبعد وفاة نور الدين ضم الى ملكه الشام وحلب ، وقد دامت سلطنته عشرين سنة وانتقل الى دار البقاء عن عمر بلغ ٥٧ سنة وتولى بعده ملك العزيز عماد الدين ودام في الحكم خمس سنوات وعشرة اشهر وتوفى في مصر عن عمر بلغ الثامنة والعشرين ودفن بالقرب من الامام الشافعي عليه الرحمة .

وتولى الحكم بعده ابنه محمد المنصور بن ملك العزيز عماد الدين وله من العمر عشرة سنوات وكان توليه الحكم باتفاق من الامراء ثم خلع بعد مضي ثمانية اشهر وتولى بعده عمه الملك العادل سيف الدين بن ايوب بن شادى الذي توفى بعد حكم دام تسع سنوات .

وتولى بعده الملك الكامل ناصر الدين ملكاً على مصر . وفى اوائل جلوسه استولى الافرنج على دمياط وبعد مرور سنة واحدة استردت الى حضيرة الاسلام .

وقد دام حكمه عشرين سنة وتوفي عن عمر بلغ الستين سنة . ثم تولى الملك العادل الصغير ابو بكر وبعد سنتين حضر اخوه الاكبر من

حصن كفيا وخلعه ثم سجنه واستولى هو على الملك وبقى هـذا عشرة سنوات حاكماً توفي وتولى بعده ابنه باسم الملك المعظم ثم حصل بينه وبين قائد جيوشه عداء وحروب وقتله في سنة ٦٤٨ وبعد وفاتـه تولت امه شجرة الدر باتفاق الامراء وبعد مرور ثلاثة اشهر تخلت بعدهـا باختيارها وتولى الحكم بعدها الملك الاشرف السلطان موسى بن يوسف ابن الملك الكامل ثم خلعه احد رؤساء التركمان المسمى عز الدين ايبك وصار اتابكاً ومتصرفاً في ملك مصر ، وبخلع الملك الاشرف انتهت سلطنة الايوبيين في مصر وانتقلت الى ايدي الترك .

خلافة الناصر لدين الله ابو العباس احمد ابن الحسن المستضيء العباسي

بعد وفاة المستضيء تولى الخلافة الناصر لدين الله الذي اباد المفسدين واغلق الحانات ودور اللهو والفجور ، وامر بالمعروف ونهى عن المنكرات واكتسب باعماله قلوب الرعيـــة ، واهابه الصغير والكبير وصار الناس يتواردون على بغـداد من سائر الجهات للسياحة ، وكان فطناً شجاعاً وصاحب افضال واحسان ، وكان يتجول ليلاً في محلات بغداد وأزقتها لتفقد احوال السكان كما وانـه بث العيون والارصاد في الاطراف حتى صارت اعماله مضرب المثل في الحكمة وسداد الراي .

واقام في بغداد عدة مساجد ودور ضيافه ، وشيد في الطرف الغربي رباطاً للفقراء والمسافرين وعند افتتاحه اقام وليمة عامة ذبح فيها من الغنم فقط خمسة عشر الف راس وثلاثين الف دجاجة . وفي تلك الايام

كان قد استولى بعض الجهلة على المدرسة النظامية وسببوا دمارها واتخذوها اصطبلاً للحمير والبغال ولم يكن الخليفة يعلم بذلك .

وذات يوم رأى النبي (ص) في المنام وبجانبه نظام الملك الطوسي ولما سلم عليهما لم يلتفت اليه النبي (ص) واعرض عنه فالقى بنفسه على قدميه وسأله عن ذنبه فاشار الى نظام الملك فسأل الناصر نظام الملك وقبل يده ولما انتبه من نومه ذهب الى المدرسة فشاهدها بحالة مزرية فامر حالاً بترميمها وتنظيفها وتطهيرها حتى جعلها نزهة للناظرين واعاد اليها طلبتها واسس فيها مجدداً مكتبة حوت صنوف الكتب والتأليف .

وفي سنة ٦١٤ سمع الخليفة بتحرك خوارزم شاه السلطان محمد قطب الدين يصحبه احد السادات الافاضل وهو السيد علاء الملك الترمذي وثلاثمائة الف فارس فأرسل اليه قبل وصوله حضرة الشيخ شهاب الدين السهروردي ليسأله عن سبب هذه الحركة وبعد تعب ومشقات تمكن من الدخول الى المجلس السلطاني وبعد تقديم مراسيم السلام على الطريقة الاسلامية لم يرد عليه تكبراً وعجرفة وتركه واقفاً لم يسمح له بالجلوس فألقى الشيخ بحضرته خطبة بليغة تطرق فيها إلى مدح العباسيين واطرى عليهم وخص منهم بالثناء الخليفة الناصر .

ولما انتهى من خطبته وترجمت للملك أجابه قائلاً اننا قررنا ان نسند الخلافة الى من تتوفر فيه هذه الصفات الحميدة ، اما آل العباس فسوف نتخذ بحق الذين اساؤا منهم ما يستحقون ، ذلك لان آل العباس غدر بعضهم ببعض فاستوجبوا غضب الرعية عليهم وهكذا اعاد الشيخ دون الوصول الى ثمرة مرجوة من مجيئه .

وعند وصول السلطان محمد حدود همدان وحلوان حال دون مواصلة

سفره هطول الامطار والثلوج بحكمة حضرة رب العزة ، وانسدت الطرق بوجهه واهلكت الكثير من جنوده واضطرته الى العودة ودفع الله عن بغداد شره ، وبينما كان السلطان يتهيأ لاعادة الكرة في السفر الى بغداد اذ باغته جنكيز خان بقواته التي وصل بها الى كاشغر واصطدم به هزمه وظل يطارده حتى خراسان واصفهان وكيلان ومارندران وأخيراً التمى عصا ترحله في جزيرة اسكونه حيث سكنت ريحه وانتهت أيام عمره .

وفي سنة ٥٩٢ هجمت جيوش الخليفة على مقر مملكة العجم واستردت هذه المدن من الخوارزميين ، ثم قام خوارزم شاه علاء الدين تكش بالحركة نحو بغداد دار السلام ، وفي بادية همدان نصب خيامه حيث داهمته الثلوج والامطار الغزيرة وحال دون مواصلة السفر مما حمله على الاعتقاد بأن هذا البلاء انما جاء من محاولة ايذاء العباسيين وعاد مأيوساً وفي سنة ٦٢٢ توفى الناصر وكانت مدة خلافته ٤٦ سنة وبلغ عمره ٦٩ سنة .

وقد قيل عنه انه وان كان حسن السيرة ولكنه كان مسرفاً واغتصب الكثير من اموال الايتام ولم تكن خلافته خالية من المظالم والتعديات هذا ما رواه صاحب كتاب جامع السير ، اما اخبار روضة الابرار فقد قال انه كان يتشيع وينحرف عن الطريق المستقيم وكان يستحق معاملة خوارزم شاه له وتم خلافته وقعت فتنة جنكيز خان بسبب سوء أفعاله .

خلافة الظاهر بأمر الله ابو النصر محمد

ابن الناصر لدين الله

بوفاة الناصر تولى الخلافة بعده ابنه وولى عهده الظاهر الذي يبلغ من العمر ٥٢ سنة وقد امضى اكثر عمره ايام الشباب والفتوة في مرافقة أمثاله من الشباب ، وكان يتردد على اصحاب الدكاكين بعد العصر يحاسبهم على ماربحوه ، وكان عاقلا وصاحب دين ويتصف بالعدل في معاملة الناس ويدفع عنهم المظالم على قدر الامكان ، وكانت سيرته قريبة الشبه بسيرة عمر بن عبد العزيز ولم يكن في بني العباس من بدايته في اعماله الطيبة ولم يسر على طريقة ابيه الناصر في التجسس على اسرار الناس ومحاسبتهم على ما فعلوه ، لأنه يعتقد ان هذه الطريقة لافائدة من ورائها وانه ترك امر اصلاح البلاد وتقويم اخلاق العباد الى حضرة رب العزة .

وفي أيام خلافته كان يرسل للقاضي عشرة الآف دينار كامل العيار ليستعين بها ويقسم مافضل منها على الفقراء والمحتاجين وايفاء الديون التي يعجز اصحابها عن ادائها ، وكان يسعى لتبديل بعض اركان دولته الذين يرى منهم انحرافاً ومال نحو أعمال الخير ولم يلتفت الى أقوال الغمازين وأهل السعاية ، ولم ينظر في الاخباريات التي ترسل اليه من أمثال هؤلاء الذين يبحثون عن معايب النـــاس وينسون عيوبهم ، وكان يعامل الكل بالعدل والرأفة ، وكانت مدة خلافته على حد الأقوال الراجحة تسعة أشهر فقط .

وفي حدود سنة ٦٢٣ انتقل الى رحمة الرحمن ، وقد اتصف

بالعدل والاستقامة وسلامة الصدر ومخافة الله . وأبطل العادات والأعمال غير المشروعة واتبع الشريعة ، وفي خلافته ارتحل الشيخ شهاب الدين السهروردي الى ضيافة السرمدي .

خلافة المستنصر بالله منصور بن محمد الظاهر

بعدما اختفى الظاهر والتحف الغبراء بويع بالخلافة ابنه المستنصر بالله وبدأ خلافته بالتصدق على الفقراء وخلع على اركان دولته بالخلع الفاخرة وأكرم الشعراء وحباهم بالصلات والمنح والاحسان واكتسب بأعماله قلوب الجميع بما أقامه من الولائم والضيافات وبما اغدقه على المشائخ وأئمة المساجد وكفاهم الحاجة واحسن احوالهم .

وفي رجب من سنة ٦٢٥ اكمل بناء المدرسة المستنصرية المشهورة التي تم تشييدها خلال سبع سنين في دار السلام ونقل اليها ماتحتاجه من الكتب النفيسة على المذاهب الأربعة واكثر من بناء العمارات ودور الشفاء وأوقف عليها الكثير من الايرادات وعين فيها أي في المدرسة المذكورة اربعة علماء يدرسون الفقه ولكل مدرس ستون طالباً يتلقون منهم العلوم على اجتهادات المذاهب الأربعه ، وخصص لفقراء الطلبة كثيراً من ايرادات الوقف ، وكان يغمرهم باحسانه من طعام وحلوى ويدفع اليهم كل مايعوزهم من الملابس وغيرها .

وقد أودع مفاتيح التولية على هذه المدرسه الى وزيره ابو طالب محمد العلقمي وشيد في رأس كل محلة داراً للضيافة يتناول فيها الضعفاء ما يحتاجونه من الطعام .

والخلاصة فان منطقة دار السلام كانت مقياساً ومثالاً للعـدل ، وعندما اقترب العيد شاهد من أعلى قصره بعض الاسمال منشورة على السطوح فسأل وزيره عنها فقال انها البسة بعض الضعفاء غسلوها ونشروها فوق السطوح ليلبسوها ايام العيد . فتعجب وقال أإلى هذا الحد بلغ الحال بهم بحيث لا يستطيعون تدارك البسة جديدة يرتدونها في الاعياد ثم امر حالاً باحضار البزازين والخياطين وهيأوا مقداراً كبيراً من الالبسة وامر برميها على سطوح اولئك الاهلين .

ومما روته الاخبار انه بينما كان يتجول للنزهة مع احد خواصه في الامكنة التي تحفظ فيها خزانة ودفائنه اذ شاهد حوضاً مملوءاً بالاموال فسأل الله ان يمده بعمر يتمكن خلاله من ان ينعم بهذه الاموال على المحتاجين فتبسم صاحبه فالتفت الخليفة يسأله عن سبب التبسم فقال انه كان ذات يوم بصحبة الخليفة الظاهر اذ وقف على هذا الحوض فسأل الله ان يزيد في عمره لكي يملأه المال الى حافته فتبسمت للتفاوت بين الدعائين وكيف ان ذاك طلب المزيد يحتفظ به وانت طلبت البقاء لكي تنعم به على الناس .

وفي سنة ٦٤٠ انتقل المستنصر الى رحمة الله ، وكانت خلافته ستة عشر سنة وشهرين وبلغ من العمر احدى وخمسين سنة واربعة اشهر وبما ان الولد سر ابيه فان اعماله الحسنة كانت مرآة لاعمال ابيه .

خلافة المستعصم بالله ابو احمد عبد الله بن المستنصر بالله

وسقوط بغداد بايدي هولاكو

بعد انتقال المستنصر بالله الى دار البقاء تولى الخلافة ابنه المستعصم وبه بلغت سلسلة النسب غايتها في بغداد اذ كان هو الخامس والثلاثين من ظهر العباس رضي الله عنه هناك . وكان ميالاً لجمع المـــال والجواهر والاكثار من الخدم ويحب العظمه وقد بايعه الناس من جميع الافاق شرقاً غربا .

وفي سنة ٦٤٢ فاض نهر دجلة فيضاناً عظيماً بحيث اتلف الكثير من محلات بغداد ولم يبق من المساجد سوى ثلاثة بحالة اقرب الى الخراب .

وفي سنة ٦٥١ وصل هولاكو الى اقليم العجم شاهراً سيفه ومكتسحاً كل من يقف أمامه ، وبتشويق من نصير الطوس اتجه نحو بغداد بسرعة وكأنه القضاء المبرم ونصب خيامه بالقرب منها ثم نصب المنجنيقات عليها واخذ يضيق الخناق بمحاصرتها وضربها ، وقد كان يستشهد من المسلمين ثمانمائة ألف في كل اسبوع ، وعلى قول بعضهم انه ظل يرمي بغداد اربعين يوماً بكل شدة وبدون هوادة ويسلط نيرانه عليها كالصواعق وكان الخليفة المستعصم قد استعد لعدوه واتخذ وسائل المقاومة والدفاع خاصة عن دار الخلافة واكثر من الحراس حولها وراح يبادل خصمه بتوجيه النيران عليه ، ولاجل اظهار قوته لخصمه تقدمت قواته نحو الكرخ وبأمر منه اغارت هذه القوات على بيوت الشيعة ودمرتها .

وقد اغتاظ وزيره ابن العلقمي من هذه الأعمال في مثل هذه الأيام الحرجة ثم استدعا الوزير وامره بالذهاب الى هولاكو المتوسط بالصلح ولخطبة ابنته وعقد نكاحها عليه توثيقاً لاواصر الصداقة وعندئذ يحل الصفاء بين الطرفين .

وقد امتثل الوزير ما امره به الخليفة وعاد بالموافقة خداعاً واقنع الخليفة بزيارة هولاكو فوافق هذا واستصحب اثنين من ابنائه الشباب وجماعة من الأعيان وذهب حيث يقيم هولاكو ، وحالماً وصل من كان في ركاب الخليفة احتجزتهم جنود هولاكو وفضوا عليهم ثم ذهبوا بالخليفه وابنيه وقتلوهم فذهبت أرواحهم الى الجنة حيث مثوى الشهداء ، ومما قاله شعراء زمانهم في هذا الصدد :

آسمان راحق بود كر خون ببار دير زمين

از زوال ملك مستعصم امير أمير المؤمنين

أما الوزير ابن العلقمي فقد كان مشغولاً بتنظيم الميزانية وتقليل المصروفات ولذلك قطع من مخصصات العليف لدواب الجنود مايزيد على الخمسة وثلاثين الفاً ونقل وكلاء الخليفة ووزرائه هنا وهناك بيت :

جون شود رشخن ملايم از ارق مدعمكرها در پرده

دار داب زير كاهرا

وكان الخليفة غافلاً عما يراد به لسلامة قلبه وكانت النتيجة ان وصل الى حد انه لم يتمكن من انقاذ نفسه من التهلكة .

يقول مصلح الدين اللاري في تاريخه عن هذه الحادثة باختصار ان هولاكو عندما كان منشغلا باحتلال القلاع والبقاع ووصلت اخبار تقدمه الى المستعصم لم يعره التفاتاً ولم يمدد يده لنصرة اهل البلاد التي كانت ترزح تحت وطأة جيوشه اهمالاً وتكاسلا ، حتى ان هولاكو

بعث اليه عدة رسائل يهدده بها ويتوعده وبأنه سوف يحتل بغـــداد ويدمرها ويجعل عاليها سافلها ويطلب اليه القدوم بنفسه لعرض الطاعة والخضوع وتقديم الهدايا والتحف ليكسب رضاه قبلما يسلط التاتار على بغداد ويجعلها خراباً وموطناً للبوم والغربان .

ولما تلقى الخليفة هذه الرسائل أهان ناقليها واستهزأ بهم وعندما رجعوا سلط عليهم العوام يسبونهم ويحتقرونهم وكادوا يفتكون بهم لولا أن الحرس حالوا دون ذلك وانقذوهم من أيديهم وسفروهم نحو هولاكو وعند وصولهم أخبروه بالحالة ومانالوه من الأذى وشكوا اليه ما أصابهم فتملكه الغضب ولم يعد يستطيع الصبر وسافر هو وجنوده نحو بغداد لاحتلالها ، وكان الخليفـة غافلا عن تحرك المغول ثم فكر في اتخـاذ الاحتياطات الضرورية وبعد العدة لمقابلتهم فثبطه الوزير بن العلقمي وقال له ان سلاطين الدنيا وخواقينها كلهم خدم لمركز الخلافة وانهم على استعداد للمجيء بأدنى اشارة منكم ، على ان نساء بغداد وحدهن قادرات على رد الاعتداء .

وهكذا اقنع الخليفة من جهة ولم يستدع امراء الجيوش لدرء الخطر من جهة أخرى واشغلهم بأمور ثانوية وارسل الى هولاكو يعلمه سراً بالوضع ولم يكتف بهذا بل ارسل اليه مرة اخرى يخبره ان بغضه للخليفة ومحبته لهولاكو واخـــلاصه له حمله على الكتـابة مرة أخرى ملحاً وملتمساً الاسراع في القدوم .

وفي شهر رمضان من سنة ٦٥٥ وقبل أن يتحرك هولاكو من همدان أرسل قبله مقدمة جيوشه ريثما يستعد هو ويسافر في أعقابهم وقـــد تواردت الأخبار بذلك إلى بغداد وانتشرت بين الناس ، فتقدم بعض المقربين من الخليفة وأعلموه بقرب وصول هولاكو على رأس جيوشه

الجرارة ، ولكن الوزير طمأنه وتركه في غفلته الى أن وصلت طلائع جيش هولاكو كالسيل الجارف وعندئذ فقط اهتم الخليفة وأرسل فتح الدين ومجاهد الدين على رأس عشرة الاف مقاتل لمدافعة العدو ، وفي نواحي الجبل تصادم الجبلان وتقابلت الفئتان واشتعلت بينهما نيران القتال وتعذر في ذلك اليوم معرفة الغالب من المغلوب والسالب من المسلوب ، إذ كل منهما ثبت في مكانه ولما خيم الظلام انتهز التاتار فرصة نوم الجيش البغدادي وهجموا عليه من كل مكان وفتكوا به فتكاً ذريعاً ولم ينج منه غير ثلاثة جنود ولوا الأدبار وانقذوا أنفسهم من الهلاك والدمار .

ومما يرويه أكثر ارباب التواريخ انه في السنة المذكورة تقدم هولاكو بجنوده عن طريق بعقوبة ونصب خيامه بالقرب من بغداد ، ولما لم يكن هناك أمل في مقابلة الخليفة فقد شيد هولاكو قلعة واتخذها حصناً وراح من هناك يواصل الرمي على بغداد ليلاً ونهاراً لمدة شهرين هلك خلالها خلق كثير من الطرفين .

واخيراً ظهر الخور والعجز على قوات بغداد وعندئذ رأى الخليفة بحكم الضرورة ان يوفد الى هولاكو وفداً يحمل انواع الهدايا تودداً اليه وطلباً لعقد الصلح وان يوافق هولاكو على تزويج ابنته من إبن الخليفة امير المؤمنين وبهذا حسب ما يعتقد تتوثق عرى الصداقة والمحبة بين الطرفين ويتعزز نظام الملك والامة . وبينما كان المعتصم بين ايجاب وقبول واخذ ورد اضطر لمقابلة هولاكو .

وفي الرابع من شهر صفر سنة ٦٥٦ يوم الأحد سار الخليفة هو وولديه ابو بكر وعبد الرحمن وبعض العلويين وذوي الخبرة نحو معسكر هولاكو فادخل الحرس الخليفة وولديه الى مجلس هولاكو واحتجزوا

الباقين خلف الخيمة واستقباله في بداية الأمر خير استقبال وأحسن معاملته وفيما كان يسأله عن احواله ويحادثه ويلاطفه أوعز الى جماعة من حرسه بالذهاب الى بغداد ينادون بالقاء السلاح ويتقدمون للمصافحة معهم ويعلمونهم بأن الاتفاق قد تم على الصلح ورفع الكفاح ولا خوف عليهم بعد الآن ، فألقى اصحاب الخليفة اسلحتهم وامتزجوا مع المغول يتصافحون ونودى فى البلد ان يتقدم أعيان العباسيين وجميع رؤساء القوات المسلحة بالتوجه نحو مخيم هولاكو افواجاً افواجا .

وبينما كانوا يسيرون مطمئنين واذا بالتاتار يجردون اسلحتهم عليهم ويقعون بهم قتلاً وفتكاً ذريعا ويقضوا قضاءاً تاماً على من كان منهم بالقرب من المعسكر حتى افنوهم ثم اقتحموا مدينة السلام وهجموا على اهليها وراحوا يذبحونهم ذبح الاغنام ويقتلون بلا رحمة حتى سالت الدماء واختلطت بنهر دجلة وكأنما قد زلزلت الأرض وقامت الساعة في ذلك اليوم .

ومما ينقل ان هولاكو دخل بغداد يوم الجمعة واتى بالمستعصم معه وقال له نحن الآن ضيوفك فقدم لنا ما يليق بنا مما ادخرته من الأموال والهدايا فأمر الخليفة بفتح اقفال الخزائن واخرج منها انواع المصوغات الذهبية والجواهر والدرر والاثواب والاسلحة المحلاة بالجواهر ، ولم يكتف هولاكو بهذا بل طلب إليه ان يخرج الدفائن المخفية فأوعز إلى الحراس بأن يقولوا للحفظة بأن الخليفة يأمر ان تحفر الأمكنة والزوايا وتستخرج منها الخبايا ، وعند الحفر عثروا على حوض مملوء بعدد الحصى من الدنانير وهي من الكثرة بحيث يتعذر احصائها .

وبعدما استولى هولاكو على ذلك كله امر بقتل حاشية الخليفة ثم استشار امرائه في قتل الخليفة نفسه فلم يوافق حسام الدين المنجم

وحاول ان يصده عن ذلك ولكن الخواجة نصير الدين الطوسي كان قد اتفق مع امراء المغول على قتله وعندئذ هجموا عليه وقطعوه ارباً اربا وبذلك انتهت حياته .

ويقول كزيده ان الذين قتلوا في وقعة هولاكو من البغداديين فقط كانوا ثمانين الفاً ومما ينقل انهم وجدوا في بيت واحد اكثر من أربعين نفساً مقتولين ويقال أيضاً ان ملابس العباسيين وزينتهم وبردة النبي والقضيب وجدت مع المستعصم فأمر هولاكو باحراقهما وذر رمادهما في نهر دجلة .

لقد ظل اللعين الذي ليس له دين ستة أشهر قتل خلالها مايقصر اللسان عن تعداده عدا انه دمر بغداد وقتل كافر النعم ابن العلقمي وعلى قول البعض ان هولاكو قد نحاه من الخدمة واهانه وبعد مدة قليلة توفي . وفي اسمائهم قالوا شعراً :

از بنى عباس سي وهفت تن بودند امام كز سنان
وتيغ شان شد سينه اعـدا فكار بود سفاح
ان كهى منصور ومهدى از عقب هادى وهارون
امين مأمون امام كامكار معتصم وانكاه واثق
بعـد از متوكلست منتصر هم مستعين بودست
ومعتـز بيشكار مهتدى ومعتمد پس معتضد
پس مكتفى مقتـدر پس قاهر وراضى امام
روز كار متقي ومستكفى وآنكه مطيع وطائع است
قادر وقائم پس از روى مقتـدر شـد اشكار
بعـد از آن مستظهر ومسترشد وپس راشـد
است مقتفى مستنجد انكش شير كردون

شـــد شكـار ومستضيء وناصر وظاهر دكر
مستنصر ست اخرين قوم مستعصم بحكم كردكار بودند

وبعد ذلك انقرضت خلافة بني العباس في العراق وانتقل ملكهم الى المغول وان الذين تولوا الخلافة بالاسم في مصر فهم كما يأتي : في سنة ٦٥٨ تولى الخلافة من العباسيين احمد الملقب بالمستنصر بالله وولده محمد الظاهر بامر الله وقد بويعا من قبل المصريين بعد ثبوت نسبهما ، وقد اراد الملك الظاهر بيبرس ان يعيد الخلافة كما كانت في بغداد وسافر الى هناك لهذا الغرض ولكنه وقع بايدي التاتار حيث فتكوا به .

وفي سنة ٦٦١ تولي الخلافة الحاكم بامر الله من السلالة السابقة من احفاد الراشد بالله واتخذ مقره في قلعة الجبل وفي سنة ٧٠٢ توفى ودفن بجوار الست نفيسه ، وتولى ابنه المستكفي بالله سليمان وفي سنة ٧٣٧ نفى الى القوصة وهناك استوفى عمره ، ومع وجود ابنه احمد فقد أمر الملك الناصر على تعيين ابن اخيه ابراهيم الواثق بالله خليفة .

وفي سنة ٧٤٢ ازيل من الخلافة وعين بمكانه ابن عمه الحاكم بأمر الله احمد بن المستكفي وفي سنة ٧٤٩ توفى وصار أخوه المعتضد بالله ابو بكر بمكانه وفي سنة ٧٦٣ توفى واخلفه ابنه المتوكل على الله محمد .

وفي سنة ٧٧٩ ترك الخلافة وتولاها ابن عمه المعتصم بالله زكريا ابن ابراهيم ولما لم يحصل على البيعة العامة خلع واعيدت الخلافة الى المتوكل ، وفي زمنه كان في مصر خاتمة سلاطين الترك الملك الصالح حاجي بن الملك الأشرف وبسبب حداثة سنه عزل وانتقلت السلطنة الى اتابكه برقوق وبه انتقـل حكم مصر الى الجراكسة .

وفي سنة ٧٨٥ ابتلى بمحنة عزل وسجن على اثرهـا واقيم بمكانه ابن عمه الواثق بالله عمر وفي سنة ٨٠٨ توفى المتوكل وصار بمكانه ابنه

المستعين بالله العباس .

وفي سنة ٨١٤ ظهر في أطراف الشام الشيخ محمود حيث رفع راية العصيان هناك فسار لاخضاعه سلطان مصر فخرج مع الخليفة ولكن الشيخ محمود تغلب على سلطان مصر وبايع الخليفة الذي اسند اليه رتبة السلطنة بعد مرور سبعة اشهر وأخيراً خلع المستعين من الخلافة ونصب عوضه اخاه المعتضد بالله داود .

وفي سنة ٨٤٥ ارتحل من عالم الوجود وصار بمكانه اخوه المستكفي بالله سليمان .

وفي سنة ٨٥٥ نفد عمر المستكفي وصار بدله القائم بالله حمزة ، ولكنه بعد مدة قليلة عزل ونصب بدله المستنجد يوسف، وفي سنة ٨٨٤ توسد اللحد وتولى بمكانه ابن اخيه المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب

وفي سنة ٩٠٢ انقضت ايام عمر المتوكل وصار بمكانه ابنه المستمسك بالله يعقوب وفي سنة ٩٢٣ احتل مصر درة تاج سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان وعند عودته كان المستمسك قد بلغ ارذل العمر فلم يتمكن من مرافقته وانما اصطحب معه ابنه المتوكل على الله محمد الى ديار الروم وهناك حبسه في القلعة المسماة يدى قله .

وفي سنة ٩٢٦ اطلق سراحه وفي بداية هذا العام قضى المستمسك نحبه وارتحل الى الدار الآخرة .

وفي سنة ٩٤٥ توفى ايضاً المتوكل وقد خصص السلطان لولديه عمر وعثمان راتباً من الخزينة العامره وبوفاتهما انقرض اسم الخلافة والخلفاء

تفاصيل وقعة بغداد حسب رواية تاريخ وصاف

قال في تفصيل هذه الواقعة الفاقعة ماننقله على وجه الاجمال : وهو ان مدينة دار السـلام على عهد دولة العباسيين كانت على درجة عظيمة من التقدم والرقي والامن والنظام وكانت يتمنى امتلاكها كل سلاطين الدنيـا وكانت عامرة بالقصور الشاهقة والرياض النضره والبساتين الغناء التي تحف بها ، وكانت ذات هواء عليل وماء يشفي الغليل وفيها من كل ما تشتهيه الانفس وتلذ برؤيته الاعين من الخيرات الوافرة والنعم الباهرة بحيث تجعل اللسان في حيرة من وصفها كما قيل ان ماء بغداد هو ماء الحياه الذي شرب منه الخضر قبل التقائه بموسى عليه السلام .

وكانت شواطىء دجلة تزرى بشواطيء نهر النيل وغيره من حيث الجمال والسحر وفي مدارسها كان الفحول من العلماء والطلاب وفيها ايضاً من ارباب الصنائع مالا يمكن عدهم وحصرهم ولايمكن وصف ما ينتجونه من المصنوعات الباهرة لان القلم يعجز عن وصفها وبيان أنواعها .

اما عذوبة ماء الفرات ودجلة فحدث عنها ولا حرج ، واما بساتينها فكأنها وفراديس الجنان توأمان ومحصولات اثمارها السنوية تقدر بمائة الف تومان ، وفي تربتها التي هي أطيب من العنبر وفي عماراتها الكثيرة لا تضاهيها بلدة في سالف الاوان والزمان ، وكانت من حيث الخصب والرخص كأنها جنة عدن ، وكان خليفة الوقت المستعصم بالله ابو احمد عبد الله بن المستنصر مشهوراً بالعيش الرغيد والرفهنية وكثرة البذخ

والأموال والنفائس وأنواع الجواهر ، وكان على جانب كبير من الشوكة والعظمة وعلو المكانة ، وكانت شرفات دار الخلافة وأواوينها متقابلة ومتناظرة ومزينـــة بسرر مرفوعة ونمارق مصنفوفه تفوق زينتها قصر الخورنق في أيامه وكانت تزرى بايوان كسرى بن هرمز ابان تشييده في ارض المدائق وكان في دار الخلافة اربعمائة خادم يقومون بالخدمة ويطوفون بحرية في أرجائه وبلا اذن من الخليفة يدخلون بجلسه الخاص ويخرجون منه بكل حرية بينما لا يسمح لاحد من ملوك الدنيا واشراف وصناديد الزمان بالدخول إلا باذن ، اما أورقته ومسالكه فقد عقدت عليها الاواوين بحجارة سوداء . وقبابها مبرقعة بقماش اطلس وكان كل واحد منها الكعبة المكرمة ، وكان الذين يأتون لزيارة الخليفة من الملوك كأنما يأتون الى زيارة الكعبة وتقبيل الحجر الاسود .

وفي رواية انه كان مولانا أقضى القضاة مجد الدين اسماعيل في عهد الاتابك سعيد مظفر الدين ابو بكر عنـــدما يريد زيارة أمير المؤمنين يستنكف من لمس الحجر أو تقبيله . كما هو المطلوب من الزوار لشدة تقواه وانما كان يضع المصحف الذي بيده فوق الحجر ويقبله .

وكانت من عادة المستعصم في أيام الاعياد ان يمتطى حصاناً وعليه سرج مرصع بالذهب وبمختلف الجواهر ويسير متبختراً والناس من حوله يحيونه ويدعون لحصانه بقولهم : جعل الله الخير معقد ناحيته والاقبال غرة وجهه وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ونيل الاماني طوع يد راكبه وفتح الفتوح غاية مسيره وسلامة العمر مثنى عنانه . . وبهذا وأمثاله كانوا يهتفون ، وكان بريق طيلسانه يجعل الليل كالنهار . وكان يصحبه في يخته الذي يمخر عباب دجلة جماعة من السادات وكبار العلماء والمشايخ وكان منظر النجوم في السماء الصافية يأخذ بالالباب ويبعث

على التأمل والتجلي .

ومما يرويه بعض الذين يوثق بأقوالهم ان الناس كانوا يخرجون لرؤية موكب الخليفة ويحيطون به في عواماتهم التي يستأجرونها ، وقد قدرت تلك الاجور بثلاثة آلاف دينار .

جه تفرج كنى اى كارتو خود نكاه درجهان

ومع هذا فان جلالة المستعصم واقتداره ومهابته تفوق حد الوصف وفى أيام خلافته كان في خدمته فقط ستة الاف خيالاً من الحرس وعلى رأسهم قائد وكان الذي يدبر الامور وينظم الاعمال مؤيد الدين محمد ابن محمد بن عبد الملك العلقمي وهو الفاضل صاحب المنظوم والمنثور ورافع رايات المنقول والمعقول . المشهور بالكرم والسماحة .

اما المستعصم فكان يفعل كما تفعل الملوك يقضي اوقاته في اللهو واللعب ويميل إلى الراحة والعبث ، اما الأخذ والعطاء والحل والعقد فكان بيد ابن العلقمي ، وكان المقربون من الخليفة لا يقومون بمراسيم اظهار الطاعة والاحترام له أثناء مروره بهم مما كان يتبرم منهم (١) كما وان أبا بكر ابن الخليفة كان ديدنه اصطحاب جماعة من العسكر والهجوم بهم على جانب الكرخ تعصباً وبغضاً بالعلويين من بني هاشم ويقبض على أطفالهم من بنين وبنات أثناء فرارهم بوجهه ويأخذهم الى دور بعض الاعراب ويؤذيهم الأمر الذي يتبرم منه الوزير ويتذمر من هذه الافعال ويتكدر صفوه ويتغير حسن اعتقاده ويضعف فيه ذلك الاخلاص للخليفة .

وكتب يوماً إلى رئيس النجباء ومدار الشرفاء في الحلة السيد

---

(١) قالوا من أمن العقوبة أساء الأدب .

المترجم

تاج الدين محمد بن نصر رسالة يذكر له فيها ما يصيب سكان الكرخ من الاعتداءات والاهانات .

امور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

فكان جوابه انه ينصحه بالصبر على هذا البلاء وبالاقتداء بالامام الهمام سيد سادات الامام وبالحسن رضى الله عنهما ، وما عليه إلا ان يبذل النصيحة ويحذرهم من عواقب هذه الأعمال التي توجب نزول البلاء ، وكان جوابهم على نصحه انهم لابد وان يقتلوا جميع الشيعة ، وعندئذ دفعه حب الانتقام إلى الاتصال بالاتراك والاتفاق معهم بصورة سرية بالقضاء على هذه الاوضاع وجعلهم يترصدون الفرص للقضاء على الخليفة وزمرته وانتزاع بغداد من أيديهم .

وفي سنة ٦٥٤ برزت طلائع جيوش سلطان ممالك تركستان هولاكو خان وأزالت الدولة الصباحية أي دولة حسن الصباح التي دامت ١٧٠ سنة وانقذ من سجونها الخواجة نصير الدين الطوسي الذي سجن بسبب تمنعه من مدح الخليفة المستعصم وبايعاز من ابن العلقمي الذي كتب إلى حاكم قهستان ناصر الدين يوصيه بأن يكون على حذر منه . فلم يكن من الحاكم إلا ان قبض عليه وأودعه السجن .

وعندما ظهر هولاكو وقضى على الملاحدة ودار الفلك تخلص نصير وخرج لملاقاة هولاكو خان ولما حضر بين يديه واطلعه على قصته رأف به وأنعم عليه وجعله من خواصه ، وصار يستشيره في كل أمر من أموره وصار عند هولاكو في ارفع مكان .

ثم ان هولاكو عزم على السفر الى قهستان ولما علم الملوك والسلاطين بعزمه انخلعت قلوبهم خوفاً ورعباً لما عرفوا منه منشدة البطش والتنكيل باعدائه ، فانتهز ابن العلقمي هذه الفرصة وأرسل اليه رسالة يشكو

اليه فيها من سوء الاحوال ويبدي فيها اخـــلاصه له وطاعته ويرحب بمقدمه ويقول له انه قد دبر الامور بحيث اذا وصل سيجد بغـــداد مفتحة الأبواب وسيتولى امورها ويحكمها بلا حرب ولا نزاع ، ولكن هولاكو لم يكن واثقاً من هذه الرسالة لان بغداد مشهورة بتحصيناتها وبكثرة اجنادها واسلحتها ، وان ملك الاتراك الايلخان قبل هذا كان يتردد في الهجوم عليها مع ما لديـــه من كثرة العساكر اذ توقف في ظاهر البلد .

وفي بداية خروج جنكيز خان على رأس قوة تقدر باربعة وعشرين ومائة الف جندي تصدى له الناصر لدين الله وهزمه وشتت قواته .

لقد فكر هولاكو بهذا وبامثاله ثم اكرم رسول العلقمي وطلب منه ان يخبر العلقمي بأن يقدم له ما يؤيد صدق رسالته فقدم له ماأراد واكثر من ارسال الكتب اليه ، وكان هولاكو يجيبه ويبذل له الوعود والخليفة واركان دولته وعساكره في غفلة بما يدبر لهم في الخفاء .

وعندما وصل خبر عزم هولاكو على القدوم اودع الخليفة تدبير الأمر الى الوزير ، وبالنظر لكثرة توارد كتب العلقمي على هولاكو استشار الخواجه نصير وطلب اليه ان يستكشف له احكام الكواكب والنجوم في هذا الصدد فأعلمه بأن مطالع سعوده تقول بأنه سوف يحتل بغداد بكل يسر وسهولة ويتحكم فيها ويخلع الخليفة اذا كان ذلك يتفق مع احكام القدر والله اعلم .

شعر :

ادبر بالنجوم ولست ادري ورب الارض يفعل ما يشاء

ذلك لأن العلماء الأعلام عندما يتقدمون باجوبتهم عن الأسئلة يختمونها بقولهم والله اعلم بالصواب ، وكذلك يقول الأطباء اثناء معالجتهم

للمريض بأن الله هو الشافي ، ولقد كان جواب نصر الدين قد وجـد له طريقاً الى سمع هولاكو وقلبه وبتحبيذه أمر باعداد العدة المتوجه نحو بغداد ، ولما وصل الى همدان ارسل الى المستعصم معتمداً بطلب اليه أما التسليم والاذعان والتخلي من الملك وأما القتال .

ولما وصل المعتمد وقدم هذه الشروط ارسل الخليفة جوابه بيد احد معتمديه وهو محي الدين بن الجوزي لكن يثنيه عن عزمه ، فلما رأى هولاكو ان الخليفة قد تجاهل مطاليبه ولم يتطرق الى ذكرها والجواب عنها سلباً وايجاباً تملكه الغضب وأصدر أوامره بأن يتقدم أمامه الأمير سوغر نجاق عن طريق اربيل ثم يعبر نهر دجلة وامر الامير الثاني بايانجو بالسفر نحو بغداد عن الطريق الغربي ويعبر الشط ويتلاقى الجيشان هناك ثم توجه بعدهم هولاكو بموكبه ، ولما تأكد العلقمي من قرب وصوله حضر أمام المستعصم وقال له ان لديك والحمد لله الجم الغفير من الملوك والسلاطين وكلهم مخلصون فى الطاعة ويمتثلون مايأمرهم به أمير المؤمنين ويبذلون الغالي والرخيص في سبيل مرضاته ، لا سيما واننا كنا ندفع لهم سنوياً مقداراً من المال ولو ندري ان الحالة ستصل الى هذا الحد لدفعناه في سبيل تحشيد الجيوش والعساكر لمثل هذا اليوم ومع ذلك فأرى لونصرف هذه المبالغ على رؤساء الجيوش ونرسل كل واحد الى جهة للدفاع .

اذا كان الغراب دليل قوم فنـاقوس المجوس له مقيل

اما الخليفة فقد اقتنع برأي الوزير وترك تدبير هذا الرأي اليه وانصرف الى الغواني والغلمان يقضي أوقاته معهم ويتلذذ بكل مايتلهى به ، وقد قالت الحكماء ان الدولة في اقبالها تكون النفس الامـارة بخدمة العقل وعند ادبارها يكون العقل في خدمة النفس .

وقد انتهز ابن العلقمي غباوة الخليفة وراح يشتت جموع الامراء

وينفر قلوب الجنود من الحرب وجعل أرباب العقل والتجارب ومحبي الخير للدولة والذين يدلون على الطريق الصحيح في زوايا الاهمال ، اما هولاكو فقد كان يترقب بزوغ مطلع سعوده حتى اذا مالاح في الأفق تقدم وشمر عن ساعد الجد وانحدر نحو بغداد كالبلاء المبرم .

ولما وصلت اخبار اقترابه وشاعت في بغداد ؛ أتى الخليفة محبو الخير ووجوه دولته وكشفوا له ما يترقبونه من بلاء ودمار ولكنه كان في غمرة اللهو ومع ذلك فقد قالوا له يا أمير المؤمنين ان التاتار الذين تغلبوا على العالم بوفرتهم وانتشروا في كل مكان قد أصبحوا على الأبواب واقتربوا منا وسوف يتغلبون علينا ويقتلون شيوخنا وشبابنا ، فان لم نستعد لهم من الآن وندفعهم فلا شك انهم سيتقدمون نحونا وعندئذ لا نستطيع مقاومة سيلهم الجارف واذا وقع القدر لا ينفع الحذر والآن فان المصلحة تقضي بأن نتدارك الامر ونتخذ ما يقتضي للدفاع وان نهيء العساكر والمعداة ونجمع الجموع فان ذلك من لوازم حفظ البلاد وتأمين العباد وان لا نقصر في مثل هذه الضروريات فلكل أمر أسباب ولكل دار ابواب والنار تأتى من مستصغر الشرر وينبغي عدم الرضوخ لأقوال ابن العلقمي لان قصده تشتيت شمل الدولة وانقراضها .

بهذا وأمثاله من الأقوال والنصائح تقدموا بها الى الخليفة ولكنها لم تفد معه وقد سد القضاء والقدر مسامعه عن سماع مثل هذا الكلام وظل يغط في ليل من الغفلة والغرور وبقى على ديدنه في استشارة وزيره المنافق ويسمع أقواله .

خواب يا سبان بيدارى بخت حرامى ونادانى

والنتيجة فان ما أشاروا به عليه لم يأخذ به وذهبت جهود هؤلاء ادراج الرياح ولم يبق الا ان يكشفوا له أستار القدر ليرى ماورائها او ينزلوا عليه ملائكة من السماء ليصدق مايخبيء له الغيب والقضاء

ولا مرد لقضاء الله ولا معقب لحكمه ، وتبين لهم ان الخليفة في واد وهم في واد ولم تعد تفيد معه الارشادات والنصائح لتعود به الى صوابه مهما بلغ عدد الناصحين .

أما ابن العلقمي فقد سعى لتسخيف آرائهم والسخرية بما أشاروا به عليه قائلاً كيف يقدر عسكر المغول على الاقتراب وبأية قوة يقابلون قوات الخلافة ؟ ان نساء بغداد وصبيانها وحدهم قادرون على ردهم وطردهم ومنعهم من الاقتراب الى اطراف دورهم ومحلاتهم .

وبهذا النمط من الكلام تمكن من الأخذ على يد الخليفة واستماله نحوه وتركه ساهياً في غفلته واعاده الى خلواته وعشرائه يقضي اوقاته معهم ويلهو بجدهم وهزلهم وترك حبل الأمة على غاربها ، وبذلك تم للوزير ما أراده وظل يترقب الأخبار السرية التي تتوارد من جهة العدو . الى أن اقتربت عساكر هولاكو بقيادة سوغرنجان وبابا نجور من الجانب الغربي من بغداد وانتشرت أخبار قدومهم بين الناس .

وبعد الحاح على الخليفة جهز حملة بقيادة فتح الدين ومجاهد الدين تقدر بالف خيال وارسلهم لصد العدو ودفعه ، وفي أول لقائهما بعسكر المغول انخذلوا وكانوا يفرون ولكن فتح الدين الذى كان فتى شجاعاً ومجرباً بقى يصاولهم مغتراً بقوته وفتوته ولاعتقاده بانه يجب عليه رعاية نعمة الخليفة الذي ادخره لمثل هذا اليوم واندفع بهذه العقيدة نحو الاعداء للقضاء عليهم قبل ان يصلهم المدد ، واستبسل وجد في تعقيبهم حتى اقترب من نهر الدجيل وشدد عليهم النكير ولما رآهم ينسحبون امامه راح يطاردهم ويتعقبهم ولكنه بعد عبورهم رفعوا الجسر الممتد على النهر وحالوا دون عبوره خلفهم ، وظل العسكران في جلاد وثبت أحدهما بوجه الأخر ذلك اليوم ووقعت بينهما معركة عنيفة سقط فيها من

الجانبين الكثير من القتلى الى ان خيم الظلام فشطرهما عن بعضهما ومال كلاهما الى الراحة وعسكرا كل في مكانه على امل معاودة الحرب عند انبثاق الفجر .

ومن قضاء الله وقدره ان عسكر الخليفة اتخذ مكانه في ارض منخفضة عن مستوى النهر فانتهز التاتار هذه الناحية ولم يتركوا الفرصة تفلت من أيديهم وبادروا تحت جنح الظلام وحفروا طريقاً الى النهر وحولوا مجراه نحو عدوهم فلم ير عسكر الخليفة الا والامواج تغمرهم على حين غفلة منهم وتغرقهم بشدة تيارها في تلك الليلة الليلاء وكأن طوفان نوح قد طغى عليهم واحاط بهم احاطة السوار بالمعصم ونادى بلسان حاله عليهم لا عاصم اليوم من أمر الله ، وأخيراً هلك عسكر الخليفة وهلك معهم القائد فتح الدين ولم ينج منهم سوى شرذمة قليلة وهذه أيضاً لم يبق منها سوى ثلاثة أنفار تمكنوا بشق الأنفس من العودة الى بغداد .

باد صبايه زلفى بيامى كتور ديدم

كلدى كتورروى باشمه سودا خبر لرين ووايتدر

أي رجوت نسيم الصبا ان يتجه نحوي فهات المدام لانتعش فلما جاء لم أجد منه سوى رائحة الأخبار السوداء . هذا ولما علم الخليفة بما جرى حمد الله ثلاثاً على سلامة مجاهد الدين .

ومما ينقل ان قوات هولاكو لما وصلت جبل حمرين ولم يبق بينها وبين بغداد سوى ثلاث مراحل فقال المستعصم انهم لايتمكنون من اجتياز الجبل ، فقيل له يا أمير المؤمنين ان عسكر المغول كامواج البحر الهادر لاتحول دونهم الجبال وان سد الاسكندر كبيت العنكبوت بالنسبه لهم وان جبل حمرين ليس سوى غبار على حوافر خيولهم ودوابهم . فلم يلتفت لهذا القول ، ولكن المقدر كائن والمخذول خائب والمحذور واقع والتدبير

بابه مسدود ، وكم من دولة هدمها الاهمال وقضى عليها الكسل .

وفي سنة ٦٥٤ في شهر ذي الحجة سافر عسكر المغول عن طريق بعقوبة والويل لمن يقف بوجهه ثم نزلوا على شواطيء دجلة ، ومن كثرتهم صار ذلك اليوم كأنه يوم المحشر وصارت بغداد كأنها عرصات كربلا يملأ سكانها الكرب والبلاء ولسان حالها يقول الويل لي بما يوشك أن يحل بي ، كل ذلك والخليفة ظل تائهاً في وادي الغفلة ، ثم انه أمر بوضع الحواجز في الطرق وان يتولى الجنود حراسة المعاقل والحصون والبروج التي ملأها بالحراس وبعد ذلك أعلن النفير العام في كل الجهات ووزع الاسلحة على البغداديين ومن ذلك اليوم بدأت المناوشات وقامت الحرب بين الفريقين صباحاً ومساءاً .

فردا سيمرغ زرين پال خورشيد پرواز

روى زمين روشن روايات عنقا پيكر هولاكو كوشكار كاه

وقد أشعل هولاكو نار الحرب بكل امكانياته وأخذ يهدد اهل بغداد بالويل والثبور وعظائم الامور وبأن يقطع عنهم الماء والقوت ، واشتد القتل والقتال وكثر رمي المجانيق من كلا الجانبين وفقدوا الكثير من الرجال ، وكانت قوات المغول تنقض كالصواعق على اعدائها فتحصدهم حصداً وتتهاوى الرجال من الأعالي ما بين قتيل ومجروح ، وسقط في ميادين القتال عدد لا يحصى من القتلى ثم أمر هولاكو بايقاف القتال والاكتفاء بالتشديد فى محاصرة بغداد ومضايقتها ودام هذا الحصار اربعين يوماً اظهر خلالها الخليفة تجلداً وصبراً (١) ، اما الاعداء فانهم تسلطوا

---

(١) جاء في كتاب البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ج / ١٣ ص / ١٣ ما يلي : =

على القصور والمباني المرتفعة التي باطراف البلد ونصبوا على سطوحها المنجنيقات وراحوا يرمون بغداد بما يشبه الصواعق من كرات النفط فيحرقون البيوت ومافيها ، وقد عجز اهل بقداد واصابهم الكلل من الدفاع وصاروا بين حين واخر يرفعون ايديهم الى السماء ويقولون لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، وقد أحاط العدو بالبلد من كل الجهات وأخذوا يقذفونها ويفتكون بأهلها بلا رحمة .

وفي هذه الظروف ورد كتاب الى هولاكو من سادات الحلة مجد الدين ابن حسن بن طاووس وسديد الدين يوسف بن المطهر وشمس الدين محمد بن المعز يعرضون عليه طاعتهم وانقيادهم للايلخان الذي رفع عنهم الجور وقالوا ان الجد الامجد للائمة الاثنا عشر ، أمير المؤمنين ويعسوب الدين ، أسد الله الغالب ، مظهر العجائب حضرة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كانت قد وردت عنه الاخبار بأن انقراض آل العباس واحتلال بغداد سيكون على يد هولاكو وانه سوف يذيق اهل

= « استهلت هذه السنة (٦٥٦ هـ) وجنود التاتار قد نازلت بغداد بقيادة الاميرين الذين على مقدمة عساكر هولاكو . . . وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات المحانكه التي لا ترد من قدر الله تعالى ، وأحاطت التاتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه وكانت من جملة حظاياه وكانت مولده تسمى عرفه جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة . . .

أقول العجب من هذا الخليفة كيف يأتي بالجواري يرقصن بين يديه في تلك الحالة والتاتار تحيط بقصره وترشقه بالنبال .

المترجم

بغداد مر العذاب ويخربها ، فكان هذا مبعثاً لابتهاج هولاكو وأخبرهم بأنه يرغب في رؤيتهم ومصافحتهم ، ثم عين علاء الدين العجمي أميراً وحاكماً على الحلة وأطرافها ، وبهذه الطريقة تخلصت الحلة من شرور المغول وارتدت حلة العافية والسلامة .

ثم ان الخليفة أخذ يتساءل عن حل لهذه المشكلة وعن كيفية دفع هذه النازلة الهائلة والدواء لهذا الداء والامان لهذا الخوف فلم يسمع لهذه الصرخات جواباً .

اهم كه سحر زنداتش بسقف چرخ افاق راز روددل اعلامى
دهد اشكم كه هر نفس چكداز ديده در كنار مد فرات
را مددى رام مى دهد .

وصار ينتحب جزعاً ويأساً ، ثم عقد مجلساً ضم اركان دولته يستشيرهم فيما يجب ان يفعله ، وقد افتتح الكلام الوزير قائلا ان عساكر المغول لا نهاية لهم واننا عاجزون عن مقاومتهم وتحركات العساكر والمحاربين تشبه حركات الطير المذبوح ولم يبق بعد اليوم مجال للدفاع لا سيما وان الاعداء يتقدمون في احتلالهم يوماً بعد يوم ، وان صبر الاهالي قد نفد ولم تعد لهم طاقة على تحمل هذه الحرب وان معالجة الحالة والوصول إلى السلامة يتوقف على الأخذ بالقول المأثور : اتركوا الترك ما تركوكم وأرى لو ان امير المؤمنين يقوم بعمل ربما يكون فيه الصواب والحكمة وفيه السلامة وذلك بأن يأمر بايقاف القتال والذهاب بنفسه إلى مقابلة هولاكو ويمنيه بالأموال والهدايا لان غايته الوحيدة الحصول على المال ثم يناشده بأن يزوج ابنته اخترخان لولي عهده وخليفته من بعده وبهذه المصاهرة يرتفع العداء ويشترك الاثنان في الملك ويتعاظم جاه الخلافة بمعاضدة السلطان لها ونصون بذلك دماء الطرفين ، ولما كان

الخليفة قد ملأ الرعب صدره بالاضافة إلى قصر تفكيره بحيث لم يعد يفرق بين الحق والباطل وبين الصدق والكذب فانه رأى هذا الاقتراح مصيباً ووافق على رأي الوزير .

وفي يوم الأحد الرابع من شهر صفر سنة ٦٥٦ ذلك اليوم الذي كان يوماً عبوساً قمطريرا والذي عمت نار شره العام والخاص ، اليوم الذي كان شره مستطيرا اصطحب الخليفة فيه ولديه أبو بكر وعبدالرحمن وجماعة كبيرة من العلويين والمستشارين والاوليـاء المقربين وعدداً من غلمانه وخدامه الخاصين وذهب نحو هولاكو وكأنما ذهب إلى حتفه وسار في طريق هلاكه ، ولما دخلوا معسكر هولاكو قام الحرس بالتفريق بين الخليفة واتباعه ولم يسمحوا إلا للخليفة وولديه بالدخول مع ثلاثة من خدمه الخاصين ولمـا دخلوا عليه وجـدوا بحضرته بعض خواصه الذين يديرون دفة الحكم ويقومون بخدمته حسب القانون الجنكيزي وقد وضع هولاكو سيفه في حجره والنطع امامه وفي هـذه الاثناء صدر أمره إلى جنوده بالهجوم على بغداد فقطعوا الطرق وسدوا المنـافذ واستولوا على الخنادق ومهدوا الممرات واغاروا على دار السلام التي اصبحت دار حرب ووقعوا بأهلها قتلا ونهباً وانقضوا عليها انقضاض النسور وفتكوا وقتلوا بافراط وبلا رحمة حتى سالت الدماء في الطرقات كأنها السواقي واختلطت النساء بالرجال ثم نهبوا بمتلكات الخاص والعـام واخرجوا دفائن دار الخلافة ونهبوها ودمروا أبنيتها وقصورها وساووا شرفاتها بالارض بعدما ظلت خمسمائة سنة يصونها الخلفاء ويتعهدونها كابرا عن كابر ، وأذلوها بعد عزها أيام كانت مقراً للملك ومصدراً للحكم في شرقي البلاد وغربيها ونهبوا أيضاً دور الوزراء والمشايخ والعلماء وسائر أرباب الصولة والقدرة كما ونهبوا مافي مطبخ الخليفة من اثاث فاخرة وأواني مرصعة بالذهب

والفضة وباعوها كما يباع القصدير والرصاص وبعملهم هذا انتفع الذين كانوا في الحضيض من الفقر والفاقه وصاروا فى ذروة الرفعة والغنى ، وكذلك أغاروا على خزانات الخليفة والوزراء وسائر أركان الدولة ونهبوا ما وجدوه من أموال وأمتعة وجواهر ونفائس .

ومما يروى ان الخليفة الناصر لدين الله عندما أجاب دعوة الحق كان لديه حوضان مملوءان بالذهب فمر بهما يوما المستنصر مع أحد خدمه فدعا الله ان يمد في عمره لكي ينفق هذه الأموال على مستحقيها ، فتبسم الخادم عند سماعه دعاء الخليفة فلما رآه غضب وسأله عن سبب ابتسامته فقال نعم كنت يوماً بصحبة جدك الأمجد عندما وصلنا الى هذين الحوضين وكان أحدهما لم يمتلئ بعد تماماً فسأل الله أن يمهله الى أن يتمه فعجبت من طبيعة الاثنين وتبسمت ثم قام الخليفة المستنصر بعدئذ بصرف هذه الأموال في الصالح العام ومن جملة خيراته المدرسة المستنصرية التي تعد ام المدارس واشتهرت في كل الآفاق ، والقصد من هذه الحكاية ان المستعصم كان لامساكه يريد ان يملأ الاحواض بالذهب ويختزنها فكانت عاقبتها ان صارت نهباً بيد هذا وذاك .

ويروى عن الثقات ان المغول نقلوا من قصر الخليفة أربعة الاف حمل من الغنائم والنفائس وجاؤا بها إلى معسكر هولاكو ، فليتعظ أولوا الألباب كيف يكون الفقير غنياً والغني فقيراً في هذه الدنيا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبعد ثلاثة أيام قرأ الخليفة في صلاته الآية الكريمة ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، ثم رفع يديه الى السماء خاشعاً متضرعا ، وقد نقل هذه الصلاة بعض الذين سمعوها الى

هولاكو ، وقد اختلفت الاقوال في رواية ما قاله بهذه الصدد ولذلك تركته .

ثم ان هولاكو منع الطعام عن الخليفة ولما اشتد به الجوع احضروا له طبقاً مملوءاً بالنفائس والجواهر وقالوا له كل مالك ايها المغرور بمالك فقد صار العدو مالك مالك وقد أمر السلطان أن تأكل هذا الذي قدمناه لك فقال الخليفة ان هذا ليس مما يؤكل فلما عرضوا الأمر على هولاكو أرسل اليه الترجمان ليقول له اذا كان هذا ليس مما يؤكل فلماذا كنت تبخل به ولا تصرفه حتى في سبيل افتداء نفسك به اما أنا فقد وزعته على الناس لكي يشاركوني فيه ولا اتركه ارثاً لغيري فيفتتن به من يرثني ، وقد أظهر الخليفة ندمه على ما فرط منه وعلم عندئذ مغبة البخل والامساك ، ولاجل ان يعذبه هولاكو ويحرق كبده بذهاب ماله الذي لم ينتفع به وليكثر من التحسر على مافاته تركه هذه المدة ثم استشار خواصه فقالوا ان اهل الاسلام قد نصبوه خليفة رسولهم وامامهم وحاكمهم فاذا انقذته واعلم المسلمين بما حصل له فانهم سيتجمعون ويستعدون للفتك بجنودنا وقواتنا ولما كان العاقل لا يفوت الفرصة التي واتته فان عدوه ليس له سوى القتل والتخلص من شره ، فلما سمع هولاكو جوابهم أمر بقتله وحضر الجلادو على الفور وأهدروا دمه ، وهكذا أزالوا الامامة والخلافة وأودعوا جسد المستعصم التراب .

وكانت مدة خلافته ١٧ سنة وبموته انهدم صرح الخلافة العباسية في بغداد وانعدم شعارها بين الناس .

ستم تنهايه برجون اوكس رفت ازين درين پرده نس رفت

وكان انتهائها في الرابع من شهر صفر سنة ٦٥٦ وانطفأت شموع دولة العباسيين واستمر القتل والغارات والتشدد في التعذيب أربعين

يوماً وما عدا القتل فقد هدوا الدور على ساكنيها ونهبوا الأموال وفتكوا بالنساء والاطفال والرجال ثم صدرت الأوامر بالكف عن القتال .

لقد كان ابن العلقمي يأمل ان يكون ذا منصب رفيع لدى هولاكو بما قدمه له من خدمات وان يتولى الحكم في بغداد ولكنه لم يجد منه سوى الصدود وعدم الالتفات لانه اضاع حقوق ولي نعمته وخانه وغدر به وخذله ، ورجل هذا شأنه لا يستحق الاهتمام به ولا يليق بالالتفات إليه وبقى منبوذاً مطرودا .

ثم جرى تعيين أول حاكم على بغداد من الأمراء وهو علي بهادر أميراً عليها وحاكماً ومتقلداً منصب الصوباشي يساعده احد الوجهاء وهو المسمى ابن عمران .

ومما يروى ان ابن عمران هذا كان في سابق حياته من اداني الناس لايخطر بباله أن يكون رجلاً مرموقاً ، لأنه كان من الهمل ثم صار كاتباً لعامل بعقوبة ، وقيل أنه رأى قبل وقعة هولاكو بسنة ان بساط خلافة آل العباس قد انطوى وتخلى المستعصم من مقاليد حكومة بغداد وعهد بحكمها اليه فوراً ونجداً لا هزلا بل جدا ، وانها صارت بقبضة يده وتحت ارادته ، ولما انتبه استبعد وقوع هذا الأمر .

وعندما حاصر هولاكو بغداد كان المومأ اليه داخل القلعة ، ولما لم يتمكن من الوصول الى هولاكو ليقص عليه رؤياه فقد حررها في كتاب وارسلها اليه ولما وصل الكتاب استدعاه وقصها عليه وصار في النفاق ابن العلقمي الثاني وتبرع بأن يحمل المؤنة الى جيشه اذا أمره بذلك ومع أن طلبه لم ينل الموافقة في البداية الا أنه أجيب اليه وجهز بالجمال والاحمال فراح يجمع ما في بلدة بعقوبة وخراسان وما حولهما كل ما هناك من الغلات المدخرة والمحصولات والفواكه وينقلها الى

معسكر هولاكو فكانت خدماته موضع تقدير وامتنان .

وبعد الاستيلاء على بغداد سلم حكمها اليه وصار بن العلقمي تحت خدمته ومع ذلك فأن ابن العلقمي بقي موضع سخرية من قبل المغول والأهلين وكان يتلقى الاهانات صبحاً ومساءاً وبالغوا في اهانته وأذلاله فندم على ما فرط منه ثم توفي كمداً وحزناً فكتب أهل بغداد على الجدران وأبواب المدارس والأربطة بأقلام مختلفة لعن الله من لايلعن ابن العلقمي .

ولما علموا ان اتباع بن العلقمي أخذوا يمحون هذه الكتابات راحوا يراقبونهم وكل من يعثرون عليه يضربونه سبعين سوطاً عقوبة له(١) .

يا سائلي وبمحض الحق ترداد ... اصغ فعندي نشدان وانشاد
واسمع فعندي روايات تحققها ... رواية وأحاديث واسناد
فهم ذكى ثقاب حاذق يقض ... وحاضر لنقود النقد نقاد

(١) ان تضارب الأخبار واختلافها يبعث على الشك في كل مانسب الى هذا الرجل ، لاسيما وان هولاكو قتله مع من قتل في رواية وسخر به ونبذه في رواية أخرى ، ولو صح ما نسب اليه من مراسلته لما فعل به مافعل ولشفع له بعض المسلمين من الذين قربهم هولاكو ، كماوان مراسلاته لواستطاع ان يخفيها مرة لا نكشفت في المرات الأخرى مع تلك الحرية في تناقلها بصورة تكاد تكون علنية ولضرب على يده بينما كل شيء من ذلك لم يقع وبقي موضع اعتماد الخليفة حتى النهاية ، ولكن المؤرخين والشعراء في تلك الحقبة يدنون ويمدحون على قدر ما ينالهـــم من حضوة او جفوة من لدن الملوك والامراء ، الم يلقبوا ابا جعفر المنصور بالدوانيقي بالرغم من بذله وبذخه ووصموه بالبخل .

المترجم

عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا حماه جهلا برأي فيه افساد
اذا اضمحلت امور الناس ليس لهم فيها رواء ولا حزم واجناد
اما الوزير فمشغول بعنبره والعارضان فنساخ ومـــداد
وصاحب الباب طوراً شارب ثمل وتارة هو جنكي وعـــواد
وشيخ الاسلام صدر الدين همته مقصورة بخطام المال يصطاد
عـــدته بالبؤس اباء سواسية ماسودوا في الورى يوماً ولاسادوا
ان جئت يثرب أو شارقت ساحتها فقل لمن نزلت في فضله صاد
يا ضيعة الملك والدين الحنيف وما تلقاه من حادثات الدهر بغددد
وهكذا كان حال بغداد وحال أهلها .

ذكر حكومة آل هولاكو وآل جنكيز في بغداد

وبعد حكم هولاكو بن قولي‌خان بن جنكيز خان كما سبق ذكره رشح لحكمها بن عمران وقد جاء في تاريخ جواهر الأخبار باللغة الفارسية انه بعد مدة قصيرة تولى الوزير العديم النظير فريد زمانه الخواجه شمس الدين محمد ابن صاحب الديوان اخو الخواجة علاء الدين وسعى لاعادة تعمير بغداد دار السلام التي كانت بحكم الخربةوأدار شؤون الجمهور ورعى مصالحهم وازالة المظلمة عن المظلومين وعوض أصحاب المنهوبات ما نهب منهم في وقعة هولاكو ، وأعاد للبلد نظارته ورونقـه واشراقته وجـبر القلوب الكسيرة بمراحمه وأغدق على الجميع نعمه وأبدل حزنهم فرحاً وابتهاجاً حتى غدت بغداد بفضل أياديه كما كانت في أيام عزها ومجدها وصار الشعراء يتبارون في حسن اوصافها وروعتها .

زن سخن پرور دیش بکباره کی معلوم شد

کان چه عالی رأی وملك رامعن پرور است

ومن أعمال الوزير المشار اليه وخيراته أنه شق نهراً الى النجف الاشرف يضاهي بعذوبته نهر الكوثر وصار موضعاً للمؤرخين في مدحه واطرائه وغطت شهرته كل ما اشتهر من الأنهر ، ثم بمرور الزمان جف ماؤه وخربت جوانبه وعندما جاء الشاه اسماعيل جدده وكراه وأجرى فيه الماء كما كان سابقاً وصار يسمى في تلك الاطراف بنهر الشاهي .

وفي سنة ٦٦٣ توفي هولاكو عن عمر يقدر باربعين سنة وهوى من برج عظمته وسلطنته الى الواح تابوته وتولى بمكانه ابنه ابا قاخان بن هولاكو خان وصار صاحب التاج والباج واعيد الى الوزارة شمس الدين محمد ولكن الشاه انحرف عنه بسعاية احد الاشخاص وهو المسمى مجد الملك اليزدي واغراء بعض امراء المغول وعزله عن الوزاره وبعد ذلك عادت واختلت الاوضاع في البلد وعم الظلم والتعسف في معاملة الاهلين الذين صار بعضهم يحارب بعضاً وقدأوصل المقرضون الى مسامع الشاه بان هذه الفوضى والاضطرابات انما هي بتدبير الوزير المخلوع وتحريضه فامر ابا قاخان بالقبض عليه وتعذيبه ومصاردة امواله المنقولة وغـــير المنقوله وترك عياله واطفاله يستجدون الناس بذلة وخشوع ولولا اخوه الذي كان يمدهم بما يتمكن عليه لماتوا جوعاً وقد حاول انقاذ أخيه بكل ما ملكت يداه فلم ينجح حتى وصلت اخباره الى اسد آباد وهمدان وفي هذه الاثناء توفي ابا قاخان فجأة وفر طائر نفسه من قفص صدره فكانت لوفاته رنة سرور بين الناس .

محور غم كين شب هجران سراير وزين شب صبح اميدت

بر ایدکه شب استین روز امیدت پس شام سیه روز سفیدات

وفي سنة ٦٨١ تولى السلطنة السلطان احمد بن هولاكو ، وبعد ان كان اسمه مجهولاً فقد اشتهر وانتشر باعتناقه الدين الاسلامي ، ثم عاد شمس الدين محمد للوزارة وصار موضع تقدير واعتزاز السلطان وتولى منصب حاكمية بغداد كالسابق .

ومن فرح البغداديين به انهم جعلوا افراح عيد نوروز تمتد الى اثنى عشر يوماً كلها افراح ومسرات ، ولكن الوزير قبض على مجد الملك بقصد الانتقام منه وعادت الخصومة وعند مناقشته الحساب تمكن بعذوبة لسانه وسحر بيانه من البرهنة على برائته مما نسب اليه وعندئذ اطلقه الوزير وعفا عنه ولكن بعض الاتباع هجموا عليه بدون اذن ومزقوا اوصاله وارسلوا كل عضو من اعضائه الى بلد ونظم الشعراء الكثير من القصائد عنه .

روزى دوسه سر دفتر تزوير شدى

چو بندهٔ ملك مال وتوفير شدى

اعضاى تو هر يكن كرفت اقليمى

وفي سنة ٦٨١ هجرية سافر الملك من الدار الموحشة الى دار البقاء وقد حزن على وفاته شمس الدين محمد وانشد هذه الرباعية فى رثاه :

رباعى اى نور ديدهٔ جهات افروزم رفتى وز هجرم

توسيه شد روزم بوديم دو شمع هر دو سوزان

ما بيم ايام نرا بكشت ومن ميسوزم

ولقد كان امراء المغول ينقمون عليه بسبب اسلامه وقد أهمله جنكيز خان وتركه فى زاوية النسيان ومن الذين كانوا يناوئونه ارغون ابن اباقاخان الذي أعلن الخصومة معه بشدة وكادت تصل الى حد ان

يشن الحرب بعضهم على بعض ولما كان الصلح سيد الأحكام فقد عرض السلطان احمد على ارغون خان الصلح فوافق ظاهرياً ، وبينما كان احمد خان مطمئناً لهذه النتيجة تحرك خصمه من مقره واتجه نحو اذربايجان حيث أهله واقرباؤه وعند وصوله اجتمع الامراء وعلى رأسهم الأمير بوغا والاتباع واجلسوا ارغون خان على منصة السلطنة وعندئذ ارسل على الفور جماعة من التاتار نحو السلطان احمد فهجموا عليه وفتكوا به .

وعلى رواية كزيده ان السلطان المرحوم قتل من قبل ورثة الشخص المدعو باى قيقر .

بروز كار اكرم خويش برادرى بر افتاب

خويش برادرى بر افتاب خويش

وكانت مدة سلطنته سنتين ونصف .

حكومة بايرو خان بن طرفان خان بن هولاكو

ارتقى ارغون خان عرش جنكيز سنة ٦٨٣ ولأجل القضاء على الفتنة عين اخاه بايدو وعين للوزارة ولممارسة الأمور بصورة عامة الأمير بوقا ولكن هذا أيضاً اضمر العداء لارغون وراح يتربص بـه الدوائر لخبثه وحماقتـه وقبض على الوزير السابق الخواجه شمس الدين محمد وأودعه السجن وقتل أباقا خان بالسم وأمر جلاده بقتل أولاده الثلاث

يقول المؤرخ خورشيد : ملك صاحب ديوان شرق وغرب انكش زمانه وكاردون مريد شد در ساد قاچوچم يعنى كشت متصل زان پس كه دور مده عمرش مديد شود وقت نماز ديكر آندر حدود بهر روز دوشمبه جهارم شعبان شهيد شد .

وقبل هذا كان ابنه هارون قد قتل في نواحي بغداد بايعاز من الوالي الأمير ارغون الذي كان يتولى نيابة الوزارة وقتل أيضاً الخواجة سعد الدين قصاصاً وذلك في بغداد سنة ٦٨٥ ، ولكن بوقا بعد مدة قصيرة توفى وانتقل إلى دار الجزاء ، وتولى الوزارة طبيب يهودي يلقب سعد الدولة وقد أوقع بالكثير من المسلمين وحاول ان يعيدهم الى عبادة الاصنام ولكن الله تعالى قد جعله من أحد الذين انصب عليهم العذاب وهلك ، فشكروا الله على ذلك واعتبروا هلاكه معجزة .

وفي سنة ٦٩٠ توفى ارغون وانقذ الله الشريعة البيضاء من شروره وظلمه وتولى بعده كيخاتو خان بن اباقا خان ابن هولاكو خان .

بدور عدل تواشفته نيست جز سر زلف

بعهد تو غير غمزه غمازى

وقد رفع كيخاتو الظلم وبسط بساط العدل والرأفة بالناس وفتح أبواب الدفائن والخزائن وصار يبذل منها بكرم وسخاء ثم مال الى الشراب وداوم على معاطاته واشتدت شهوته مع النساء والغلمان وخلط الحلال بالحرام وساءت سمعته بهذه الاعمال .

نبود خير دران خانه عفت نبود

وقد افتتن بأمور تمجها الطباع وبأعماله هذه تدهورت اموره وصار الكل يتذمر منه حتى امراؤه ، ولما ذاعت أخباره وشاعت تصرفاته ، أرسل امير الامراء بعض خدمه الى بغداد فقضوا عليه .

وفي سنة ٦٩٤ كان بايدوخان بن طرقاي بن هولاكو ، سلطان زمانه وقد الغى في بداية توليه الحكم امارة دار السلام وقضى على الامير المسمى محمد سكرجي وصادر أموال الأثرياء وفرض عليهم الاتاوات فانتشر تذمرهم منه ثم عين حاكما على بغداد وعزم هو على السفر الى اذربيجان

غير ان اكثر الامراء قد انحرفوا عنه بسبب قتله كيخاتو وقضوا عليه .

ولما وصلت أخباره الى خراسان اظهر غازان بن ارغون سخطه ولم يعد بقوله قرار . فسلم ملك خراسان الى الأمير نوروز مع ختم الوزارة وشمر عن ساعد الجد للانتقام من القتلة وطلب من كيخاتوخان ان يعينه على مانوى عمله ، ولكن نوروز لما رأى غازانخان قد اعتنق الاسلام مال الى مساعدته ، ومن يرد الله ان يهديه بشرح صدره للاسلام ، وقد جمع غازانخان عامة امراء المغول ونطق بالشهادتين امام الشيخ صدر الدين ابراهيم بن الشيخ سعد الدين ابراهيم بن الشيخ سعد الدين الحموي وذلك بحضورهم وبحضور مائتي الف من الناس وثبت من قلبه الدين الاسلامي واقرّ بنبوة محمد (ص) وتسمى باسمه ، ثم عسكر بالقرب من بلدة الري ليتجهز للسفر ، ولكن نايدوخان اوفد الوفود لعقد الصلح بين الطرفين على ان يكون العراق العربي وديار بكر واذربايجان والارمن وكرجستان وممالك الروم من حصته ، وان يكون العراق العجمي وفارس وخوزستان ولارستان من نصيب غازان ولكن بايدوخان كان يفكر في دفع غازان عن وجهه ، والأمير نوروز كان يفكر في دفع بايدوخان :

هر انكه كه چشم اور دبخت شوم شود خارا بكر دار موم

وقد أدرك غازان ما يضمره ابدوخان من الغدر ، ولذلك شن بعضهم الحرب على الآخر وبعد قتال ونزال فر بايدوخان نحو نخجوان ، أما نوروز فقد وقع طعماً بسيوف غازان ، وعندئذ تولى السلطنة غازان خان وبه ارتفعت راية الشريعة الغراء على تلك الربوع وانجلت ظلمات الكفر والضلال وراح يمارس الحكم بالعدل وبذلك استقرت أحوال البلاد والعباد ، غير أنه اصطدم مع الملك الناصر المصري ينازله بالذات مرة ويتولى قيادة جيشه أحد القواد مرة أخرى وكان من النوادر في

معرفة علوم الهيئـة والفلك واللغات ، وكـان يكثر من السفر لزيارة حضرة النبي المختار (ص) ويعظم السادات الكرام ويفرط في احترامهم واكرامهم ، وقد حفر نهراً من الفرات الى بادية كربلاء فكان نعمة لأهليها ، وقد خصص لادامته مبلغاً سنوياً .

وفي سنة ٧٠٠ افتتح جهاده في السفر نحو مصر ونصب خيامه في بادية حلب ثم عرض حاكم مصر عليه الصلح فوافق عليه وعندئذ عاد الى بغداد .

غير ان حكام مصر عادوا وأثاروا الفتنة فغضب عليهم وجهز لهم قوة كبيرة وجهها نحو مصر تحت قيادة احد رؤساء جيوشه وسار نحو تبريز ، وهناك تلقى نبأ هزيمة جيشه أمام المصريين فأنزعج كثيراً ، ولما شعر بقرب أجله نصب الخدا بنده محمد خان ابن ارغون خان ولياً للعهد ثم توفى عن عمر بلغ ٣٣ سنة وكانت وفاته سنة ٧٠٣ .

وجلس في السنة المذكورة محمد خان على كرسي السلطنة ، وصار حاكماً على العرب والعجم وبسط بساط العدل وطوى معالم الظلم والبدع وأجرى الأحكام وفق الشريعة المطهرة ورفع راية الاسلام في كل مكانة وفرض الجزية على أهل الأديان الباطلة والمعتقـــدات العاطلة وخصص لأهل الذمة شعاراً خاصاً في ملابسهم وشمل امنه كل الناس فكانوا في سعة وراحة بال .

بـدور عـــدل تو اشفت نيست

جز سر زلف بعهد تر نكنند غير غمزه غمازى

وبذلك سرت البشائر في كل مكان ، وقد ذكر العالم المشهور الشيخ أبو علي في تاريخه الوصاف أنه دبج بقلمه بعض العبارات البليغة ورفعها الى صاحب الجلالة محمد خان بواسطة معتمده رشيد الحق والتمسه

أن يأذن له بالقاء بعض جملها عليه فكان طلبه والتماسه موضع القبول وقد افتتحها بهذا البيت :

آيه تأييد حق صوره امن مرامان   نص كتـاب ظفر مهدى اخر زمان

ثم قال :

الهى اين پاد شاه كه للطف محض وسايه' اخص افريده كاد است سالها بنويد راحت جهانيان در حمايت وكنف رعايت محفوظ دارد واقبال جنانچه محيط پيرامن مركز كرد عتبه' خانيت او روان وكردون مستدير جون خط مستقيم كه از سمط نقطه نكرداند اوامر اورا متابع وسكان اقطار افاق جون مدار بين القطبين منطقه' بنده كى بسته مطاوع وبخت طالع صفت كه در عقب مقـــدم باشد بربي ارادت روان وسعادت جون عرض لازم بجوهر قائم بود براستان ملازمت قيام نما ينـــده

والى هنا ينتهي هذا الكلام الذي يحاكي الدر المنثور فكان باعثاً لانبساط صاحب الجلالة فلقبه بلباب الياقوت وقال له لقد فهمت دعائك ولكن لم أصل الى استيعاب معاني هذا الكلام المرصع كما ينبغي ، فقام الوزير بتفسيره جملة جملة وكرر الثناء عليه قائلاً :

نصرت ماننده هيولا كه از لزوم صورت منفك نماند از سايه' خير خورشيد پيكر انفكاك نا بلز يرنده وتيمش در استعجال دشمن كذارى بر اجال چون علت مادى برفاعل مقدم وطليمه' ظفر از طلوع رؤيتش چون علت صورى ازغاى مكرم موالى را اسباب سلطنت چون فيض علت ادنى بى پايان ود شمن را قدرت امكان چون تحصيل ممتنع معد مرم باه .

وهذه العبارات اللطيفة ترجمها الوزير أيضاً فكان مدعاة لسرور

الشاه واستحانه ونال منه جزيل كرمه وصلاته .

وفي سنة ٧١٦ انتقل السلطان محمد خان الى الدار الآخرة عن عمر بلغ ٣٦ سنة وتولى السلطنة بعده ابنه أبو سعيد بهادر خان وذاع اسمه ودوى في الآفاق وكان عمره ثلاث عشرة سنة عند جلوسه ولذلك تولى رعايته امير الأمراء الامير چوپان الذين قسم الأقاليم السبعة للممالك المحروسة على اولاده وجعل بغداد دار السلام تابعة لحكمهم .

يقول مؤلف جامع السير كم من حروب وقعت بين هؤلاء وكم من غزو قام به الاعداء ومزقوا به الصفوف وكم من مرة حارب بعضهم بعضاً وكل واحد منهم تلقب بلقب بهادر هذا وان السلطان الصبي لما بلغ شرخ الشباب علق بحب بغداد خاتون ابنة الأمير جوبان التي هي زوجة الشيخ حسن الايلخاني بيت

بيا بمصر دلم نادمشق حاپيني كـه ارزوى دلم درهواى بغداد است

وقد التهب قلبه في عشقها وقـد شغف بها حباً وحاول الاتصال بها والوصول اليها بكل ما وسعه ولكن الامير چوپان حال دون ذلك ثم أمر بابعاد كل من بغـداد خاتون وزوجها حسن الايلخاني الى قرهباغ وارسل الشاه طوعاً اوكرها الى بغداد .

دواى عشق كويند از سفر خيزوچه دانستم كه دردل مهران
مه خواهد افزون بهر منزل هواى بغداد

وفي بغـــداد ازدادت اللوعة والحنين اليها وصار مضطرب البال بانتظار الفرج لحل هذه المشكلة . ومن الاعيب الزمان ان وزير سلطان مصر الملقب نصر الدين استغاب الامير چوبان امام السلطان وذمه وطعن به ، فوجد اذنا صاغية لاقواله وراح يتقرب منه فلم يكن من ابن الامير چوپان حاكم دمشق الا ان يوصل اليه مادار بين الوزير وبين السلطان

فقرر الانتقام من الوزير وعلى هذا دبر مكيدة على مصر عزل بها الوزير واستصحبه معه الى خراسان حيث اهدر دمه وانتقم منه .

أما السلطان فقد سافر من بغداد إلى السلطانية وهناك تطاول المحيطون به فى الكلام على حاكم دمشق ابن الامير چوپان واتهمه أصحاب الاغراض والسعاية وأدى فعلهم إلى قتله ، ولما وصل الخبر إلى الامير چوپان تألم كثيراً وفكر في الانتقام وابتدأ بوزيره ركن الدين الذي كان يبدي ما يشعر بكفران النعمة فأزاله من الوجود ثم جهز حملة قوامها سبعين الف مقاتل واتجه بها نحو معسكر السلطان وعند اقترابه اتصل بالشيخ علاء الدولة واخبره بأنه جاء يقتص من الذين قتلوا ابنه فنهض الشيخ المشار إليه وذهب لمواجهة السلطان وعرض عليه الامر والتمسه بأن يسلم القتلة فلم يفعل ، ولما يئس الشيخ من اقناعه باللين والنصيحة تارة وبالتحذير والانذار تارة أخرى عاد خائباً في مسعاه فما كان من الامير چوپان إلا ان أعلن الحرب لاخذ الانتقام وانضم معظم الامراء إلى جهة السلطان أبي سعيد .

منة پاى زاند ازهٔ خود برون كه افتى بچاه بلاسر تكون كبوتركه
بهلو زند باعقاب بقصد سرخويش دارد شتاب

وأخيراً ندم الامير چوپان ونكص على أعقابه وعاد إلى خراسان ، ولما وصل إلى هرات التجأ الى الملك غياث الدين لوجود حقوق سابقة بينهما ، ولما كان السلطان مصمماً على حربه فقد تمكن من تشريد غياث الدين وقتل الامير چوپان ، وعلى حسب وصيته نقل جثمانه إلى المدينة المنورة حيث دفن هناك .

منسوخ شد مروت ومعدوم شد وفا
زهر دو نام ماند چو سيمرغ وكيميا

وهكذا غادر الامير حياة الدنيا ، وبعـــد وفاته أرسل السلطان القاضي مبارك إلى بغـداد لمقابلة الامير حسن الايلخاني والطلب إليـه ان يطلق زوجته بغداد خاتون طوعاً اوكرهاً . فرضخ هذا لمشيئة السلطان وطلقها بالثلاث تخلصاً من العقاب والهلاك ، وبعد اتمام العدة عقـد نكاحها على أبي سعيد السلطان ، ولكن أبا سعيد لم يتمتع بحبه لها بل افل نجمه وهلك ، ولما لم يكن له من يخلفه على كرسي السلطنة اقترح كل من الوزير ومحمد غياث الدين أن يكون ارباخان من سلالة جنكيز خان وقلى خان وصياً على العرش وذلك سنة ٧٣٦ وكان عمر أبي سعيد قد بلغ ٣٣ سنة ثم توفى بعـد مرض أدى به إلى الصرع والدخول إلى المستشفى . وكان من أقوال شعراء ذلك الزمان قولهم .

كر بكريد تاج وسوزد تخت كى باشد بعيد

در زوال دولت سلطان اعظم ابو سعيد

وفى التاريخ المذكور صار اربا خان سلطاناً ، وقد ثار عليه بعض امراء المغول ولكنه تغلب عليهم واستقل في الحكم .

أما بغداد خاتون فقد طلب يدها الكثير من الشباب ولكنها رفضت ثم وجدت مخنوقة ومطروحة بالقرب من قبر السلطـان واختفت تحت ستار الغبراء وقد تألمت عليها زوجة أبي سعيد الثانية دلشاد خاتون بنت حاكم دمشق وفرت الى دار والي بغداد علي وفى بعض النسخ علي شاه وفى البعض الآخر علي باشا وذلك خوفاً على حياتها مما وقع لصاحبتهـا فما كان منه إلا ان جمع جموعه وسار لخلع السلطان وتنصيب موسى خـان بمكانه وثارت الحروب بينهما وأخيراً تغلب على اربا خان وظل الحكم بيده ستة اشهر .

وفي سنة ٧٣٠ تولى العرش موسى خان فكان لهذه الأخبار رنة الم

الحاكم الروم الشيخ حسن الايلخاني الذي رأى أن يتولى السلطنة أحد أعقاب هولاكو وهو محمد خان ، وبعد الاتفاق مع حاجى طغاى تحرك لمحاربة موسى خان وعلى باشا وكان النصر بجانب محمد خان وحسن ايلخان وفر موسى وقتل على باشا في الطريق .

ثم حكمت بغداد جماعة اريا خان في بداية الأمر لأن حكومة الشيخ حسن الايلخاني قد بلغت ارذل عمرها ثم دار الفلك وعاد المومأ وانتقم لزوجته بغداد خاتون التي طلقها كرها ، ولما تولى محمد خان السلطنة اطاعة أمراء المغول ، أما موسى خان فقد ظل في هروبه تتقاذفه البلاد الى أن حط رحاله في بلاد الروم وأخيراً قتل هو ومحمد خان سنة ٧٣٨ ثم تبعهما الشيخ حسن الايلخاني وسافر حسن چوپان نحو اذر بيجان ثم اتفق أحد الايلخانيين المدعو كيتاخو من نسل تيمورخان وچوپانيان من نسل هولاكو ونصبوا سليمان خان بن محمد خان سلطاناً وبعد حروب فر الشيخ حسن الايلخاني نحو بغداد وفي السنة نفسها انتهت دولة جنكيز وهولاكو في بغداد وفي سنة ٧٤٠ انقرضت أيضاً حكومات ايران وأذربايجان .

ذكر حكومة الايلخانيين في بغداد

ان العارفين بالاخبار والمتتبعين للاثار نقلوا الحوادث على الوجه الآتي : -

ان فرقة الايلخانيين ترجع في نسبها الى آق بغا بن ايلخان بن جلاير ، وفي عهد كيخاتون ثارت فتنـــة توفي فيها أمير الأمراء في حرب بايدو خان أما ابنه الأمير حسين فقد تزوج ابنة ارغون خان

وصار أميراً على خراسان في زمن أبي سعيد ثم توفى بأجله وعين ابنه الأمير الشيخ حسن الايلخاني في زمن السلطان أبي سعيد ايضاً حاكماً على الروم وقد شن الغارات على العراق عدة مرات اقتحم فيها المهالك والمخاطر وأخيراً تزوج دلشاد خاتون ابنة أمير دمشق ابن چوپان وانتسب الى جمعية السلطان أويس بهادر .

وفي سنة ٧٣٩ تمكن من ان يهزم الشيخ حسن چوپان الذي التجأ إلى ابنه والى بغداد السلطان اويس ثم صار يتصرف بحكم بغداد والنجف الاشرف وبقى فى الحكم ١٧ سنة شيد خلالها الكثير من العمارات .

وفي سنة ٧٥٧ توفى ودفن بجوار علي الكرار (رض) وقد رثاه أحد فصحاء زمانه المدعو سلمان ساوجي بهذا الشعر :

من از جهان فحواى كه أمير اجل در وهر كزنداده است
كسى را بجان آماد دارى اكر چنانچه بدارى امان
كسى اول امان پارشه آخر الزمان دارای عدل
شيخ حسن افتاب ملك كوبود خسروان
زمان را خدا بكان

ثم تولى السلطنة السلطان اويس الشهير بالجلائري ابن حسن ايلخان وكذلك مدحه المذكور سلمان وهنأه بهذه الابيات :

بشران سعادت برين بلند رواق همى كنند ندا
در ممالك آفاق بسال هفت صد پنجاه وهفت ماه رجب
باتفاق خلايق بيارى خلاف نشست خسزو روى
زمين باستحقاق فراز بخت سلاطين بدار ملك عراق

خدا يكان سلاطين عصر شيخ اويس پناه وپشت ملوك
جهان على الاطلاق

وفي هذه السنة فاض ايضاً نهر دجله بأمر الله فيضاناً عظيماً غمر الكثير من بيوت بغـــداد وتركها اثراً بعـد عين . ومن بدايع شعر سلمان قوله :

بسال هفت صد وپنجاه وهفت كشت خراب باب شهر معظم
كه خاك بر سراب دريغ روضه' بغداد ان بهشت آباد كه
كرده است خرابش سپهر خانه خراب .

وبعد توليه الحكم في بغداد دار الخلافة كان يكثر من مقارعة اعدائه وذات مرة عندما عاد من تبريز فاض أيضاً نهر دجلة ودمر الكثير من الامكنة ، أعلن بعض خدمه وتابعيه العصيان وعلى رأسهم الخواجـــة مرجان فما كان منه إلا وحمل عليهم حملة الغضنفر وفرق جمعهم ثم صدر العفو عن الخواجة مرجان بسبب شفاعة أهل بغداد فشمله بمراحمه ومن آثار سلمان :

باز بكشادند بركتين در دار السلام در طواف از بد غلمان را
بكاش مى مردم زاده' خـادمت كل زان نيستش بوى
وفا خـــود كس بوى وفا نشنيده زا نبـاى انام لاله'
لال سيه روى وزبان دركام لال از سيه روپى سراندر
پيش جون از اهل غرام بر درخت امد برن كل عاقبت برباد
رفت اين-جنين باشد كه بامولا برون ايد غلام .

وقد اكثر المومأ إليه هو وفصحاء زمانه مثل شرف رامى وخواجه محمد عطار وعبيد زاكانى من مدح السلطان الذي تبدلت صحته لتغير هواء تبريز عليه في رحلته واعتل حتى افلت شمس حياته وتولى الحكم

بعده ابنه الامير حسين وكانت مدة حكمه ١٩ سنة وتوفى سنة ٧٧٦ .

وبعد تولى الحكم من قبل ابنه حسين مال هذا إلى اللهو والمجون وانصرف عن تدبير شؤون الملك وسافر نحو تبريز ثم شجر نزاع بينه وبين أتباعه وطلب النجدة من عادل اغا الذي احتل عراق العجم فتمكن بذلك من القضاء على أعدائه .

حق نان ونمك تيه كردن بشكند مرد را سر وكردن باولى نعمت

از برون ابى كر سپهرى كه سر نكون ابى نشر از اين جانب

وفي بغداد قتل نائبه من قبل أرباب الحل والعقد وتولى الحكم فيها الامير شيخ علي ، ولما وصلت هذه الاخبار إلى مسامع السلطان حسين اقلقته وطلب مدداً من عادل أيضاً وعاد الى بغداد ولما اقترب منها نصب خيامه حولها ولما لم يستطع الشيخ علي من المقاومة فرّ باتجاه دسبول وشوشتر وبعد فراره دخل السلطان حسين بغداد واخذ زمام الحكم بيده وكان المومأ إليه فيه شيء من الوسوسة فمال على رعيته بالجور والظلم مما اضطر الرعيـــة على الاتفاق ضده مرة أخرى وطلبوا حضور الامير الشيخ علي ، ولما رأى السلطان حسين نفسه ضعيفاً التجأ أيضاً إلى عادل وبعد قضائه ثماني سنوات فى الحكم نازع أخاه أحمد بن اويس ولكن هذا قضى عليه وذلك سنة ٧٨٤ .

وفي السنة المذكورة تولى الحكم في مصر خاتمة سلاطين الاتراك الملك الصالح حاجي بن الملك الاشرف شعبان ثم عزل بعد سنة ونصف بسبب حداثة سنه ، ونصب بمكانه الاتابك برقوق الجركس وبه انتقل الحكم فى مصر والشام وحلب إلى الجراكسة .

ومن باب التنديد واللوم نعود فنقول ان السلطان أحمد قضى على أخيه السفاك والاخ الآخر بايزيد وشتت شمل عادل اغا ، وان

حاكم بغداد الشيخ علي عندما تولى الحكم حاول أن يقضي على السلطان أحمد واضطره إلى اللجوء إلى قره محمد والد قره يوسف التركماني من طائفة پرتوان لطلب العون منه ، وبعد الالتماس والرجاء امده بأفواج من الجيوش كأمواج البحر ولما تلاقى الخصمان وتقابل الفريقان وتصادم الجبلان كان النصر بجانب أحمد وتمكن من القضاء على الشيخ علي ، ثم رجع عادل اغا إلى بغداد وصار حاكماً عليها نيابة عن السلطان أحمد وقضى على حاكمها طورسون اغا مما حمل حاكم شيراز الشاه شجاع خان على المطالبة بالانتقام منه واتفق مع بايزيد خان وقصد كلاهما السلطان أحمد ، وبعد مناوشات بين الطرفين سعى الشاه شجاع لاصلاح ذات البين بينهما وتمكن من الحصول على موافقة السلطان أحمد على شرط إعادة أخيه فتمت الموافقة وبقي بايزيد خان في بغداد براحة واطمئنان .

مجيء تيمور إلى بغداد واحتلاله لها

ذكر المؤرخون مجيء تيمور واستيلائه على بغداد بالشكل التالي :
في مطلع سنة ٧٩٥ وقيل في ذلك شعراً :

تيمور امدش نام يعنى حديد ومن شأنه فيه بأس شديد

تمكن تيمور أن يرفع علمه على معظم بلاد الدنيا واستولى على ايران وتقدم لاحتلال العراق العربي والعجمي وأرسل قواده لاحتلال بغداد ولكن السلطان أحمد الجلائري وقف دون تقدمهم وأخذ يصاول ويدافع ولكنه لم يتمكن من الوقوف بوجه الجيوش الزاحفة وانهزم تاركاً الفي قتيل في ميدان المعركة ، ثم تقدمت قوات تيمور وانحدرت نحو بادية كربلا حيث عسكرت هناك .

أما السلطان أحمد فقد إلتجأ إلى برقوق فى مصر :

شه مصر برقوق نيكو نهار در كنجها واهمه بركشاد سرا سر بر
احمد شهريار بياورد برقوق نيكو .

فاستقبله برقوق بما يليق به من التعظيم والاجلال ابقاه فى حماه إلى سنة ٧٩٧ حيث أمده برقوق بجيش جرار كر راجياً به نحو بغداد لمحاربة عدوه ، حتى إذا ما اقترب منها أوعز إلى حاكم بغداد الامير مسعود بالخروج لدفعه ولكن هذا لم يتمكن من الثبات وفرّ متقهقراً ولكن الامراء في بغداد أعانوه على المقاومة ، ولما لم يكن السلطان أحمد قادراً على المقاومة توجه إلى ديار بكر مستنجداً بالتركماني قره يوسف فأنجده مع قواته وعاد به إلى بغداد وتم له احتلالها وقرر نقل سطنته إليها ، ووصلت الأخبار الى مسامع تيمور فاحتدم غيظاً وغضباً وسار إليها على رأس قواته في وقت عهد السلطان احمد بتولي حكمها من قبل الامير فرج وأوعز اليه ان يستعد لمقابلة تيمور ، أما هو فقد سافر إلى قره يوسف في الموصل وكلاهما سافرا من هناك إلى ديار الروم لطلب عون حاكمها .

اما تيمور فقد جد في سيره حتى وصل بغداد كالبلاء النازل واندفع بقواته يهاجم قوات الامير فرج ، وبعد مقاومة عنيفة وجد الامير فرج نفسه غير قادر على مقاومة جيوش التاتار وردها وايقاف زحفها لا سيما وان على رأس هذه القوات كل من الامير زاده السلطان خليل والشيخ نور الدين ورستم طغا ، وقد ضيقوا عليه الخناق واجبروه على الفرار بوجوهم ثم قبض عليه المغول واذا قوة طعم الهلاك .

ولما دخل تيمور بغـــداد تحف به قواته وقع بأهلها قتلا وفتكاً وزلزلت الارض تحت أقدامهم ، ولم يسلم منهم صغير ولا كبير وفتكوا

بالنساء والاطفال وتركوهم طعاماً للديدان . وكان انين الجرحي الممددين على الارض يتصاعد إلى عنان السماء وكلهم لا ذنب لهم ، وظل القتل والسلب مستمراً مدة اسبوع سالت فيه دماء غزيره اختلطت بماء دجلة وما عدا هذا فان ما خلفه الخلفاء العباسيين والملوك الماضين من آثار قد شملها الخراب والدمار بما في ذلك المساجد والمدارس ، وما زالت آثار غدر تيمور في بغداد وفي سامراء ماثلة للاعيان .

تادهى بود واقعه' زينى صعبتر نديد زين كوفه واقعه نه
كسى ديد ونه شنيد .

وقد غطت هذه الواقعه ما سبقها من واقعة كربلا وغيرها ، ثم ان تيموراً أرسله رسل إلى سلطان الروم بايزيد خان يتهدد ويتوعد ويطلب إليه اعادة كل من السلطان أحمد وقره يوسف ، ولما رفض هذا عزم تيمور على الذهاب الى الروم واعلن الحرب احدهما على الآخر .

وفي سنة ٨٠٢ أصبحت بغداد بقبضة تيمور وتبعتها البصرة والجزائر وعين حفيده مرزا بكر بن ميران شاه حاكماً عليهما ، وفي هذه الأثناء تقدم قره يوسف مرة أخرى نحو بغداد واقتربت قواته من الحلة حيث عسكر على نهر العلقمي وراح يستعد للهجوم على تيمور الذي أوعز إلى ميرزا ابو بكر وغيره من الامراء بسد الطريق عليه وايقاف تقدمه وأجبروه على النكوص والعودة وبذلك أصبح العراق العربي كله بقبضته تيمور .

وبعد ارتحال السلطان بيلدرم بايزيد خان إلى الدار الآخرة ، توجه كل من السلطان أحمد وقره يوسف إلى مصر ، ولكن سلطان مصر كان قد عقد صلحاً مع تيمور ولذلك قبض عليهما وألقى بهما في السجون .

وفي سنة ٨٠٧ قضى تيمور نحبه ونقلته رياح المنية وألقت به فى أحضان الغبراء حيث يلقى جزاء ما صنعت يداه ، وبذلك تخلص كل من السلطان أحمد وقره يوسف من السجن وانطلق كل منهما إلى مكانه يعدان العدة للحرب وبعد اكمال الاستعدادات وتحشيد القوات استلا سيفيهما وتوجها نحو بغداد وبعد حروب تمكنا من التغلب على قوات المرزا أبو بكر وأخرجاه من بغـــداد ، ومرة أخرى يرجع السلطان أحمد إلى دست الحكم فيها .

ومما روته كتب التاريخ ان السلطان المشار إليه أعاد تشييد سور بغداد وحصن القلعة وبناها على طراز قلعة النجف الاشرف وكلتا القلعتين أو السورين من آثاره وآثار أبيه السلطان اويس . ثم اتفق كل من السلطان أحمد وقره يوسف أن يتعقبا مرزا عمر وأباه ميران شاه آل تيمور حتى أذربايجان وفي خلال ذلك مات ميران شاه وفر ميرزا عمر إلى جهة مجهولة .

لقد كان لتيمور أربعة أولاد وهم معين الدين شـاه رخ وجلال الدين ميران شاه ومعز الدين شيخ عمر غياث الدين وهم وأحفاده كل واحد منهم التجأ إلى قطر من أقطار الدنيا وصاروا حكاماً عليها ، ومن أولاد ميران شاه السلطان أبو سعيد ميرزا محمد بن ميران شاه .

وفى حدود سنة ٨١٤ قتل الميرزا عبد الله بن إبراهيم بن معين الدين إبن معز الدين بن تيمور الحاكم على سمرقند وخراسـان وغزنه وكابل وسيستان والعراق .

وفي سنة ٨٧٣ توفى سلطان ديار بكر حسن الطويل وفي سنة ٨٩٩ مات ابنه احمد واستقر بمكانه إبنه باى سنقر بعـد سنتين ونصف ، وفي سنة ٩٠٥ قتله حاكم قندهار الامير خسرو شاه .

اما اخوه مرزا علي فقد قتله شيبك خان الاوزبكي وبذلك انتقل

الحكم فيما وراء النهر إلى الاوزبكية .

أما شيبك خان الاوزبكي حاكم خراسان فقد بطش به الشاه اسماعيل ثم تولى الحكم بعده مرزا ابو بكر بن مرزا عمر بن ابي سعيد وتسلطن على ماوراء النهر بمسمى القزلباش وذلك سنة ٩٠٦ ولكنه فر بوجه عبيد الله خان الاوزبكي بعد مدة قليلة ، ثم اكتفى بحكم غزنه وبعض بلاد الهند :

وفي سنه ٩٣٧ انتقل إلى مثواه الأخير وصار بمكانه ابنه ميرزا همايون وقد كان معظم حكمه في الهند وزابلستان وغزنه وكابل وقندهار واستولى ايضاً على بلدة دهلي .

وفي حدود سنة ٩٥٣ توفى واعقبه في الحكم ابنه مرزا جلال الدين اكبر الذي وسع رقعة بلاده . وفي سنة ١٠٠٢ توفى واعقبه ابنه مرزا سليم وهذا ايضاً توفي سنة ١٠٠٦ وصار بعده ابنه خرّم وفي سنة ١٠٧٠ حصل بين اولاده نزاع ثم آل الحكم الى السلطانة زبيدة وبعد مقتل اخوتها وسجن ابيها اصبحت سلطانة على الهند .

ونعود إلى بقية أخبار السلطان احمد الجلائرى وقره يوسف ؛ فبعد ذلك الاتحاد والاتفاق بين الاثنين تسرب إلى قلبيهما الخلاف وتزايد النفور حتى بلغ بالسلطان احمد إلى حد انه جهز حملة عسكرية ضد قره يوسف الذي كان في تبريز ، ومن مقدرات الملك القدير ان السلطان أحمد اندحر في المعركة واسر ثم قتل بيد التركمان وذلك سنة ٨١٣ .

لقد كان السلطان المذكور في سيرته يستحق الثناء بعض الشيء ولذلك مدحه المنلا حافظ الشيرازي بقوله :

احمد الله على معدلة السلطاو احمد الشيخ حسن بن اويس الحانى الخان بن الخان وشهنشاه شهنشه زاده آنكه ميز بيد اكرجان وجهات

خوانی دیده نادیده باقبال توایمان اورد مرحبا ای بچنین لطف خـدا ارزانی ماه اکربی تو براید ونیمش بزند دولق احمدی ومعجزة سلطانی جلوه' بخت تو دل میر داز شاه وکدا چشم بد دورکه جانی وهم جانانی برکشن کاکل ترکانه که درطابع نست بخشش وکوشش خاقانی وجنکیز خانی کرچه دوریم بیاد توقدح میوشم بعد منزل نبود در سفر روحانی از کل یارسیم عنجه عیش نکشف حبذا دجلة بغداد ومی رمانی سر عاشق که نه خان در مشوقه بودکی خلاصتش بود از محنت سرکردانی ای نسیم سحری خان دریا ریبار تاکنند حافظ .

وكان الموما إليه متضلعاً بعلم الموسيقى وفنون الشعر وعلم العرافه والرياضة ودام في الحكم ٢٩ سنة وبموته انتهت سلطنتة الايلخانيين .

ذكر حكومة قره يوسف الشهير بقره قويونلي

ان الذين تطرقوا إلى ذكر اخباره في شيراز ونقلوا حوادثه قالوا ان قره يوسف كان من الاولوس ، وقد تربى فى حجر السلطان احمد الجلائرى حتى كبر وذاع اسمه ، وتولى الحكم على بغـــداد وضم إليه البلاد التي كان يحكمها احمد ، وفي السنة التي انتقل فيها أحمد استقر في بغـداد ثم فوضها إلى ابنه الامير الشاه محمود الذي دام في الحكم ٢٣ سنة وعندما نازعه أخوه الامير اسبان فر إلى الموصل طلباً للنجات وهناك جمع أتباعه ومن التحق به وعزم على العودة إلى بغداد وعنـد اقترابه من حدود الشيخان تصدى له الامير حاجي همداني ولكنه تغلب عليه وقتله وذلك في سنة ٨٣٧ وظل أخوه أمير شاه محمد يحكم بغداد .

وفي سنة ٨٣٦ كان الاب على كرسي الحكم بنفسه في بغداد وبعد

١٢ سنة توارى الامير شاه محمد والتحف الغبراء وازيح الامير اسبان من بغداد ، وكان قره يوسف ينازع الملوك وأخيراً أخذ ينازع الشاه رخ ابن تيمور واتجه بما لديه من قوات نحوه ولكن الشاه رخ تغلب عليه وأباد قواته وتوفى قره يوسف فجأة ونهب العسكر ما يملكـه وتركوا جثته في خيمة مدة ثم دفنوه وكانت مدة حكمه ١٠ سنوات .

ذكر حكومة الامير اسكندر بن قره يوسف

بعد ارتحال قره يوسف إلى الدار الاخرة تولى السلطنة اسكندر وهو أكبر أولاده فاتفق هذا مع أخيه جهانشاه على التعرض بالشاه رخ ابن تيمور وحمل كل منهما على الآخر وتقابلوا في مكان يسمى ارجيش .

چو ابراز دو سودر خردش امدند دو دريايى اتش بجيوش
امدند چوشكر درا ميختند زكتى قيامت برانكيختند ترنك
كمان هاى بازه شكن پس خلق را پرده از خويشتن شد از
ساقى مرك عالم خراب كدويش سر وباده از خون ناب نثر
عاقبت نسيم نصرت كلاله توع .

وكان النصر حليف الشاه رخ على الاخوين اسكندر وجهانشاه اذ انهزما ، واشتهر خبر اندحارهما بين الناس ثم تنازع الاخوان وانفصل الامير مرزا جهانشاه عن أخيه اسكندر والتجأ إلى الشاه رخ وقد قبله وعيّنه نائباً عنه في ديار بكر واذربايجان لغرض القبض على أخيـه . فلما علم الامير اسكندر تحرك لمقاتلته حتى بلغ قلعة النجق ولما تقاربا وكل منهما يحاول قتـــل الآخر على قاعدة الاقارب كالعقارب تحصن اسكندر في تلك القلعة وحاصره أخوه ثم أوعز إلى اثنين من أتبـاعه

المذهاب إلى القلعة واغتيال اسكندر فتم له ما أراد والتحق الامير اسكندر بقافلة الشهداء سنة ٨٤١ وكانت مدة حكمه ١٦ سنة .

ذكر حكومة مرزا جهانشاه ابن قره يوسف

بعـــد وفاة أخيه الامير اسكندر تولى الحكم بمكانه الامير ميرزا جهانشاه وبقى ١٢ سنة يحكم اذربايجان وديار بكر نيابة عن الشاه رخ وبعد وفاة هذا ظل يحكم الممالك المذكورة مضـافة الى بغداد والبصرة وكرمان لمدة ٣٢ سنة .

وفي سنة ٨٦١ عندمـا كان باى سنقر بن شـاه رخ سلطانا على همدان تنازع هو واخوته بعـــد وفاة أبيه وراح أحدهم يكيد للآخر ويحاول ازاحته عن طريقه ، فتحرك نحوهم الامير جهانشاه لاصلاح ذات البين على رأس قوة كبيرة .

ولما اقترب من بلدة هرات وعلم به سلطان سمرقند أبو سعيد مرزا محمد بن ميرانشاه بن تيمور جمع جموعه واتباعه من الاوزبكية والتاتار وسار نحو خراسان واقترب من جيوش جهانشاه الذي تحصن منه في إحدى القلاع ، فأرسل حاكم شيراز إلى ابنه پير بوداق يستنجد به فقام هـذا بتجهيز اثنا عشر الفاً من المقاتلين الشجعان وسار بهم مدداً لابيه فوصله خلال اسبوع واحد . وتقابل مع السلطان أبي سعيد وبعد كر وفر غلب على أمره ، اما ابنه الآخر المرزا حسن فانه استولى على تبريز بلا حرب واستقل بحكمها ، ولما بلغ خبره إلى جهانشاه اضطر إلى الصلح مع أبي سعيد واتجه نحو تبريز وتمكن من دحر حسن

علي مرزا وسجنه وجعل على العــراق العربي إبنه پيربوداغ حاكماً نيابة عنه .

حكومة پيربوداغ

بعد تولى الحكم من قبل پيربوداغ بن جهانشاه في بغداد تنكر لأبيه فاضطر الاب الى التوجه نحوه ، ولما اقترب من بغداد نصب خيامه وعسكر في القلعة المسماة پيرامن ثم حاصر پيرپوداغ إلى ان تمكن منه وتغلب عليه وذلك بعد سنة ونصف .

وفي سنة ٨٧٠ توفي الابن وزال حكمه من دنيا الزوال . ثم ان جهانشاه اصطدم مع السلطان حسن الطويل الآق قويونلي ودارت بينهما حروب كثيرة ثم هجم على قوات حسن الطويل بقوة تقدر بخمسين الف مقاتل فلم يتمكن من المقاومة ولكنه أخذ يراوغه في الحرب تارة يأتيه عن يمينه وتارة عن شماله لغرض تعجيزه ثم تمزق جيشه وراحت كل فرقة نحو جهة من الجهات .

اما جهانشاه فانه انسحب مع حوالي الخمسة آلاف من رجاله نحو أحد الوديان للاستراحة ولكنه غفل عن عدوه حسن الطويل الذي جمع شتات قواته واغار عليه منتهزاً هذه الفرصة وباغته وانتصر عليه .

وفي سنة ٨٧٢ تبدد ملك جهانشاه واستولى عليـه حسن الطويل ، وصار جهانشاه وحكمه بجرد خيال .

كوان همه حشمت جهانشــاه امر روز كـه در برش كفن نيست
او زفرت حسن اش بهـانه بود اين از فلكست از حسن نيست

وبموته انقرضت حكومة القره قويونلي في بغداد .

سلطنة اق قويونلي

ذكر المؤرخون سلطنة الاق قويونلي ابو النصر حسن بك بن علي بك بن قره عثمان على الوجه التالي :

لقد كان قره عثمان جد حسن الطويل في خدمة الامير تيمور ثم صار حاكماً على ديار بكر واطرافها ، وفي زمن الشاه رخ توفي ابوه وأعقبه ابنه علي بك وهذا أيضاً توفي بعد مدة وانتقل الحكم إلى ابنه الأمير حسن وقد توارث هؤلاء العداوة والبغضاء مع القره قويونلي مدة بقاء البيربوداغ ابن جهانشاه ، وظل حسن الطويل يداريه ويعامله بالتي هي أحسن .

وبعد ذهاب البيربوداغ عادت وبدت بوادر العداء وكما ذكرنا آنفاً ان حسن الطويل كان قد استعدى عليه السلطان أبا مسعود التيموري الذي انجده بسبعة وعشرين الفاً من المقاتلين ونزلوا في ارض الايوان فعاد اليه ثانية وقدم له التحف والهدايا بيد امه العجوز لاعادة العلاقات الاخوية معه ولكنه رد الهدايا وطرد الام العجوز وطلب من حسن الطويل قبل كل شيء ان يعيد اليه بغداد والبصرة وفارس وكرمان وان يحتفظ هو باذربايجان نائباً عنه وان تقرأ الخطبة باسم أبي سعيد ولا يدري ما تخبأه الايام .

وقت ضرورت چونماند كريز دست بكيرد سر شمشير تيز

ثم قام حسن الطويل دجمع عشيرته واثنا عشر الفاً من الفرسان اللاوند وهجم بهم على أبي سعيد وأحاط بجيشه وحاصره وضيق عليه الخناق حتى اضطره الى الفرار نحو أردبيل بحالة يرثى لها . ثم ان

أبا سعيد اضطرته الظروف أن يرسل امه الى حسن الطويل لطلب الصلح والامان وكما تدين تدان وهذه عندما وصلت تضرعت إليه وأخبرته ان مامضى مضى ، فطيب خاطرها واحتفى بها وكاد يوافق على الصلح ولكن اتفق وجود جنيد جد اسماعيل شاه في مجلسه فلم يكن بحضره بحضر خير ومنعه من قبول الصلح وردت الام مأيوسة الى ولدها .

ثم ان القضاء والقدر سلط على أبي سعيد بعض الامراء وهو حسن دراز وقبض عليه وقيده وأرسله مخفوراً الى حسن الطويل فانبسط لهذا الانتصار وبعد عتاب ومحاكمة تدخل زينل مرزا بن حسن الطويل وذكره بما فعل مع ابيه ووجه نحوه كلاماً ثقيلا وهذا يقابله بالاعتذار وطلب العفو عما مضى ثم أصر امراء آلاق قويونلي على قتله جزاء ما فعلت يداه ولم يفد تضرعه لا سيما بعدما اتهم بمقتل يادكار محمد الماردينى بدون وجه شرعي وعليه انعقد مجلس المحاكمة وثبتت عليه شهادات الشهود وعندئذ اطاروا روحه من قفص صدره قصاصاً وذلك سنة ٨٧٤ وبعد ذلك ارسل جيشاً الى بغداد لاستردادها من حسن دراز الذي كان والياً عليها من قبل جهانشاه ولكن هذا الجيش اندحر واضطر حسن الطويل الى السفر بنفسه لاحتلالها وتمكن من القضاء على خصمه وعادت سلطنة العراقين وما وراء النهر وكرمان إلى حسن الطويل وتوارثها بناؤه .

وفي سنة ٨٧٧ تغلب عليه سلطان الروم ابو الفتح السلطان محمد خان واجبره على الفرار نحو تبريز وبقى بين الكر والفر وبعد حكم ١٢ سنة توفى سنة ٨٨٢ وتولى بعده ابنه خليل مرزا ملك كما وتولى ابنه يعقوب مرزا ولاية ديار بكر ، اما خليل مرزا ملك فلم تكن معاملته مرضية من قبل الناس وانحرفوا عنه الى أخيه يعقوب مرزا ، وحارب الاخوان بعضهم بعضاً حتى قتل خليل مرزا .

وفي سنة ٨٣٣ (الاصح ٨٨٣) تربع يعقوب مرزا على كرسي الحكم وبعد ثلاث سنين سم امه ونفسه أيضاً فانتقلا إلى الدار الآخرة .

وبعد وفاته تشاجر الابناء ، بأي سنقر مرزا ومسيح مرزا وبعد نزاع ظفر بالحكم المرزا باى سنقر ، اما مسيح مرزا فمن اتباعه محمود بك ابن اوغورلي محمد بن حسن الطويل فقد فر نحو بغداد واجلسه حاكمها شاه علي بك سلطاناً عليها ، وبعد حروب قتل فيها محمود بك وشاه علي بك ثم تخاصم كل من مرزا باى سنقر وابن عمه رستم مرزا ابن مقصود بن حسن الطويل وتمكن هذا من احتلال اذربايجان .

اما باي سنقر فقد فرّ نحو سلطان شيروان ولما علم مرزا رستم بحركته وخوفاً من ان يمده سلطان شيروان بقوات فقـــد تقرب اليه باطلاق سراح أحد اولاده وهو الشيخ حيدر من سجنه في اسطخر ولما لم ينفعه ذلك جهز عليه قوة كبيرة وتصادما ، وفي اثناء الحرب قتـــل الباي سنقر وانتصر بذلك رستم مرزا واعاد أولاد حيدر بكل تكريم الى أردبيل .

وقد ذكرنا مقدماً انه لما توفى يعقوب مرزا التجأ ابن عمه احمد بادشاه بن اوغورلي محمد بن حسن الطويل الى بلاد الروم فكان هناك موضع اعزاز وتكريم وتصاهر مع السلطان بايزيد خان ولما توفى هذا قام يعقوب مرزا وسافر على رأس حملة عسكرية الى جهة اذربايجان وعند اقترابه من شواطىء اب ارس تقابلت القوتان فقام امراء العراق واذربايجان وقبضوا على رستم مرزا وسلموه إلى أحمد باشا فأعدمـــه واستقر في الحكم بلا منازع .

وفي الشهر السادس من حكمه توفى السلطان أحمد وذلك سنة ٩٠٣ وتولى الحكم بعده بالوكالة السلطان مراد بن يعقوب وهذا تنـازع مع

ابن عمه محمد مرزا يوسف بن حسن الطويل ولكن هذا تغلب عليه وأرسله الى شيراز وأجلس محمداً على تبريز وقبل ان يستقر على كرسي الحكم ثار اخوه الوند مرزا واستلم الحكم على اذربايجان بعدما انتزعها من محمد مرزا الذي الذي ذهب إلى اصفهان ولكن سلطان مراد تصدى له وتحرك من شيراز وقبض على محمد ميرزا وسفره نحو تبريز فاستقبله حاكمها الوند ميرزا بقوة عسكرية ، وبعد حروب تصالحا على شرط ان تكون ديار بكر واذربايجان من حصة الوند ميرزا والعراقين وفارس من حصة السلطان مراد .

ظهور الشاه اسماعيل بن حيدر

ان احد علماء الروم الفصحاء وهو عزيز افندى ذكر مبدأ ظهور اسماعيل شاه على الوجه الآتي :

لقد كان الجد الأعلى للشاه اسماعيل الشيخ صفي الأردبيلي صاحب زاوية ، وكان قد تلقى عن حجة الاسلام الامام محمد الغزالي طريقته وسلوكه وآدابه وبعد وفاته تورث طريقته وسجادته ابنه صدر الدين .

وبعد وفات صدر الدين ورثه ابنه الشيخ علي ثم ابنـــه الشيخ ابراهيم الذي صار بعدئذ مرجعاً للفتوي والارشاد .

وخلال مدة حياته كان ابنه الشيخ جنيد يمارس الخطابة والامامة وارتفع صيته وانتشر بين الناس يوماً فيوماً حتى بلغت مسامع حاكم الشعب العجمى الفرمان فرما قره قويونلى الامير جها نشاه بن قره يوسف فأوس خيفة من عاقبة أمره وكثرة أتباعه فأمر باخراجه هو ومريديه من اردبيل ، فاتجهوا نحو ديار بكر واستقبلهم هناك الاق قويونلى حسن

الطويل بن علي بك بن قره عثمان ورحب بهم كل الترحاب بغضاً للامير جها نشاه وزوج جنيداً أخته البيكم كما زوج ابنه حيدر من أختـــه الأخرى حليمه بيكم وجهزهما بكل ما يليق بهما من متاع ورياش حسب مقتضى عادات ذلك الزمان ؟

وبعد مدة طغى حب الوطن على الشيخ جنيد واختار العودة الى أردبيل ، وبما ان المومأ اليه أصبح من أصهار حسن الطويل فقد ارتفع قدره وكبر جاهه بين الناس .

وفي سنة ٨٩٠ افل كوكب حليمه بيكم وانحدر للزوال وأعقبها الشيخ جنيد ، ولما كان والده الشيخ حيدر مرموق الجانب بين الناس فقد قلدوه في الطريقة واتخذ لمريديه زياً خاصاً بهم وهو عمامة حمراء على الرأس مكونة من ١٢ طية كل طية ترمز الى امـــام الى الامام الثاني عشر لكي يتميزوا عن مريدي الفرق الأخرى ، وصاروا يعرفون باسم القزلباش .

وبعد مدة هاجر المريدون نحو سد شيروانه في طريقهم الى كرجستان ولكن حاكم شيروان استراب من امرهم واوجس منهم خفية ومنعهم وسد الطريق بوجههم وبذلك انفتح باب الخصام بينهم ، وأخيراً اصطدم معهم في نواحي طبرستان ، وخلال حروبهم توفى الشيخ حيدر ، فاتجه المريدون والاتباع نحو ابنه الشيخ علي الذي كان مقيماً في اردبيل وبايعوه ، وزعموا له انهم يبايعونه بأمر أبيه .

ان هذه الأخبار وصلت مسامع يعقوب مرزا بن حسن الطويل فلم ترق له وأمر بالقبض على الشيخ علي وأخيه ابراهيم وأخوته الأربعة الصغار الذين لم تتجاوز أعمار أكبرهم الأربع سنوات ، وكذلك قبض اخيه الآخر اسماعيل وعلى امهم خديجة بيكم وسجنهم في قلعة اصطخر .

وعلى ماذكر ان اولاد حيدر اطلقوا من السجن بمعونة رستم ميرزا بن مقصود بن حسن الطويل وشملهم بالطافه .

وفي سنة ٨٩٨ وبعدما استحكمت الصداقة بين الطرفين واصبحوا في رغد من العيش انطفأ قنديل حياة الشيخ علي ، وعندئذ راى ابراهيم واسماعيل ان يسافروا الى كيلان وهناك ضاقت بهم سبل العيش وهاجروا نحو لاهيجان والتجأوا الى حماية حاكمها الميرزا علي ، وبعد مرور سنة سئم ابراهيم من الحياة في لاهيجان واودع التاج الاثنا عشري الذي ورثه عن ابيه الى اسماعيل وبدل قيافته وزيه وترك امه واخوانه وساح في الأرض واختفى عن الأنظار ولم تذكر كتب التاريخ ما انتهى اليه أمره

أما اسماعيل فكان مدة اقامته في لاهيجان يدرس المذهب الشيعي حتى صار فقيها على صغر سنه ثم عزم على ترك لاهيجان والسفر الى أردبيل وهناك أخذ يجمع مريدي جده ويلم شتاتهم وبقي مدة يتردد ما بين أردبيل وأذربيجان .

وفي سنة ٩٠٥ عزم على السفر الى شيروانه للانتقام من أعدائه الذين فتكوا بالشيخ حيدر ولما وصل الى تلك الجهات أشعل نار الحرب على ملك شيروان الوند ميرزا فتغلب اسماعيل وأتباعه على عدوهم في صحراء نخجوان وهزم الوند ميرزا الى جهة اذربيجان ومزق جيشه .

وفي سنة ٩٠٦ سافر اسماعيل الى تبريز حيث جلس على كرسي السلطنة وعندئذ ترك الخلافة والشعار الصوفي وابدلهما بالتاج الديباجي .

أما الوند مرزا فانه راح يجمع جموعه في أذربيجان ثم سار على رأسهم لملاقاه عدوه ، فلما سمع به الشاه اسماعيل استعد له وسافر لملاقاته وبعدما التحما لم يتمكن الوند ميرزا من المقاومة واندحر هارباً نحو بغداد ومنها الى ديار بكر وهناك انطفأ سراج حياته .

وفي سنة ٩٠٧ تفرغ اسماعيل من عدوه الوند ميرزا وسافر نحو السلطان مراد بن يعقوب واصطدم به في بادية همدان وهزمه أيضاً وبذلك استولى على المملكة الفارسية بدون منازع ثم ضم اليه حكومة كاشان ونصب بعض أتباعه حكاماً على البلاد وعلى العراق العجمي .

وفي سنة ٩٠٨ استولى على كيلان وفرض عليها دفع بعض الضرائب وفي سنة ٩٠٩ أرسل جنوده الى اذربايجان فقبضوا على الشقى المشهور تكه حميد الذي ترك التمرد وصار من جملة اتباعه .

وفي سنة ٩١٢ عاد السلطان مراد الى بغداد بعد فراره من وجه اسماعيل وبعد مكوثه فيها مدة استرد هناك أنفاسه ثم انصرف بجمع جموعه واستنجد بعلاء الدولة الذي اصهر اليه توثيقاً للصداقة وراح يسعى لاسترداد ملكه وسافر على رأس جيش جرار نحو ديار بكر ففتحها بلا عناء واستولى على حصونها وملحقاتها ، فلما بلغ خبره مسامع الشاه اسماعيل جمع له قوة كبيرة وسار على رأسها حتى بلغ البستان واصطدم معه على شاطىء النهر وبعد حرب طاحنة استمرت يومين اندحرت في اليوم الثالث جيوش علاء الدين ذي القدر وتمزقت شذر مذر .

وفي سنة ٩١٣ بقى السلطان مراد في تلك الجهات يتجرع كأس الهزيمة التي حلت به . ثم ان علاء الدين تحرش بسلطان الروم السلطان سليم خان ولكنه اندحر امامه أيضاً وعاد السلطان سليم منصوراً الى مقام سلطنته .

اما الشاه اسماعيل فانه بعد انتصاره على جيوش علاء الدين ذي القدر عاد فاستولى على ديار بكر وجعل الاوستجالو محمد خان حاكماً عليها .

اما بغداد فقد تولى حكمها السلطان يعقوب بعد السلطان مراد

ثم آل حكمها الى شخص يسمى بريانك بايندري .

وفي سنة ٩١٤ ارسل الشاه اسماعيل المدعو لالا حسين على رأس قوة كبيرة إلى بغداد للاستيلاء عليها ففر منها باريانك نحو جهة حلب وبعد احتلالها من قبل لالا حسين زارها الشاه اسماعيل ولكنه بزيارته هدم مراقد الأئمة والمشايخ وفتك بالكثير من أهل السنة ثم سار الى النجف الاشرف وكربلا وزار الاضرحة هناك ، وفي أرض النجف جدد نهر عطا الملك واجرى فيه الماء وسماه نهر الشاه واوقفه على المشهدين الشريفين .

وفي التاريخ المذكور باشر ببناء صحن موسى الكاظم رضى الله عنه وأودع حكم بغداد إلى أمير الديوان خادم بك وعاد الى ايران .

ويذكر صاحب كتاب جامع السير قصة اسماعيل شاه على الوجه التالي : عندما تغلب حسن الطويل على مرزا جهانشاه وتولى الحكم بدله كان في بغداد الوند بك والياً عليها من قبل جهانشاه وبعد اندحاره توجه هو الى بغداد وتمكن من احتلالها واستمال أهلها اليه .

وفي هذه الظروف ظهر شخص من أقارب جهانشاه في اطراف قره باغ وهجم على تبريز ونهب أموال وممتلكات حسن الطويل وتزوج اخته واستولى على الحكم هناك ، فلما سمع حسن الطويل جمع قواته وتوجه مسرعاً الى تبريز وبعدما قتل خصمه ومد يده الى ابنته حالت اخته أي اخت حسن الطويل دون وصوله اليها ثم تزوجها الشيخ حيدر بن جنيد وبذلك ارتفع قدره .

وفي سنة ٨٩٢ افل نجم اسماعيل ثم تبعه حسن الطويل وأراد ابنه يعقوب ان يستولي عن الملك ولكن الشيخ حيدر منعه وتوجه بقوات مريديه الوافرة نحو كرجستان غازياً .

اما حاكم شيروان فقد عهد بالحكم الى يعقوب وهذا عين سليمان بك قائداً لقواته ، لدفع غائلة حيدر فتمكن من التغلب عليه وقطع عنقه وارسله الى السلطان يعقوب .

ولهذا السبب امر يعقوب بالقضاء على اولاد حيدر وافنائهم ولكن اخت حسن الطويل عارضت هذا الامر أيضاً فاكتفى عندئذ بحبسهم لديه .

وبعد مرور مدة تمكن بعضهم من تهريبهم من السجن واتجه بهم الى كيلان . ثم توفى يعقوب وتنازع الملك ولداه الوند ميرزا ومراد مرزا وبعدما اصلح الناس ذات بينهما قسموا الملك اذ ذاك فكانت ديار بكر واذربايجان من نصيب مراد مرزا وكانت كيلان وقرهباغ من نصيب الوند مرزا ولكن هذا لم يقنع بهذه القسمة وراح اسماعيل يجمع مريدي جده وأبيه في تبريز حتى جمع منهم خمسة آلاف مقاتل واتجه بهم نحو الوند مرزا فلما سمع هذا بما فعله اسماعيل جهز عليه عشرين الف مقاتل ودارت بينهما الحرب ومنيت قوات الوند بالخذلان والهزيمة وتشتت وكان بين القتلى الوند مرزا .

أما شاه اسماعيل فانه استولى بعـــد ذلك على تبريز سنة ٩٠٨ واستقل بالحكم فيها ثم جهز جيشاً ضد السلطان مراد والتقى الجمعان في اطراف همدان وهناك اندحر مراد والتجأ الى حاكم بغداد باريك فتعقبه الشاه اسماعيل فلما علم كلاً من باريلك ومراد ورأوا انهما غير قادرين على مقابلة الشاه فرا نحو ديار الشام وعندئذ دخل بغداد فاتحاً بغير حرب واستولى عليها ، وبعد أيام من اقامته في بغداد عاد الى إيران وذلك سنة ٩١٤ ،

وفي سنة ٩١٩ برز ميرزا طهماس بن شاه اسماعيل من العدم ووضع قدمه في مهد الوجود .

لقد كانت سمعة الشاه اسماعيل رديئة بين الناس بسبب ماارتكبه من الجرائم وبسبب محاربته لأهل السنة وقتله الكثير منهم بلا ذنب ولا سبب وتدميره الكثير من بلاد الاسلام ، ولذلك تصدى له السلطان سليم خان سلطان الروم لايقافه عند حده وانقاذ المسلمين من شروره .

وفي سنة ٩٢٠ سافر نحو ايران على رأس حملة قوامها حوالي المائة الف مقاتل وأخذ يطوي المراحل ويتوغل في البلاد الايرانية وصار يطارد الشاه من مكان الى مكان والشاه يبتعد عنه ويتوارى لمدة شهر أو شهرين ثم رفع راية الجهاد وجمع أتباعه واعتراه الغرور ، وفي بادية چالديران تقابل الجيشان بعد ما احتلت جيوش الروم ديار بكر وفتكت بوالي كردستان محمد خان ابن استاجلو وأولاده وأحفاده وقد هلك في هذه الحرب والي المشهد السيد محمد صدر ووكيل السلطنة عبد الباقي دقورچي باشي وولات بغداد وخراسان وهمدان وكنجه وأمثالهم من أكابر العجم وهلك من عسكر الروم أبلى وموره وپاشوات سلستر وموره والكثير من أمثالهم وقتل ما يقرب من العشرة آلاف عربي في ميدان هذه الحرب الضروس حتى أن الشاه اسماعيل الذي كان يحرض أتباعه على القتال ويشجعهم على الثبات قد فر أمام الهول الذي رآه من كثرة التراشق بالرصاص وظل يطوي القفار حتى استقر في تبريز ومن هناك تحرك نحو دركزين فتعقبه السلطان واتجه أيضاً خلفه نحو تبريز فوصلها واحتلها وأعلن الأمان لأهليها ثم عسكر في مكان يسمى سرخاب لمدة تسعة أيام وسمح لمقدار الف مقاتل من الذين أظهروا المزيد من البسالة والشجاعة في الحرب بالعودة الى ديار الروم وقضى هو والباقون الربيع في تلك الربوع ، ولأجل اتمام فتوحاته عزم على قضاء الشتاء في بلدة مرند ولكن جماعة من القواد الذين بيدهم الحل والعقد لم يعجبهم هذا الرأي

وراحوا يتهامسون ويحرضوا العساكر الانكشارية المطالبة بالعودة الى أهليهم وديارهم فأضطر السلطان عندئذ الى تأجيل الحرب والعودة نحو بلاد الروم .

وبعد هذه الموقعة العظيمة أشغل نفسه بفتح ديار بكر وحلب والشام ومصر ثم لقب بخادم الحرمين الشريفين وصار من أكبر سلاطين العالم .

وفي سنة ٩٢٦ انتقل السلطان من دار الغرور الى القصر السرمدي وخلفه ابنه السلطان سليمان خان . وفي سنة ٩٣٠ ترك الشاه اسماعيل التخت والتاج نحو الدار الآخرة وصار بمكانه ابنه الشاه طهماس الذي رشحه حظه السعيد لكرسي الملوكية .

حكومة ذي الفقار

لما كانت حوادث الأيام ووقائع الفلك الدوار كل يوم بل كل ساعة لها حادثة وواقعة فان رواة الأخبار نقلوا حادثة ذي الفقار على الوجه التالي ، ونحن ننقلها باختصار : -

كان من قبيلة اوصلو أخوان الأول امير خان والثاني ابراهيم خان وكلاهما أخوا السلطان ذي الفقار المشهور بالكرم وحسن الأخلاق ، وكانت القلوب تميل اليه وتهواه وقد تغلب على أكثر مدن كلهر بمعرفة الأكراد وليس هناك من يزاحمه ويشذ عن طاعته غير ان ابراهيم خان الذي سكن بغداد هو وأبناؤه واصهاره قد جمع حوله ما يقرب من الخمسة آلاف رجل وتحرك بهم نحو الشاه وعند وصوله الى المرحلة المسماة ماهي دشت تصدى له ذو الفقار على رأس قوة تقدر بثلاثمائة

فارس من الفرسان الشجعان وقبل التصادم انحاز أتباع ابراهيم خان الى جانب ذى الفقار ولذلك فر بوجهه حتى وصل قلعة پيرامن وذو الفقار في أثره يتعقبه الى أن وصل الي القلعة المذكورة واحتلها بعد بضعة أيام ثم تصالحا .

ولأجل القضاء على عمه وأبناء عمومته الذين يحكمون بغداد واصل سفره الى هناك وتغلب عليهم وأقام نفسه حاكماً على بغداد نيابة عن سلطان الروم المرحوم سليمان خان وضرب السكة باسمه وخطب له ، وقد اطاعه الناس ولم يبق له منازع ، وأرسل سفراء الى السلطان المشار اليه .

فلما سمع بخبره الشاه طهماس اعتراه الهم وتغلبت عليه الهواجس ، وفي شهر تموز ٩٣٦ عزم على انقاذ بغداد منه وتحرك بجيوشه نحوها حتى وصل قلعة پيرامن وعسكر هناك فانبرى له ذو الفقار وقاومه بشجاعة كشجاعة علي الكرار ونصب معدات القتال خارج البلد .

وبينما كان مشغولاً بهذه الاستعدادات حال دون وقوع الحرب أحد أعيان بغداد وهو المسمى محمد كمونه ، وكانت النتيجة ان العدو اغرى أخويه علي بك واحمد بك بالاموال وشد ازرهما بسبعة عشر شخصاً من الخونة ومنّاهم بالاحسان العميم وحرضهم على اغتيال ذى الفقار ، فراحوا يتحينون الفرص للغدر والخيانة .

وذات يوم عاد ذو الفقار الى داره ليأخذ قسطاً من الراحة وهم بالتمدد في فراشه وغرفة نومه اذ غافله علي بك وهجم عليه غير ان ذو الفقار تماسك معه وكاد يتغلب عليه اولا ان اخاه الاخر احمد بك شهر سيفه وهجم على ذي الفقار وقضى عليه ، فكان لهذه الواقعة صدى سرور واستحسان لدى الشاه طهماسب .

ولشدة حرارة الجو سافر بعدما نال مأربه الى بادية كربلا وقد وزع الهدايا على الخونة واعلن الأمان لأهل بغداد وانعم بصورة خاصة على أحمد بك وعلي بك وعين تكلو محمد خان نجل شرف الدين حاكماً على بغداد وغازي خان على كركوك وكلهر ومندلجين وسيد بك على لواء الحلة وقانصوج بك على واسط وماجاورها وصالح سلتان على لواء الرماحية ثم عاد الشاه نحو قزوين .

الاصول الايرال الثاني ذ

مجيء السلطان سليمان خان الى بغداد وذكر نسب آل عثمان

يروي ناقلوا الأخبار القدماء وناظمي لئآلي الكلام اللطيف ان سلسلة نسب أل عثمان ترجع بالاصل الى الجد الأعلى لعثمان بك الغازي وهو يافث بن نوح النبي عليه السلام كما ذكره سولاق زاده في في تأريخه اذ قال : ان نسب آل عثمان خلد الله ملكهم الى أبد الزمان هو بصورة مفصله كما أورده المؤرخون : عثمان خان بن ارطغرل غازى بن سليمان شاه بن قيا الب بن قزل بوغا بن باى تيمور بن اى قتلغ بن طغر بن قراتلو بن ساقور بن بلغاى بن سنقر بن تومتمور ابن ياساق بن جمندور بن قتلق بن توارق بن ياتسو بن بلواح بن بار بك بن طغر بن طوغمش بن كوجك بك بن قمارى بن قورتاى بن جكتمور بن طرخ بن قزل بوغا بن يماقا بن باشبوغه بن خورميرا بن ياسوى بن سويخ بن چورى بوغا بن قورخا بن بالحيق بن قوماس بن قره اوغلات بن سليمان شاه بن بوراغان بن باى تيمور بن طورمش بن كوكب الب بن ارغون خان بن قره خان بن قره خان بن قالى خان من نسل يافث بن نوح عليه السلام ومن أواجه خان بن تاقوتي الى

يافث ثلاثة اظهر وينتهي .

وفي خلال سنة ٦٠٠ ظهرت بعدهم فرقة الايلخانية ومنهم جنكيز خان الذي دوخ البلاد وأخضع ديار ايران وتوارن ، أما الجد الأعلى للعثمانيين قاي خان المار الذكر فقد انتقل هو وقبيلته الى جهة خراسان من بلاد ما وراء النهر والقي عصا ترحاله في بلدة مرو ، وهناك أيضاً لم ترق له الاقامة ولم ينل ماتمناه وشد رحاله نحو جنة الروم واتخذ من اخلاط التابعة لارمينية موطناً له .

ولكن جنكيز خان امتدت شرارة فتنته الى هناك أيضاً واتجه بقبيلته نحو الروم وبينما كانوا يعبرون جسر جعبر غرق رئيس قواد جيشه سليمان شاه بن قيا الب في نهر الفرات وأودع جسمه اللطيف في التربة الطيبة قبالة البلدة المذكوره ، وقد رأى اولاده الأربعة أن يعودوا الى موطنهم الأصلي واتفقوا مع طغرل الرجل المشهور وارتحلوا من ديار الروم حتى بلغوا مدينة چقور ونصبوا خيامهم فيها .

أما طغرل فانه مال الى الغزو والفتوح ، وأوفد اكبر اولاده المعروف باسم صار وبانيكه صاوجى بلك الى السلطان علاء الدين السلجوقي في قونيه يعرض عليه اخلاصه ويلتمسه ان يقيم في مملكته ، فرحب به السلطان وخصص لاقامتهم قرچه طاغ وسكوت وقشلاق وطوماننج وجبال بايلاق بالقرب من أنقره ، فاصطحب ارطغرل الغازى رجاله البالغ عددهم الخمسمائة تقريباً وسافر نحو الامكنة المخصصة لسكناهم .

وفي هذه الاثناء وقعت الحرب بين علاء الدين وبين التاتار مال فيها عسكر علاء الدين إلى الانحدار ولكن طغرل الغازي أدركهم وشتت قوات التاتار فولوا الادبار وبسبب هذا الدعم والانتصار قربه السلطان وصار من ذوى الحظوة عنده وفي رواية أخرى ان الجد الأمجد لآل عثمان

قايى خان اصطحب احدى الفرق التركية واتجه نحو ايران ثم الى ارمينية واخلاط وبقى في تلك الجهات حوالي المائة والسبعين سنة .

وفي سنة ٦٢٦ وبعد ظهور فتنة جنكيز اتخذ سليمان شاه بن قايي خان من اذربايجان مقراً له ولقبيلته ثم عاوده حب الوطن وسافر نحو مساكنهم القديمة ، وفيما كانوا يعبرون جسر جعبر غرق سليمان شاه وجرفه تيار نهر الفرات ودفن مقابل البلدة المذكورة .

ان هذه الحادثة تركت رجاله في حيرة من أمرهم ، وبعد المناقشة والمداولة قرروا الانضواء تحت راية ابنه ارطغرل الغازي . وكان عددهم يبلغ الخمسمائة ، وواصلوا سفرهم نحو ديار الروم ، وكان في ذلك التاريخ السلطان علاء الدين هو حاكم تلك الديار . وعند وصولهم وجدوا الحرب قائمة بين السلطان وبين فرقة التاتار فأمد ار طغرل الغازي السلطان علاء الدين واعانه على التاتار وخذلهم وردهم على اعقابهم خاسرين وعندئذ عظم في عين السلطان واكرم مثواهم وعين لسكناهم في ضواحي انقرة الامكنة المسمات بيلاق وقشلاق .

وبعد مرور بضع سنين من اقامتهم وافت ارطغرل المنية اثناء ما كان يستعد لغزو ديار الكفار وذلك سنة ٦٨٠ ودفن في بلدة سكود وقررت القبيلة الانضمام الى لواء ولده عثمان الغازي . وفي سنة ٦٨٨ عينه السلطان علاء الدين حاكماً على احدى الولايات .

وفي سنة ٦٩٧ افتتح التاتار اكثر المدن التي كانت بحكم السلاجقة واخذ سكانها يستصرخون السلطان علاء الدين ويطلبون منه انقاذهم من ظلم التتار .

وعندئذ استأذن عثمان الغازي من السلطان علاء الدين وسار لانقاذ البلاد وأهليها من شرور التاتار ، وتمكن من التغلب عليهم وطردهم

من البلاد التي استولوا عليها ونصب نفسه سلطاناً على تلك البـــلاد وجعل مقر حكمه في بلدة قره حصار وضربت السكة باسمه وكذلك ادخل اسمه في الخطبة .

وفي ايامه فتح الكثير من المدن والأمكنة . ومما ذكرته كتب التاريخ انه فتح قلعة قزلجة وقره حصار وقزيلي حصار ويكى شهر واينه اوكى وبيلجك ودمير حصار واينه كول وجاداق ومرمرة وكته وكستل وقرجه حصار وابلبوجى ولكفه وكرحصار وملجيه ولق حصار وتكور بيكاري وكيوه وادكده ومالقچه حصار وقره حصار واوينـامش وصولى وعيان كولي وقره جيث وصوفي اغزى وقره تكين وقيوجق حصارى وكراسته ومدورنى واورنوس وبروسه وقان درى وبلاق اباد وارمن بازارى وقره مرسل .

وقـــد فرق البادشاه الموما اليه جموع الكفره وجعجع بغلولهم ومزقهم شر ممزق وكان في كل حروبه مؤيداً منصوراً .

وفي سنة ٧٢٦ انتقل الى مثواه الاخير حيث وافته المنية ودفن في بروسه حصاروصار ضريحه مزارا . وكانت ولادته سنة ٦٥٦ وجلس على كرسي الحكم سنة ٦٩٩ وعلى قول آخر ٦٩٧ ومدة حكمه ٢٧ سنه وتوفى عن عمر بلغ السابعة والسبعين .

ثم تولى الحكم بعـده اورخان الغازي الذي اضاف الى فتوحات سلفه الفتوحات التالية : قلعة صمان دره وايدوس وقيون حصارى وايزينكميد وهرهكه وازنيق وطوقچى يكيجه سى وكونيك ومدورنى وكمليك واردميد وايدنجك وقزلجه طورلى وولاية قره سى وتوابعها مائة قعلعة وكرماش وميحالچ واولوباط وارموردلى وباليكر وبرغمه ومناس وبيكار حصار وايازمند واباخور واشبوع الواقعة من الجانب الآخر من روم ايل

وادركو كلمك وروكوده وفرجك وخيرد بولى وولاية اچه اومرمس وايا سلغ وفركول . وكان استيلاؤه على هذه الأمكنة بسرعة وكانت هذه البلاد تنعم بالخيرات على عهده وشيد في بروسه مسجداً وتكية وبعض العمارات .

وفي سنة ٧٦١ غادر دار الفناء والتحف الغبراء حيث التحقت روحه بقافلة ارواح الأبرار وضريحه بجوار ضريح أبيه تحت رحمة الرحمن . وكانت ولادته سنة ٦٨١ وتولى الحكم سنة ٧٢٧ ومدة حكمه ٣١ سنة وبلغ من العمر ٨١ سنة .

وبعد وفاة اورخان جلس بمكانه ابنه الغازي السلطان مراد خان الخداوند كار ومشى على سيرة أبيه وفتوحاته اجمالاً كما يأتي . الأول

فتح قلعة انكورى في روم ايلى وبطنوس وچورلى ومسللى وبورغوس ومالنوه وربصاله ودبمتوقه وقرين اباد وكشتان وادرنه وبابا اسكيس وكوملجنه ومرار دار وزغره يكيجه س وزغره وقلبه وبيغا وجرمن وبكجه قزل اغاج ويانبولى وسوزه بولى وخيره بولى وقرق كليشا وبيكار حصار وويزه وصماقو وهاى وكستنديل وفره جك واينجوكز وچتال بوغازى وبورلولى واسكنه ومارلويه كه المسماة عوره حصارى وقواله ودرامه وبلدة زهنه وسيروز وقره قربه ونيش وكوتاهيه واكرى كوز وسماو وطوشانلو وبيك شهرى وسيدى شهرى وبلواج وقره اغاج واسبارته وصميد واق شهر ونور توردر روم ايلى وپرليه ومناستر وقارلو واشيقب وبعض قلاع ارنور وبعض قلاع بوسنه وهرسك وصوفيه وپر وارى وطرازوى وشونيز وادريخته وچر مزار وخردانيه ونيكبولى وطامروسلى .

وكان الباد شاه يكثر من الخروج للجهاد نيلة مدة عمره ، وفي احدى الغزوات بينما كان يستعرض الأسرى في الميدان اذ نهض من بين

القتلى رجل واتجه نحو السلطان مستغيثاً وطالباً الامان ثم اقترب منه وهجم عليه وقتله غدراً ومات شهيداً .

ان اعمال السلطان كانت كثيرة ومنها انه شيد الكثير من العمارات والتكايا وخصص للمريدين والمرابطين فيها مايسد بحاجتهم من طعام وغيره ، وشيد جامعاً في بروسة ومدرسة وداراً للضيافة . وكانت ولادته سنة ٧٣٦ وجلس على العرش سنة ٧٦١ ومدة خلافته ٣١ سنة ومات عن عمر ٦٥ سنة .

وقد تولى الخلافة بعده ابنه ييلديرم بايزيد خان وتقدم اليه الوزراء وأركان الدولة ورجال الدين للتهنئة .

اما فتوحاته فكما يأتي . فتح بلدة لاس وقلعة طوزله واسكوب وجتروز ودانة وودين ووارنه وإلا شهر وايدين ايلي وبلدة وصاروخان وبلدة منتشا وبلدة تكة ايلي وقلعة ازوينق ونيكبولي وسلستره ودولة قره حصار وقونية واق شهر ونيكدة واق سراي ، ومعظم مدن القرم ولارنده واماسية وتوقاد وسيواس وقيصرية وقسطموني وعثمان جق وجانيك وصاكصون وسلانيك وروم ايلي ويكيشهر وما يليها من النواحي والقلاع وقلعه شبلي وجزيرة موره وترحالة وچانقري واتنه وقره فزيه وبهسنى زملاطية وديوربكى ودرندة وكماخ وغيرها وفى كل غزوة كان مؤيداً منصورا .

ثم انقذ بعد ذلك بغداد وتبريز من حكامها السلطان احمد الجلائري وقره يوسف وحاكم اذربايجان حيث لجأ هؤلاء كلهم اليه لانقاذهم من تيمور وقد اصطدم به بالقرب من انقرة .

وبعد قتال عنيف سالت فيه الدماء كالانهار اضطرب فيه جيش السلطان بسبب انحياز بعض الاتراك من عديمي الادراك نحو التاتار

أبناء عمومتهم واضطر السلطان الى التوقف عن مواصلة القتال لبضعة أشهر ثم لما عزم على تجديد القتال حال مرضه دون ذلك وبأمر من الاطباء نقل إلى اق شهر للاستجمام والتداوي ولكن هذه الترتيبات والمعالجات لم تجد نفعاً وارتحل إلى دار البقاء .

لقـــد كانت ولادته سنة ٧٦٠ وارتقى العرش سنة ٧٩١ وتوفى سنة ٨٠٥ وتولى العرش بعده ابنه السلطان محمد خان الچلبي وكانت راياته منصورة أينما اتجه واحبط الكثير من هجمات الاعداء ، وظل مدة في خصام مع الامراء الذين يطمعون في تولي الخلافة ، ثم انتقل نحو ادرنة وكانت فتوحاته كما يأتي :

الاول

قلعة اسكلب وسورى حصارى وقير شهر وسكسار واق شهر ويكى شهر وسيدى شهر واوغازي واوقلق حصارى وسعيد ايلي وسودار وطوسيه وكانفرى وباقر كرمسى وقله جك وقلقين المسماة صامعون وهركه واسكى كلبير وطاروحي واقام الكثير من المساجد والمدارس وخصص مبالغ من وارادات الاوقاف على فقراء الحرمين المحترمين تدفع لهم شهرياً ، وبعد مكوثه في أدرنة دار النصر والاقبال مدة تمرض ولازم الفراش ثم اسلم روحه الى باريها وانتقل الى الدار الآخره .

وكانت ولادته سنة ٧٩٢ وارتقى العرش سنة ٨١٦ وحكم ثماني سنوات وتوفي عن عمر بلغ ٣٢ سنة وانتقل العروش بعده الى ابنـــه السلطان مراد خان وبتأييد الله فتح منتشاً وبلدة ازمير وبلدة صاروخان وبلدة حميد ايلى وقلعة الاجه حصار وبلدة روم ايلى وقلعة قوچه قياس وبلدة جانيك واستولى على كرمان وفتح بلدة جان امراس وقلعة كوكر جنلك وقلعة باطنه وقلعه سلانيك وقونيه واق شهر وبك شهر ونوايرده وسمندره وكرمه وموره واقچه حصار وقوچه جق وانا بولى .

الثاني

وبعد مدة قضاها بالفتوحات وبتنظيم أمور الأمه قضى نحبه سنة ٨٤٧ وتولى بعده ابنه الشاهزاده السلطان محمد وارتقى العرش وعمره ١٤ سنة ولكنه اعتزل واقام في مغنيسا للتداوى مما الم به من اختلال في الدماغ ، ولكي لا ينتهز الاعداء غياب السلطان فقد جيء به واقيم على كرسي الحكم بمعونة امراء دولته ثم انتقل الى دار البقاء سنة ٨٥٣ وكانت ولادته سنة ٨٠٦ ونصب خليفة سنه ٨٢٤ ومدة حكمه ثلاثون سنة وبلغ من العمر ٤٩ سنة .

ثم تولى الحكم بعده محمد خان الغازى بن السلطان مراد خان الذي بدأ يفكر في احتلال استانبول منذ توليه السلطنة وفي بداية سنة ٨٥٦ رفع راياته وخرج بجيوشه متوكلاً على الله واستمر يضيق الخناق على الاعداء براً وبحراً مدة ٦٥ يوماً وجيوشه تهاجم ببسالة وشجاعة دون انقطاع حتى شهر جمادى الآخر من سنة ٨٥٧ وهنا لاحت لهم تباشير الظفر وانتصرت جيوش المسلمين على الكافرين واحتلوا البلدة ودخلوها فاتحين .

وما عدا هذا فقد فتح قلعة سلوري وتوم بورغوس وسوريجه حصار وما حولها من القـــلاع واينوز وطاش اوزى ونوا بردى وبلدة لاس ودربيجه وباف ورضا وادمول وصوه وكروجه وبحورى وفلكه والقلاع التي على سمتها واماصره الواقعة على شاطىء البحر الاسود وبرانجه وسمندره وكوكر جنلك وسينوب وباقر كرس وسائر مدن وقلاع اسفنديار وطرابزون وقويونلي حصار وجزيرة مدللو واوقچه وبايحبسه واورجاني وبوبجه كمركه وهذه الثلاث من توابع بوسنه وكذلك سائر مدن بوسنه وبلدة قواج ايلى وبلدة بولي ايلي وهرسك واق شهر وايلقين بازارى ويكي شهر في القرم وصيقلان حصاري وفتح جزيرة موره مرة ثانية وموري

وسيراط والبصان .

وفي الاناضول قلعـة بلدين وبلدة ارنود وقونيـه وكواله ولارنده وجزيرة اغري بوز وقزل حصاري ولواديه واق سراي وعلانيه وسلفكة موتره وقره حصـار الواقعـــة شرقي كشين وارمناك وميثان وروه لو قره حصار وكفه وبابو كرمه وازاق واقچه حصـار واسكندرية في بلدة ارنود وكولباش ودرغوس وقالشو اوجى المتصلة بالاسكندرية ويوديه وموته بالقرب من ارزنجان ، وعمت خيراته الكثيرة وانتشرت أفعاله الجميلة وبعد تمتعه بالعرش انتقل الى رحمة الله سنة ٨٨٦ وكانت ولادته سنة ٨٣٣ وارتقى العرش سنة ٨٥٥ ومـدة سلطنته ٣٦ سنة وتوفى عن عمر بلغ ٥٣ سنة .

لقد توفى ابو الفتح السلطان محمد خان اثناء سفره وقد اظهرت قوات الانكشارية العصيان والخلاف ولكن وارث العرش السلطان بايزيد خان الثاني تمكن من تهدئة الحالة والقضاء على الفتنة ثم واصل سفره الى مقر السلطنة واجلس على العرش بمعاونة أمراء الدولة .

وقد بذل جهداً في تنظيم أمور الدولة ثم تنـازل لابنه السلطان احمد واختار العزلة وبعده الى سليم خان تحت ولاية السلطان بايزيد وقـــد قيل انه توفى مسموماً اثناء سفره إلى ديمتوقة وذلك سنة ٩١٨ وكانت ولادته سنة ٨٥١ وارتقى العرش سنة ٨٨٦ ومدة سلطنته ٣٢ سنة وبلغ من العمر ٦٧ سنة وبذلك أصبح السلطان سليم خان هو السلطان المطلق .

لقد سبق ان ذكرنا انه بعـد انخدال الشـاه اسماعيل امام آخر ملوك الجراكسة في مصر وهو الملك الأشرف قانصو غورى سـنة ٩٢٢ عسكر في اطراف حلب وفي مكان يسمى دابق حيث توفى قانصوه الغورى

هناك وبوفاته انتهت سلطنة الجراكسة وعندئذ تقـــدم السلطان سليم الخاقان وفتح حلبا والشام ومصر وتشرف بتولي خلافة الحرمين الشريفين .

اما فتوحاته فهي قلعـــة بايبورد وكيفى وكماخ وامدو وماردين والرها وسائر قلاع ديار بكر والموصل وسنجار وسورك وبيره جك وحلب واطرافها وانطاكية وملاطية ديهسني وخشاب وحما وحمص وبلدة الشام واطرافها وطرابلس الشام وبعلبك والقدس والرملة وغزة وصفد ولجون وقاقون واطراف مصر القاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة شرفهمـا الله تعالى والاسكندرية ودمياط ثم توفى سنة ٩٢٦ وكانت ولادته سنة ٨٧٥ وجلوسه سنة ٩١٨ ومـدة سلطنته تسع سنين وعمره ٥١ سنة ودفن في مقنيسيا .

وتولى بعده السلطان سليمان خان ومن فتوحاته بكور دلن وزمين وسلنقمة وايرشوه وبلغراد وردوس واستانكوي وبودين ولندرس وسوبتال وهروارين واقرسك وايلوق وصوبين ودلنواز ودوار وراجـه واغمورجه ورخاص وبرقوقچه وبوكار وپنجه وكمروخي وبشته وبدهن وسكدين وباينجه وسيود وسينا وبانقوه وقمنى وبلك خاص ويتاق حصارى وكسل وفيونى وبالكسر وقمندوار وبابروجه وسلوار ويزدينجه ودرافات وشوزيل وپيونداق وقرون واخلاط وارمن في الاناضول وعادل جواز واختمـان وسلطان وارجيش داونيك وسنجان وقره بغدان وروم ايلي ودشوه وواليوه ومشغلورش وپچوي واوسترغون ومشوار وتاتا واستوني بلغراد ووان وطمشوار وپارفان وسكتوار وكوله .

وبعد تعقيبه الكفرة وتوسيع بلاد الاسلام فان شاه العجم ايضاً قد انقاد له وكذلك الشان مع حاكم اذربايجان المسمى تكلو اولامه بك الذي ابدى رغبته في اجتياح البلاد الايرانية ، كما سبق ان ذكرنا ان

حاكم بغـــداد الامير ذا الفقار فانه هو الآخر انقاد اليه وخضع له ولكن الشاه طهماسب استولى على بغداد وقتل ذا الفقار ودمر البلد .

ولما سمع السلطان ذلك اتخذ التدابير اللازمة واستعد للسفر إلى هناك في شهر ربيع الأخر من سنة ٩٤٠ وأوعز الى الوزير الأعظم ابراهيم باشا ان يتقدم قبله نحو حلب وسافر هو في الربيع إلى تبريز واستولى في تقدمه على اخلاط وعادل جواز ولاسكان وارجيش ثم اسعد آباد وفي تبريز تقابل مع القزلباش وهزمهم وواصل سفره نحو مقر الشاه متوكلاً على الله وبعد قطعه المنازل والمراحل وتلال اذربايجان وصل إلى الحدود والناس يستقبلونه بحفاوة في كل مكان والتحق بركابه السردار الاكرم بايوس .

ولما اقترب من مقر الشاه التحم بقواته ولكنها لم تتمكن من الثبـات فأخـذ الشاه يراوغه ويحاربه تارة ويفر بوجهـه تارة أخرى لغرض التعجيز ، ولما وصلت أخبار الحرب إلى بغداد أصاب حاكمها تكلو محمد خان مرض الخفقـان وبقى في حيرة من أمره ، ومما زاد في اضطرابه اقتراب ابراهيم باشا من مدينة الموصل والتحاق اولامه بك به بعدما جمع حوله رجال قبيلته ووجه كتباً الى بغداد يطلب فيها من محمد خان ان يسلم البلدة وله الامان وصار يتهدده تارة ويستميله تارة أخرى ولكن الخان المذكور لم يلتفت اليه واستعد للقتال .

وفي هذه الاثناء وصل بغداد تكلو بن الغزالي موفداً من قبل الشاه ليخبره بمقدم السلطان على رأس قواته ليتخذ الحيطة منه وراح يفكر في الهروب نحو ايران لينقذ نفسه وكتب الى الشاه يعلمه بالحالة ويستنجد به وأراد ان يرسل الجواب بيد احد افراد قبيلة تكلو ولكنه عدل عن ذلك وجمع من أتباعه الف رجـل بقصد الفرار إلى مقر الشـاه إذا

اقتضى الأمر .

وفي هذه الاثناء اقتربت قوات السلطان من خانقين ولما رأى الحالة قد بلغت الى هذا الحد من الحراجة وانه لا يقوى على الدفاع لا سيما وان الأهلين يميلون للسلطان استصحب جماعته وخرج من البلد ولكن تصدت له قوة من فرقة تكلو بما يقارب الثلاثة الاف رجل وسدت عليه الطريق فاتخذ كل من الجهتين مواقع للقتال في رأس الجسر قرب المدرسة المستنصرية .

إلا ان السيد محمد كمونة حال بينهما ولما رأى ان فرقة تكلو ضده وضد الشاه ندم على عدم التنكيل بهم في حينه وأخيراً اتفق كل من وجهاء بغداد والفرقة المذكورة على ارسال مفاتيح بغداد الى السلطان سليمان خان بالسرعة الممكنة ولما رأى الخان انه غلب على امره عبر الجسر هو واتباعه وانحدرر نحوالبصرة ومن هناك واصل سفره الى مقر الشاه .

ولما سمع السردار ابراهيم باشا اسرع في المجيء إلى بغـــدد ودخلها وبعد يومين شرفها السلطان وضمها الى الممالك العثمانية وازال الظلم عن أهل السنة وكان هذا الفتح سنة ٩٤١ وقد مكث السلطان في بغداد مـــدة ستة اشهر زار خلالها الحلة وشهربان ولورستان وواسط والجزائر والبصرة والقطيف وعين راشداً حاكماً على البصرة وقدم الامير مانع فروض الطاعة والولاء للسلطان .

وفي سنة ٩٤٥ عرض حاكم البصرة راشـد بن مغامس ومانع بن راشد والامير محمد مفاتيح القلاع التي تحت امرتهم إلى السلطان فكان عملهم هذا مدعاة لسروره .

چو افتاب برآمد زشرف اقبال غراب شب

بهريمه كشادهم پرو بال

وقد زينت بلدة بغداد واقامت معالم الافراح مدة وجوده فيها .
وقد زار قصبة الاعظمية واصدر أمره الى الجنود بعدم التعرض بالاهلين ومنعهم منعاً باتاً من الاضرار بهم . ونشر لواء العدل والآمن فى طول البلاد وعرضها ، وقد مدحه الشاعر المشهور فضولي البغدادي بقوله :

ايد اللهم فى الافاق امن المسلمين
بادوام دولت پاينده سلطان دين
نور اللهم مصباح البقـــا
باثبات حشمت شاهنشه روى زمين
خلد اللهم سلطاناً به باها الزمان
شهر زفيض او قضاى ملك فردوس برين

وله بيت معمى باسم السلطان سليمان خان وهو :
شريعة هست كنجى فيض عامش خلق را شامل طلسمى كشت بهر حفظ ان سلطان در يادل .

وقد زار الباد شاه أيضاً العتبات المقدسة وزار مرقد الامام الأعظم (رض) وعمر ضريحه وعمر بعض الأمكنة وانعم على الخدم وخصص له الأوقاف الوافرة . وزار أيضاً مرقدي الامامين الكريمين حضرة موسى الكاظم ومحمد الجواد وعين لخدمهما رواتب من خزينة بغداد وأتم الأبنية التي كان قد بدأ بها الشاه اسماعيل وتركها قبل انجازها ووسع الجامع وفي الثامن والعشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة سافر أيضاً الى كربلاء والنجف الاشرف وحضي بالمثول بين يدى حضرة سيد الشهداء وامر بشق نهر كبير من الفرات وأوصله الى كربلا وجعلها كالفردوس الأمر الذي زاد في محصولاتها واثمار اشجارها وانعم على الخدمة والسكان كما وأنعم على ساكني دار السلام فكان الجميع السنة شكر وثناءللسلطان

سليمان ولمقدمه الميمون .

ومما ذكره المؤرخون ان المهندسين وذوي الخبرة كانوا قد قرروا بعدم امكان ايصال الماء الى قصبة كربلا من نهر الفرات ، ولكن بكرامة الامام الهمام ويمن اقبال السلطان جرى النهر وانكشف كـذب أقوال أولئك الذين قرروا استحالة ذلك .

ثم هزه الشوق الى التبرك بأنوار الراقد في ارض النجف الاشرف والذي مدحه الرسول بقوله لا فتى إلا علي ، وبقوله يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى ، الحيدر الكرام كرم الله وجهه ، فتوجه إلى البلدة المذكورة وخضى بالزيارة وأنعم على الاهلين بالخيرات الوافرة ووصلهم واحسن اليهم ، فكانوا له من الشاكرين . ثم عطف عنانه وعاد الى دار السلام باليمن والاقبال .

وفي اليم الثاني عشر من شهر رمضان مـن السنة نفسها تحرك ركابه العالم نحو اذربايجان ، ولما اقترب من مقر الشاه توارى منه أيضاً بين الجبال فاستولى على تبريز بغير حرب ، وهناك تواردت عليه رسل الشاه تتوسط في عقــد الصلح وتضرعوا اليه فقبل التماسهم وعندئذ انطفأت شرارة الفتنة وهدأت العاصفة ، ثم تحرك موكبه نحو الروم .

وعندما كان السلطان في بغداد عرض عليه حاكم البصرة راشد ولائه وطاعته كما ذكرنا ولكنه نقض عهده بعدئذ واخلف وعده فأوعز الى وزيره اياس باشا بوجوب اتخاذ ما يقتض بحقه ، فجمع قواته وتحرك بها في بداية سنة ٩٥٣ وفي طريقه زار الروضة الرضية لفاتح خيبر وفى هذه الظروف رفع شيخ آل قشعم راية التمرد فمال عليه وقضى على فتنته ، ثم واصل سفره الى البصرة ، ولما التحم بقوات راشد لم تتمكن من الثبات أمامه وولت الأدبار فدخل البصرة منصوراً وشكر

الله على هذا الظفر وعده من الطاف الله الخفية ، وهناك انشغل بتنظيم شؤون البلدة وأعلن أهالي واسط والجزائر الخضوع والطاعة ، ثم انتقل من وظيفته فى بغداد وحل محله في هاد باشا ، وكان سلفه مطيعاً لأوامر الله وبعيداً عن الأطماع الدنيوية وكان الناس يذكرونه بهذه الصفات الحميدة ثم تولى بعده ابنه محمد باشا فى حكم هذه البلاد .

وفي سنة ٩٥٤ التجأ أخو طهماس القاص مرزا الى السلطان سليمان وطلب حمايته فقبله ورحب به وانعم عليه ، ولما عاد الى حرب ايران وتوجه الى هناك واقترب من مقر الشاه فر على عادتـــه نحو الجبال وتوارى عنه ، فاتخذ السلطان مدينة تبريز معسكراً له وراح من هناك يشن الغارات على الأمكنة التي تحت قبضة الشاه .

وقد استولى على وان وما جاورها ثم نقل معسكره الى أطراف وان وحاصر قلعتها الحصينة حتى رفع الأهلون راية الاستسلام فشملهم بلطفه واحسانه وصارت البلدة من ضمن ممتلكاته وعندئذ عاد الى مقر السلطنة .

سبق أن ذكرنا أن القاص مرزا كان قد التجأ الى السلطان وبقى تحت حمايته ولما عاد السلطان تقدم اليه ملتمساً أن يسمح له بالسكنى في بغداد فلم يمانعه ، وبعد اقامته فيها مدة قصيرة انحرف عن الطريق المستقيم وخلع طاعة السلطان وفر نحو جبال كردستان ولكنه وقع في قبضه اخيه طهماس .

وفي سنة ٩٥٦ هجرية على صاحبها أفضل التحيـــة ثار الأعراب القاطنين فى البصرة وماجاورها وراحوا يقطعون الطرق ويشنون الغارات هنا وهناك حتى وصلت أخبارهم الى الاستانة ، فصدرت الأوامر الى محافظ بغداد على باشا ليتولى قيادة العســاكر الذين سيتواردون اليه ،

كما وصدرت الأوامر الى ميرميران سيواس البلطه جي محمد باشا ليتولى قيادة الانكشاريين ويسافر لمعاونة علي باشا ، كل واحد من جهة لاخضاع الاعراب الثائرين ، وتحركت الجيوش نحوهم براً وبحراً بعد تجهيزهم بكل ما يحتاجونه من أسلحة وغيرها حتى وصلوا واسطاً وعسكروا فيها فاستقبلهم علي بك آمر البلدة المذكورة بالاجلال والتكريم واصطحبهم نحو الجهة المقصودة ووصلت سفنهم الى الجزائر وكان حاكمها يسمى عليـان ، وسرت الرهبة الى قلوب السكان والاطراف ولاسيما سكان المدينة ثم اصطدموا بالاعراب الثائرين وقامت بينهما الحرب على قـدم وساق ثم هبت نسائم الظفر بوجه العساكر التي اطبقت على الاعراب فمزقتهم وشتت جموعهم والحقت بهم خسائر جمة .

ولكن الأعراب اعادوا الكرة ليلاً وهجموا على المعسكر وفي هذه المرة صاروا هدفاً لنيران المدفعية والبنادق ومع ذلك عاودوا الهجوم في اليوم الثاني وبعد حرب ضروس تفرق جمعهم وولوا الأدبار .

وفي سنة ٩٥٧ اذعنوا للامر الواقع وأعلنوا الخضوع والاستسلام ، غير أن الأعراب القاطنين في الأطراف بقوا على تمردهم وعصيانهم ولما سار العسكر نحوهم وجدوهم قد تحصنوا ببعض القلاع التي أحكموا تحصينها لمثل هذا اليوم وعندئذ لم ير القائد فائدة من تعقيبهم واضطر الى العودة نحو بغداد .

ثم انفصل المومأ اليه وحل محله بهرام باشا حاكماً على بغداد وهذا قد غلبه هواه وكان مرتشياً وطماعاً أكثر من غيره ، الأمر الذي حمل الأهلين على الثورة ضده وأخيراً أعيد علي باشا الى منصبه محافظاً على بغـــداد .

هذا وعندما كان السلطان سليمان خان يتقدم نحو بغداد واقترب

من بلدة شهر زور أعلن حاكمها المسمى بكه خضوعه وولائه ولأجل تأكيد حبه وطاعته أرسل الى السلطان ابنه مأمون بك ليبقى رهينة عنده ولكن السلطان سلمه الى والي بغداد سليمان پاشا ، وتقدم مأمون بك في وظائف الدولة الى أن أصبح مير لواء على الحلة ثم أحيل على التقاعد .

وعلى هذا فان مدينة شهر زور اعتبرت في عداد الممالك السلطانية ، وهذه البلدة من أشر القلاع القوية لأن الجبال تحيط بها من كل جوانبها كما وان طرقها ومسالكها وعرة ويتعذر الوصول اليها على من يرومها ، وكل أهاليها داخلاً من الأكراد غير المتحضرين .

وفي سنة ٩٥٩ ثار في شهر زور بعض عشائر الأكراد الطائشين والقزلباش واستولوا عليها وأمضوا في ايذاء سكانها وخاصة الضعفاء منهم ، ولما علم والي بغداد علي باشا أخبر الدولة العليه فأوعزت الى ميرميران سيواس السابق محمد باشا بالسفر الى تلك الجهة وكذلك أوعزت الى ميرميران حلب عثمان باشا ليتولى قيادة جماعة من عساكر الانكشارية واتجهوا كلهم الى شهر زور لانقاذ البلدة المذكورة ففعلوا وبعدما استقرت بها الأوضاع عاد كل الى المكان الذين جاء منه .

أما محمد باشا فقد واصل سفره الى بغداد وجمع منها مقداراً من المدافع ومعدات الحرب وسافر ليلتحق بعثمان باشا الذين تأخر هناك . فلما صار بالقرب من شهرزور التقيا هناك وانظم اليهما عسكر بغداد الشجعان وأمراء الأكراد الحكوميين الذين رفع كل رئيس منهم رايته وساروا مع أتباعهم لمطاردة فلول المتمردين الذين عادوا واستولوا على البلدة المذكورة واصلوهم ناراً حامية .

وبعد كر وفر واخذ ورد واستعملوا كل ما معهم من مدافع وعتاد

وبنادق انجلت امـام أعينهم مرآة الظفر ، وبينما كان قائد المتمردين يقابل النار بالنار من حصنه اذ أصيب وسقط ميتاً وتمزقت قواته وصارت كبنات نعش وسلم الباقي أنفسهم إلى قائد جيش الحكومة .

وقد عرض محمد باشا والي بغـداد تفاصيل هذه المعركة الى مقر السلطنة فانعمت عليه بقلادة الپاشوية وبرتبة سپهسالار ، وعينت بمكانه المير لواء الرحبة سهيل بك قائمقاماً للوالي في بغداد وأرسلته الى شهرزور للقضاء قضاءاً تاماً على فلول المتمردين في تلك الجهات ، وقـــد سافر ونصب خيامه في مكان يسمى كسك چنار .

وبعد بضعة أيام اتفق هو وبعض امراء الاكراد مثل بكر بك الپير وولي بك على توجيه كتب الى رؤساء العصـاة ينصحونهم ويرغبونهم في تسليم أنفسهم الى القيادة او الى حاكم شهرزور سرحاب .

أما سرحاب فقد كانت قوات الروم قـــد اسرت في حينه حرمه ولكن القائد العفيف امر باعادتها الى زوجها سرحاب حسب رغبتها وتجاه هذا الاحسان رضخ سرحاب للتسليم وطلب العفو واخرج أمواله وارزاقه التي كانت مخبؤة في حصنه وقدمهـا مـع ولائه الى الجيش وتم الصلح معه .

وفي سنة ٩٦١ خضعت شهرزور وتوابعها جميعاً للدولة العلية ومن جملة هذه التوابع قلعة هاور وقلعة نقرد وقلعة پاسكه وقلعة شميران وقلعـة فرنجه . وكذلك أعلن كل من امراء سرخ سران اوغورلو بك والامير السـابق سرحاب بك مـع سكان الفي بيت من أتباعه ولائهم وقبلوا بتبعية الدولة العليـة وسلم كل من حاكم ديانة مير محمـد بك وسيف بك ودستان بك ويوسف بك وبروج بك وبوداق بك واورخان بك وجهانشاه بك مفاتيح قراهم وقلاعهم الى قائد الجيش العثماني وانضووا

تحت رايته .

وتم تعيين مقدار كان من العساكر لحماية بلدةشهرزور وسافر ولي بك الميرلواء نحو جهة همدان اذ كان السلطان في بادية نخجوان في تلك الاثناء يلقى الرعب هنا وهناك ثم عاد ركابه العالي الى مقر السلطنة .

وبعد عودته أخذ الشاه طهماس يفكر في الهجوم على بغداد ، ولما علم البادشاه بما ينتويه الشاه عاد الى بغداد مسرعاً لاتخاذ الاحتياطات اللازمة ثم عهدت حكومة بغداد الى خضر باشا المشهور بالعفة ونضافة اليد ولكن اسكندر باشا توسط له ونقله سرداراً الى البصرة وسنذكر بعدئذ تفاصيل خدماته الطيبة في تلك الجهات .

اما السلطان سليمان خان فقد أدركه الهرم والهزال ومع ذلك فان امامه ثلاث غزوات كان ينوي القيام بها وفعلاً تحرك ركابه العالي متجهاً نحو قلعة سكتوار وهناك اقعده المرض مدة واصل تقدمه بعدها وفي ليلة الفتح قضى نحبه ، وكانت ولادته سنة ٩٠٠ وجلوسه سنة ٩٢٦ ومدة سلطنته ٤٨ سنة وبلغ من العمر ٧٤ سنة .

ان حادثة موته قد احدثت دوياً في الأوساط ولكي لا يقع مايعكر صفو الامن والهدوء فان الوزير الصدر الاعظم محمد باشا قد أخفى نبأ وفاته ثم ارسل الى الشاهزاده الشاب السلطان سليم خان يخبره بالحادث وارسل اليه الشعار العباسي والعمامة التي يلبسها الخلفاء ويعلمه بأنه في انتظار مقدمه الميمون ، والهى الجيش بما يشغله عن هذه الحادثة .

وعلى اثر استلام السلطان سليم هذه الرسالة تحرك ركابه نحو المعسكر المظفر ، وعند وصوله شاهد جثمان السلطان الراحل مسجى لم يدفن بعد فتقدم للصلاة عليه هو والامراء وبعد ذلك اذن بنقله الى مقره الأخير ، ولما وصلوا استانبول حف بالجنازة جمع غفير واعيدت

سليم الثاني

الصلاة عليه ثم جرت مراسيم دفنه .

لقد سبق ان بينا ان ابن عليان كان قد عرض ولائه للسلطان وانه وضع تحت تصرفه معظم اقربائه وعشائره القاطنين في أطراف البصرة وقد علم ان بعض هؤلاء الذين يقيمون في اطراف بغداد وبعض الجهات التابعة للبصرة أخذوا يرفعون اصواتهم بالتشكي والتظلم من سوء معاملات حكامهم ويتذمرون من تكاليفهم الشاقة التي هي فوق طاقتهم وامكانيتهم ثم تمردوا عليهم وأعلنوا العصيان وذلك سنة ٩٧٥ وبعدما تجمعوا راحوا يتحرشون ببعض سكان المدن ويلحقون بهم الاضرار .

ولما وصلت أخبارهم إلى مسامع السلطان سليمان امر بتجهيز حملة عليهم قوامها الفا انكشاري بقيادة بكلربكي بغداد اسكندر باشا مع المعدات الكافية من المدافع والعربات وأدوات الحرب ، واوعز الى امراء شهرزور والبصرة ورؤساء عشائر الاكراد ومن يتبعهم ممن يقدر على حمل السلاح فامتثلوا الاوامر وتحركوا نحو الجهة المقصودة ، ولما التقوا بالمتمردين فرقوهم واوقعوا بهم قتلاً ونهباً حتى أجلوهم عن مواقعهم ، وبنوا لهم قلاعاً وحصونا بالقرب من الجزائر والاسكندرية وقر رأيهم على أن يعسكروا هناك .

ثم أمر السلطان باعهاد حكم بغداد الى مراد باشا وهذا عندما تولى الحكم قام ببعض الاصلاحات ومنها تشييده الجامع الكائن في الميدان وقد مدحه على ذلك فضلي بن الشاعر المعروف فضولي بخطبة بليغة مدحه بها ومدح السلطان سليم وهذا نصها :

« تاريخ جامع سلطان جوان بخت سليم اول سنه عادل كم دو كهنك خادميدر چرخ معلى اول سرور اسلام خداوند عالك دارى عبادت كه دين وملجأ دنيا بغداده براهل كرمى ايلدى والى كم قلدى اتوك

همتی بو مسجد انشا پاشای فلك قدر مراد اولکه ازلدن لطف انیمش اکاعز وعلا حضرة مولی فضلی دیدی بو مسجدایچون صد قلمه تاریخ کل مسجده‌ای پاك مراد ایله تمنی » .

ثم عهدت ولاية بغداد الى صوفي علي باشا ثم عهدت الى بثور حسن باشا وكانت سياسته طيبه وقد منع البدع والمنكر وجمع بين المتخاصمين وكان الناس يذكرونه بالخير ، ثم تعين بعده عبد الرحمن باشا وهذا كان معروفاً بالشدة والبطش والخشونة والناس يسمونه عدو الرحمن ، وبعد وفاته عين للولاية درويش علي باشا نقلاً من حاكمية الحسا والبصرة وهذا أيضاً توفى في بغداد ؛

أما السلطان فانه بعد غزواته التي كان فيها المؤيد المنصور أصيب بمرض السرسام وانتقل الى الدار الآخرة ، وكانت ولادته سنة ٩٣٠ وجلوسه سنة ٩٧٤ ومدة سلطنته ثماني سنوات عن عمر بلغ الاثنين والخمسين .

وبعد إنتقاله تولى السلطنة خلفه السلطان مراد خان وكان آنذاك يسكن في مغنيسيا . مراد الثالث

وفي سنة ٩٨٤ مات الشاه طهماس مسموعاً وخلفه إبنه إسماعيل مرزا الذي كان سجيناً في قلعة الموت ، وفي هذه الايام صدرت الارادة الهمايونية بتعيين علي باشا الوند والياً على بغداد وبأمر من السلطان شيد ضريح سيد شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وكذلك شيد المسجد والرواق والقبة وعمر أيضاً قباب شهداء كربلا ، ومن جملة أقوال بعض الشعراء في مدح السلطان والوالي قول بعضهم :

بحمد الله كه ازغون الهى نخوده خدمت شاه شهيدان شه كشورستان خاقان أعظم مراد بن سليم بن سليمان بنا كرد ابن مكان عرش اساكه تاكرده ملك روى ثناخوان بسعى كامل والى بغداد على پاشا ابن الوند زيشان ضعيف سال تاريخش رقمزدا زان مرقد يكى ميكرد نقصان كه ناكه هاتف غيب اين نداداد كه اى مانده زكار خويش خيران بنه شمعى بران مرقد كه بابى مراد از مرقد پاك شهيدان سنة ٩٩١ تاريخ جامع ثانى كعب مسجد جابر سنة ٩٨٤ وتاريخ منـاره انكشت يار سنة ٩٨٢ » .

ثم شيد جـامع القطب الرباني الشيخ عبـد القـادر الكيـلاني (قدس سره) .

وفي سنة ٩٩٥ تم تعيين الوزير المكرم يوسف باشـا جغاله زاده والياً على بغداد وتمكن من استرداد چم جمال من الاعجام وقلعتين من القلاع المحيطة بها .

وفي السنة الثانية استولى على دسغول ثم كامران واتجه نحو نهاوند وتمكن من فتحها خلال شهر ، وبعدما استقرت الامور عين فيها كتخداه محمد باشا حاكماً عليها ثم توجه نحو همدان وبعد انتصاره على جماعة القزلباش عاد إلى مقره .

وقد وردت الاخبار بأن الشاه اسماعيل مرزا ترك معتقدات الروافض واتبع معتقدات أهل السنة ومال اليهم ولكن بعض الغلات قتلوه بالسم وطارت روحه إلى باريها ، ولم يدم فى منصبه كشاه أكثر من سنة واحـدة وخلفه أخوه محمـد خدابنده . وفي سنة ٩٩٥ تمرض واعتزل وصار بمكانه ابنه عباس مرزا شاها على ايران .

وفي سنة ٩٩٩ تعين جغال زاده سنان باشا والياً على بغداد ، وبسبب

تحرشات القزلباش بقلعة نهاوند فقد اتخذ الاستعدادات اللازمة للسفر إلى ايران وعرض الامر على الدولة العلية ثم جمع قوة من شهرزور وبغداد وتوكل على العناية الالهية وسافر نحو الحدود وواصل تقدمه حتى تمكن من فتح نهاوند وعين لها حاكماً وحرساً لمحافظتها وتدبير شؤونها وترك لهم مقداراً كافياً من الاسلحة والعتاد ثم اخضع حكومة لورستان التي يحكمها شه وردي خان واسر حاكم همدان المسمى قورقمز خان وعاد مظفراً واخبر الاستانة بنتيجة أعماله بصورة مختصرة .

ومن آثاره الباقية في بغداد حتى الآن الخان المشهور باسم جغال زاده (١) والمقهى المجاورة له والأسواق التي حوله ، وقد مدحه الشعراء في ذلك الوقت على أعماله الكثيرة المفيدة للبلد ومنها المقهى التي شيدها والتي صارت مجمعاً للادباء والشعراء .

وبعد انفكاكه من الوظيفة سنة ١٠٠١ عين عوضه جعفر باشا الذي كان مقيماً في تبريز لمدة ثماني سنوات وله هناك أعمال مشهورة وحروب متواصلة مع القزلباش .

وفي سنة ١٠٠٣ مرض السلطان مراد خان ثم ارتحل الى دار البقاء وكانت ولادته سنة ٩٥٢ وتولى الحكم سنة ٩٨٢ وتوفى عن عمر خمسين سنة ومدة حكومته إحدى وعشرين سنة ، وقـــد دفن في مغنيسيا وتولى السلطنة بعده إبنه محمد خان . وبعده عين الوزير حسن باشا حاكما على بغداد .

ومن آثاره أنه في سنة ١٠٠٤ شيد الجامع المعروف باسم جامع

(١) كان يسمى في العهد الاخير باسم خان جغان وكان سوقاً للصاغة ثم دمر واقيم بمكانه سوقاً عصرياً للبزازين .

المترجم

حسن باشا وبعض العمارات في أطرافه ، ان الباشا المشار إليه كان معروفاً لدى رجال السلطنة بلياقته للاعمال التي نعهد اليه وبشجاعته وقابلياته .

ومن العجب أنه لما كان والياً على بغداد أقام داراً وحديقة بمبلغ يقـدر ما بين الأربعين والخمسين الف قرش وزينها وأحاطها بمختلف الاشجار من نارنج ورمان وغيرها وجعلها نزهة للناظرين .

أما السلطان محمد فانه على عادة آبائه وأجداده كان يكثر من الخروج للجهاد ولتفقد أحوال البلاد والعباد حتى توفاه الله .

وكانت ولادته سنة ٩٧٤ وتولى الحكم سنة ١٠٠٣ ومدة حكمه تسع سنوات وعمره بلغ ٣٩ سنة وأخلفه ابنه السلطان أحمد الذي في أيامه عين القائمقام السابق الوزير قاسم باشا والياً على بغداد ولكنه لم يقبل بهذا المنصب وذهب إلى بروسه الامر الذي أغضب السلطان عليه وازاله من الوجود .

الاول

وبعد ذلك عين مصطفى باشا الصارقچي على بغداد ولما تولاها سنة ١٠١٧ ثار محمد بن أحمد الطويل بسبب سوء إدارة الحكام وأخـذ يشن الغارة تلو الغارة على المدن الآمنة وازداد شره وتوسعت ثورته مما حمل الحكومة على ارسال والي ديا بكر الوزير نصوح باشا على رأس قوة تقدر بأكثر من أربعين ألف مقاتل للقضاء على الثورة ، ولما اقترب من بغداد تعرض له محمد الطويل وعاجله بشن الحرب عليه قبل أن يأخذ قسطه من الراحة مما أربك جيشه إذ هرب منه نتيجة للخيانة وهرب الباشا أيضاً فتعقبه الطويل حتى وصل بغداد واحتلها وإستولى على الحكم فيها .

وبعد مرور مدة تمكن محمد چلبي من ازاحته والقضاء عليه ونصب أخاه بمكان الوالي مصطفى ثم اجتمع محمود باشا آل جغال وآل قشعم

وسيد خان وسائر رؤساء عشائر الاكراد والاعراب وخلعوا الوالي ، ولكن في تلك الليلة ثار سكان بغداد وما فيها من عساكر وتجمهروا في السراج خانه مقابل القلعة الداخلية وحاصروا مصطفى باشا .

غير ان محمود باشا تدارك الامر وتمكن هو ورجاله الشجعان من فك الحصار وانقاذ مصطفى باشا ومن معه من المحصورين الذين بلغ عددهم العشرين ألفاً وسير الباشا نحو الحلة ثم تمكن من تشتيت الثائرين وتطهير البلدة من الشقاة وأعاد إليها الهدوء والنظام وسوق السراجين الموجودة من آثاره .

وفي سنة ١٠١٩ عين علي باشا القاض آمر روم أيلي والياً على بغداد ثم دلاور باشا وحافظ أحمد باشا وغيرهم وكان آخرهم يوسف باشا

وفي سنة ١٠٢٦ توفى السلطان احمد ، وكانت ولادته ٩٩٨ وجلوسه ١٠١٢ وتولى الخلافة بعده السلطان مصطفى ولكنه اختار العزلة بعد مدة قصيرة وترك السلطنة .

وفى سنة ١٠٢٧ تولى الخلافة بعده أحد أبناء عمه وهو السلطان عثمان ، وفي سنة ١٠٢٨ تولى الحكم في بغداد أحد الانكشارية المسمى بكر برتبة صوباشي ثم ارتقى وصار برتبة اغا ، واذ ورد في الآيـة الكريمة « إن الانسان ليطغى » فان المومأ اليه طغى وأخذه الغرور وتعاظم وتجبر ونسى قوله تعالى « سنستدرجهم من حيث لا يشعرون » وصار مذموماً بكل لسان واشتط في تصرفاته وعين في مناصب الدولة أكثر أقاربه وأتباعه .

وفي سنة ١٠٣١ ثار بعض الأعراب بسبب جور الحكام وسوء ادارتهم وكان من الضروري اخماد الفتنة قبل إستفحالها غير أن الشقي المعروف باسم محمد جمع أتباعه وتقدم نحو البلد لاقتحامه وإحتلاله فتجمهر

الأهلون ومعهم العساكر وأعانهم عبد الله بن محمد قنبر الذي ذهب موفوداً الى الشقي المذكور للصلح ولما كان توسطه لم يؤد الى نتيجة عقدوا مجلساً للتشاور واجتمع في هذا المجلس الأعيان وبعض الرؤساء واتفقوا جميعهم على تنحية بكر وأتباعه واعادة الطمأنينة الى البلد ، فلما علم محمد بن الشقي المذكور وكتخداه عمر آثاروها حرباً عليهم وسرى لهيبها الى كل مكان حتى كثر القتل واشتدت الضائقة وصار سافلها عاليها وذكر الناس بالخير أيام هولاكو وضربت الفوضى أطنابها في البلد واختلط الحابل بالنابل واجتاحت الناس مجاعة مخيفة يعجز القلم عن وصفها ، وبلغت الحالة الى درجة اكل الفقراء أولادهم فيها من الجوع والقحط والخلاصة فان بكر الصوباشي تغلب على خصومه وأعلن استقلاله وانفصاله عن الدولة العثمانية أعاذنا الله والمسلمين من هذه الفتن وسلك بنا أحسن المسالك .

سفر السلطان عثمان للجهاد

لقد قرر السلطان عثمان وارث عرش الاسكندر وملك قيصر وأنو شروان على الخروج للجهاد كعادة آبائه وأجداده وذلك سنة ١٠٣٠ وأعلن هذه الرغبة على الناس ، وبعد اكمال الاستعدادات سافر ركابه الميمون نحو الجهة المقصودة وقطع المراحل والمنازل حتى إقترب من أعدائه . ثم هجم عليهم وفرق جموعهم وأسر الكثير من جنودهم ، وبقي في جهاد وقتال مدة أكثر من أربعين يوماً ترك قتلاهم طعمة للسباع والوحوش والطيور ودمر الكثير من بلادهم حتى جعلها خراباً ينعب فيها البوم والغربان .

ثم أن أتباعه ضجروا من الحرب وأخذ بعضهم يتنازع مع بعض حتى بلغت أقوالهم مسامع السلطان الذي اضطر بسبب ذلك على تلبية مطالبهم فى العودة الى الوطن قبل الفوز النهائي على الأعداء .

وهكذا عاد الى مقر السلطنة على أن يعود ثانية لمواصلة الجهاد ، ولكن الوضع لم يساعده على ذلك ، وعندئذ قرر القيام بحج بيت الله الحرام ، وسافر عن طريق الأناضول وقبل سفره أمر بغلق حانات الخمور وعاقب السفهاء والعاصين حتى صاروا يتمنون زوال حكمه لشدته عليهم ، وقرروا أن يعيدوا الحكم الى عمه السلطان مصطفى خان ، غير أنه أدركته المنية وتوفى في بلدة يدى قله وذاع خبر وفاته فى جميع البلاد ، كان السلطان المرحوم قد تولى ولاية العهد وعمره ١٣ سنة وتوج سلطاناً سنة ١٠٢٧ وارتحل الى دار البقاء سنة ١٠٣١ .

جلوس السلطان مراد خان الرابع

إن السلطان المومأ اليه وان كان قد تولى عرش السلطنة وقرئت الخطبة باسمه ولكنه لم يظهر ميلاً لتولي العرش وكان يميل الى العزلة والابتعاد عن مشاكل الحكم مما أثار بعض المغرضين والمتصيدين في الماء العكر وتبعهم في كل قطر مشاغبون .

وأخيراً إضطر رجال الدولة والعلماء الى إمهاد كرسي السلطنة مرة أخرى إلى السلطان مصطفى خان وجيء به من عزلته وأجلس على العرش وكان ذلك سنة ١٠٣٢ ونحي عنها إبن أخيه مراد خان الرابع .

مجيء حافظ احمد باشا إلى بغداد

عند جلوس مراد خان الرابع كانت بغداد دار السلام ما تزال تحت حكم بكر صوباشي الذي استقل فيها وقطع اتصاله بالدولة العثمانية ولكنه خوفاً من مغبة أعماله هذه اتصل بمحافظ ديار بكر الوزير حافظ أحمد باشا يلتمسه في التوسط له لدى رجال الدولة العلية لاعفائه عما جنته يداه . وانه سيكون تابعاً لها ويكف عن تصرفاته اذا هي عفت عنه وغفرت له وأبقته حاكماً على بغداد .

ولكن هذه التشبثات لم تثمر الثمرة المرجوه وظل في نظر الدولة خائناً ومستحقاً للعقاب ، وأصدرت أمرها الى سليمان باشا بتولي ولاية بغداد وتنفيذ هذا الأمر فوراً .

ولما وصل الباشا الجديد الى بغداد تردد بكر صوباشي في تسليم البلد اليه والتهب غروره وكبرياؤه وصار يختلق المعاذير ، ثم أوعز الى أصحابه وقواته بالتجمع والاستعداد للدفاع ، الأمر الذي حمل الوالي على طلب النجدة من ميرميران الموصل وكركوك وكردستان فتجمع من هؤلاء ما يقرب من العشرين الف مقاتل وساروا نحو بغداد ولما اقتربوا منها اتخذوا من يكيجه مقراً ومعسكراً لهم وضربوا الحصار على بغداد

أما الصوباشى فانه لما رأى ان الامر جد وان الوضع أصبح في خطر أوعز إلى قواته بتشديد حراسة القرى والنواحي المحيطة ببغداد وجعل تحت رئاسة كتخداه عمر حوالي السبعة أو الثمانية الاف مقاتل وأرسلهم الى الجانب الثاني ، ومرت قواته عصراً من باب السيف

متجهة نحو نهردياله وعبرت من شريعة صفوت وصارت وجهاً لوجه مع قوات سليمان باشا ، فقام هذا أيضاً وعين والى كركوك بستان باشا قائداً على ما يقرب من خمسة آلاف مقاتل لمقابلة القوات المتمردة ، ثم التحمت القوتان وسقط الباشا المشار اليه جريحاً وانخذلت قواته وعادت الى المعسكر .

وقد أحدث هذا النبأ صدى عميقاً من الرعب في قلوب جنود سليمان باشا في تلك الليلة حتى أنهم أخذوا يفكرون في الهروب وقت السحر .

أما الكتخدا عمر فقد سكر في خمرة الانتصار وبات في أحسن حال ، والنتيجة انكسرت عساكر الدولة ولم تتمكن من الثبات بوجه قوات بغداد ، كما وان قوات حافظ أحمد باشا أيضاً قد أحيط بها من كل جانب وانسدت بوجها منافذ الهروب ووقعت بها قوات بغداد قتلاً وأسراً بالرغم من صمودها ومقاومتها العنيفة ، وبلغت القتلى من الطرفين حوالي الثلاثة الاف وسبعمائة قتيل والفين وخمسمائة أسير وكان لسان حال الوزير يقول : أيها الفلك القيتني في زاوية لا منفذ لها ومع أني لم أجد لجرحي القديم علاجاً فقد تجدد لي جرح جديد فما هذا البلاء وما هذه المحنة التي أنا فيها .

وأخيراً عاد مع القوات التي بقيت على قيد الحياة الى قرية يكيجه التي كانت معسكراً له ولقواته .

أما بكر صوباشي فانه بعد هذا الانتصار ظل يتقلب على جمر من الهواجس والأفكار وما ينتظره من وخيم العواقب .

ارسال مفاتيح بغداد الى الشاه الايراني

لما رأى بكر صوباش انه أصبح معرضاً للعقاب أكثر من الأول وانه لا يوجد من يستعين به . فقد جمع اركان حكومته وعرض عليهم الحالة وما ينتظره من العواقب السيئة من الدولة العثمانية .

وبعد المداولة والأخذ والرد تقرر أن يسلم مفاتيح بغداد إلى شاه ايران ، لانقاذ حياتهم من عقاب حافظ أحمد باشا الذي ولا شك سوف يعاود الكره ويجمع ما يحتاجه من قوات ويهجم بهم على بغداد ووضعوا هذا القرار موضع التنفيذ وأرسلوا المفاتيح إلى الشاه بيد أحدهم المسمى عباس وسيروه حالاً .

وكان شاه ايران في تلك الظروف قد عاد وشيكا من بلاد الهند وأقام في قندهار ، وهناك أدركه الرسول وسلمه المفاتيح ففرح الشاه بذلك وخلع عليه وقربه منه وأصدر أوامره إلى كل من حاكم لورستان حسين خان وحاكم اردلان أحمد خان واوشار خان وقاسم خان وحاكم همدان صفي قلي خان الذي نصبه قائداً عاما ، وأوعز اليهم بالتحرك فوراً إلى بغداد لمعاونة بكر صوباشي في محافظة بغداد ، فامتثلوا ما امروا به ووصلوا الى خانقين وعسكروا فيها ، ولما علم بهم حافظ احمد باشا ، قام فوراً باتخاذ الاستعدادات اللازمة لاعاقة تدفق هذه الجيوش وسد الطرق والممرات وشيد الاستحكامات لكي يحافظ على البقية الباقية من عسكره ويجعلهم في نجوة من التعرض للهلاك ،

ثم كتب الى بكر صوباشي يعلمه بأنه يعفوه من مغبة الأعمال التي قام بها ويعده بأنه سوف يحصل له فرماناً من الدولة العلية ببقائه

حاكماً على بغداد وكرر عليه نسيان الماضي على أن يتجهز حالاً لمحافظة البلد من أن تمتد اليه يد أجنبية ويبذل جهده لحمايته وحماية الدين والدولة قبل ان يتفاقم الخطر وعندئذ لابد من وقوع حرب عامة في جميع الاقطار يختل فيها وضع العالم ويصيب الدول الكثير من الانقلابات ويعم الخراب ، وختم كتابه بضرورة أخذ هذه الامور بنظر الاعتبار .

مجيء الشاه عباس الى بغداد

من عجائب المقدرات ان صفي قلي خان نهض من خانقين متجهاً نحو بغداد على حسب الخطة المرسومة ، ولما قرعت مسامع الصوباشي هذه الأخبار ندم كثيراً على ما فعله . ومع ذلك فقد أرسل عدداً من من رجاله لاستقبال تلك القوات بوصفهم ضيوفاً . وأوصى رجاله بأن يظهروا لهم البشاشة والمحبة .

ولما وصل الوفد انزلوهم في أطراف قره قيو وبقوا معهم هناك في ضيافتهم ثلاثة أيام كانوا خلالها موضع تبجيل وتقدير ، وقد أنعم عليهم القائد المومأ اليه بالهدايا ، ولما قدموا له الكتاب المشعر بأنهم أرسلوا لاستقبالهم كضيوف تملكه الغضب والحنق لانه لم يجيىء إلى هذه الديار ويتحمل المشاق ويتعرض للاخطار لمجرد النزهة والزيارة والضيافة ولذلك أسرع حالاً باخبار الشاه الذي كان قد تحرك من قندهار ووضع أثقاله في أصفهان وظل بانتظار ورود اخبار بغداد على أحر من الجمر .

فلما وصله الرسول وعلم ان بكرصوباشي قد اخلف وعده ونقض عهده أرسل اوامره فوراً الى حكام خراسان وكرجستان وكيلان ومازندران لجمع قواتهم والتحرك فوراً الى بغداد وماهي إلا أياماً وصلوا

بعدها الى بلدة الموصل .

أما بكر صوباشي فقد استعد هو أيضاً لمقابلتهم وردهم ولكن قوات قلي خان قد باغتته وعبروا نحو الجانب الغربي فأوعز الى قائد عسكره وكشخداه عمر بالسفر لايقاف تقدمهم ، فعبر الجسر نحو الجانب الغربي وتقابلت القوتان وبعد صدام عنيف لبضع ساعات انكسرت قوات بغداد وولت الأدبار ووقع في الاسر كل من الكتخدا عمر وحمزة أغا وبعض الرؤساء وسفروا الى الشاه ، وقد وصل الشاه أيضاً وعسكر في اطراف بغداد وشدد عليها الحصار ونصب عليها المدافع ووجه النيران نحو قصور بغداد وقلاعها وراح يصليها ناراً حامية وبغير هوادة .

وقبل هذا قلنا ان بغداد كانت في قحط شديد وغلاء فاحش حتى ان الواحد لا يستطيع الحصول على قوت يومه وان الجوع دفع بعض الآباء والامهات بذبح أبنائهم واكل لحومهم والعياذ بالله ، وكل واحد منهم كان لسان حاله يقول : ذهب الذين يعاش في اكنافهم ، وبقيت في خلف كجلد الاجرب .

اما بكر الصوباشي فقد فرغت مخازن تموينه ونفد عتاد عسكره وظهر عليه وعلى قواته الاعياء والضعف والخور وقد شاهده ابنه الكبير محمد في حالة يأس وذهول .

ولما حلت سنة ١٠٣٣ عجز بكر الصوباشي عن الدفاع عن بغداد وعجز عن مقابلة قوات الشاة والصمود امامها ولذلك أرسل إليه سفيراً يرجوه ايقاف القتال ويعرض عليه التسليم ، فأوعز الشاه حالاً إلى عيسى خان مع مقدار الف من القزلباش باحتلال بغداد ، وبهذا تم احتلالها واستولى على القلعة الداخلية بيسر وسهولة وفاجأ سكانها بتسليط النار عليهم وشرد أطفالهم ونسائهم وصار كل واحد منهم يصيح وانفساه

وكانما قامت القيامة ، وراحت جيوشه تقتل وتنهب ووقعوا بأهل السنة والجماعة قتلاً وفتكا وكان من جملة القتلى خادم السجادة نورى أفندي ومن سلم من القتل لم يسلم من التعذيب ، ثم أسروا بكر صوباشي واخاه عمر افندي ووضعوا القيد في أيديهما وسجنوهما مدة شهرين مع التعذيب ثم أعدما ، واعدموا قبلهما محمد قنبر وبعدئذ أعلنوا الامان وصدر العفو عن الآخرين وأطلقوا سراح المسجونين وقسموا الأرزاق على السكان وأكثرهم اختار الهجرة نحو بلاد الروم حتى ان والدي المرحوم أيضاً بعد اختفائه بضعة أيام ترك ماله وما يملكه وفارق هذه الديار بزي درويش ولم يصطحب معه سوى الوالدة .

وقد بقى في الحلة وكربلا مدة ثم طوى الليل والنهار قاطعاً البراري والقفار حتى بلغ مقر الوزير حافظ أحمد باشا والتحق به عند العودة إلى العراق لانقاذه ، وعند وصوله الى الحلة رحب به عارفوه وأقاموا له حفلة استقبال وأنشد الوالد امام الحاضرين قصيدته الغراء التي ذكر فيها ما أصابه وما لاقاه مطلعها :

كوسترر شاه معين ينه بر صورت حال
كه قيلور حيرت جان بخش دل دانش لال
كورورم قتلمه مشعر حركات غمزك نيه دك
تابو تأمل به نه در بو اهمال
اصف مدح شريفكه قيلوردم منسوخ
خيل شاهان سلف مدحتنى ليك مجال
ويرسه جور فلك شعبده بازكج
روكه قيلو بدرينى غايته زبون ويا مال
قنفى بر جورنى ياد ايليم أول غدارك

بر غدرنه أو لسعرن سخنم شاهد حـال

ايروب يار وديار مدن ايدوب أوامره

راه صحرا اره صالدى بنى بى زاد ونوال

هله بر بن بلورم چكير يجكم احوالى

بر دخى حاضر وقت أعنى خداى متعـال

عرضه دارا أو لمغله در كهكه كاتب صنع

بو قصيده م أدنى قلدى رقم حسب الحال

هذا وان القصيدة بكاملها موجودة في ديوانه وخلاصتها انه يصف حاله وما أصابه ولاقاه في سفرته وانه بعد مجيئه مع الباشا المشار اليه عاد ثانية إلى ديار الروم بعـدما ذاق آلآم الغربة وهناك وجـد الكثير من الأصدقاء من وزراء وامراء وظل يتسلى بهم ويقضي أوقاته معهم .

وعوداً على بدء نقول ان احتلال بغداد أدى إلى الكثير من الاضرار والتصرفات العدوانية ، وصار عزيز القوم ذليلاً وتركوا الكثير من الأولاد والبنات أيتاماً وأرامل بسبب قتل آبائهم ورجالهم أو بيعهم في المزاد وصاروا يتنقلون من يد الى يد وكثير منهم أخذوا إلى ديار ايران وتفرقوا في البلاد ، وتهدم الكثير من المدارس والمساجد .

وكان اعلان الشقي العصيـان سنة ١٠٢٨ حتى سنة ١٠٣٣ أهلك خلالها الحرث والنسل لمدة خمس سنوات ختمت بهذا التغلب المفاجيء ولم يكتف العـدو بهذا بل تحرك نحو الموصل واحتلها وعين لحكمها بالنيابة عنـه الشخص المسمى قاسم خان وتقـدم حتى احتل ديار بكر وماردين وكركوك وشهرزور وجعلها كلها تحت حكم احمد خان وبعدئذ عاد الى ايران ،

وبعد عودته قام كوجك احمد باشا حاكم ماردين بجمع قواته

وسار بوم لاحتلال الموصل ، ولما اقترب منها هرب حاكمها لعدم تمكنه من مقابلة قوات كوجك أحمد باشا وعندئذ دخلها منصوراً ولما سمع السلطان أنعم عليه وصار عنده من المقربين .

حكومة صفي قلي خان ومجيء الوزير

حافظ احمد باشا

بعد استيلاء الايرانين على بغداد دار السلام عهد الشاه بحكمها الى صفي قلي خان نيابة عنه ورجع الى ايران بعدما ترك بغداد يلفها الدمار والخراب ، فبيوتها مهدمة وحدائقها اندثرت من الجفاف والاهمال ومخلفات العباسيين وآثارهم من مدارس ومساجد تكاد تكون بحكم المندرسة إذ صارت اصطبلات للحمير والبغال ، وبيوت الاهلين معظمها قد نالها الدمار منذ الهجوم عليها ، وبقيت على هذه الحالة مدة طويلة ولما بلغ سمع السلطان مراد خان ما وصلت اليه البلاد من التدمير هب من رقدته واخذ يفكر في الانتقام وانقاذ بغداد برج الأولياء عما حل بها .

وفى سنة ١٠٣٥ أوعز الى الوزير حافظ أحمد باشا بالاستعداد للسفر الى بغداد وجعله قائداً عاماً للقوات التي تجمعت من روم أيلي والأناضول ومصر والشام وتزود بمقدار من العتاد والأسلحة والمدافع وتحرك على مهل اعجاباً بنفسه وغير مكترث بعدوه ، وكان يعتقد أن حاكم بغداد سيبعث اليه مفاتيح البلدة ويعلن الخضوع والاستسلام خوفاً من بطشه ، وقد اقترب من برية بغداد فى فصل آذار ونصب خيامه بالقرب من البلدة واتخذ له ولقواته الحصون والخنادق والقلاع

وأدوات الحصار وبعد اتمام استعداداته سلط نيران مدافعه عليها ، واشتعلت نار الحرب بين الجانبين .

ونظراً لاهتمام السلطان مراد في انقاذ بغداد ارسل مقداراً من حرسه الخاص وقواته الى الحلة وكربلاء حيث استولت عليهما واسكتت مدافعه نيران المقاومة وتغلب على القوات المدافعة وأبادها . وقد قويت معنويات جنوده بهذا التقدم وعزم على التقدم لاحتلال البلدة ولكن القدر لم يكتب له ذلك اد بلغت مسامع الشاه أخبار الحصار المضروب حولها فأرسل قوة تقدر بثمانين الف مقاتل من القزلباش بقيادة زينل خان مدداً لقوات بغداد المحاصرة ، وقد تقدمت هذه القوات حتى وصلت الى شهربان وعسكرت هناك .

لقد سبق أن ذكرنا أن كوجك أحمد باشا كان قد استولى على شيروانه بغير حرب وأنه تخلص من قبضة قاسم خان وأرسل مقداراً من قواته التي تقدر بخمسمائة مقاتل بقيادة ولده كلب علي الى قائد الجيش وكل واحد منهم يحمل كيساً من البارود وانضموا اليه واتجه كلهم الى بغداد وبذلك انقذ أباه من مغبة التقصير في المعاونة .

هذا وقد تقدم زينل خان حتى وصل بهرز واتخذ من السفن جسراً لعبور قواته باتجاه بغداد ثم تقدم حتى صار على مقربة منها بمسافة أربع ساعات وشيد جسراً على نهر ديالى ولم يتلق أخباراً عن العدو .

وفي تلك الأثناء وصل مراد باشا حاكم ديار بكر واصطدم بهذه القوات ولكنه انخذل ورجع ، أما الخان الموما اليه فانه بعد إقامة دامت بضعة أيام تقدم نحو المحل المسمى صوقوشان ورفع الجسر يمنع عدوه من العبور وظل تناوش القوات المتقدمة لمدة شهرين مما خفف وطأة الحصار على قوات المتفرقة لمدة شهرين مما خفف وطأة الحصار على

قوات بغداد .

وتوجه الشاه أيضاً نحو بغداد في أعقاب سفر قوات زنيل وبذلك إرتفعت معنويات الجيوش الايرانية في الوقت الذي ضعفت فيه قوات السلطان واعتراها الفتور الامر الذى شجع العدو على أخذ المبادرة بيده وقامت قواته بهجوم معاكس ولم تقصر قوات السلطان في المقاومة والمدافعة بالرغم من كونها أصبحت هي المحصورة .

ودامت الحرب بين الفريقين مدة تسعة أشهر انتشرت فيهم خلالها الامراض الفتاكة وقلت الارزاق وتفد العتاد واستشهد مراد باشا . ومع كل هذه المحن بقيت قوات الدولة العلية تصارع العدو وتقاومه ببسالة من حصونها وخنادقها برغم الضيق الشـــديد ونفاد الارزاق وأخيراً استسلمت وأسرتهم قوات العدو وجاءت بهم الى المدينة ، أما المرضى منهم ، فقد تقاسمهم الأغنياء على قدر الامكان وأما الباقون فقـــد سمح لهم بالعودة الى ديارهم . وبعدئذ عاد الشاه عباس الى إيران وفي سنة ١٠٣٨ توفي الشاه المذكور وأخلفه صفي مرزا .

مجيء خسرو باشا الى بغداد

لقد صدر الفرمان السلطاني بأن يتولى الصدر الاعظم خسرو باشا قيادة الجيوش ويسافر على رأسها لتحرير بغداد ، فأعد عدته وتحرك عن طريق اسكدار ، وظل يطوى المنازل والمراحل حتى وصل بلدة الموصل واحتلها وواصل سفره الى الامام وتهيأ له عبور النهر الذهبي حتى بلغ مدينة شهرزور وعسكر هناك وقام بترميم الطرق والاماكن التي خربها العدو والتقى ببعض المتمردين الذين يقودهم كل من علي ومأمون خان

ومراد خان ، وكان هؤلاء متحصنين بين شواهق الجبال وتمكن من إخضاعهم وقبل الالتحام بهم استسلموا وأعلنوا الخضوع والطاعة وبذلك انقذوا أرواحهم .

وقد وصلت أخبار هذه الحملة الى مسامع الشاه فأرسل الخان خانان (رئيس الرؤساء) زينل خان على رأس قوة تقدر بخمسة وأربعين ألف مقاتل كما أوعز الى حاكم اردلان بالتهيوء هو ومن معه من الايرانيين القاطنين في تلك الجهات للدفاع هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن السلطان أصدر أوامره الى ميرميران حلب بلزوم جمع القوات الكافية لتكون تحت قيادته وان يقف على قدم الاستعداد لمقابلة العدو الذي اقترب من بلدة مهربان حيث عسكر هناك .

أما القزلباش فأنهم أيضاً وصلوا الى المحل المذكور وانضموا الى الى تلك القوات ، وتقابل الجمعان واستعد كل منهما لخوض الحرب والخصام وفي اليوم التالي بدأت المناوشات ، وتصادما كما يتصادم جبلان وتقابلا كما يتقابل بحران واختلط بعضهم ببعض وانغمروا في لجة من القتال والطعان واستمرت الحرب من وقت السحر الى العصر .

وذهب خلال هذه المدة الكثير من القتلى ، وأخيراً لاحت تباشير النصر بجانب عساكر السلطان ووقعوا بالاعداء قتلا وأسراً وتشريداً حتى أن رئيس الرؤساء زينل خان ولى الأدبار هو أيضاً وسار بأتجاه مقر الشاه . ولما التقى به صب عليه جام غضبه وتوارى في تراب المذلة والهوان ، ثم اضطر الشاه الى تخلية بلدة همدان وعندئذ وبعد ما استراحت قوات الوزير الهمام مدة اسبوع استعدت خلاله وواصلت تقدمها نحو همدان حيث إحتلها واندحرت أمامها قوات العدو حتى بلغت أصفهان ، ولما وصلت بادية در كزين في تقدمها وردت الأوامر

السلطانية بالعودة لانقاذ بغداد فعاد الوزير حسب الأوامر بعدما ترك نهاوند تحت رحمة نيران الحصار .

كما وان قوات كل من يوسف باشا آمر الروم أيلي ويوسف باشا وكوجك أحمد باشا وساروا على أثره فأمرهم بالتوجه نحو قوات رستم خان فقضوا عليها واستأنفوا السفر نحو بغداد .

وعلى قول بعض الثقات من أهالي بغداد أن نهر الدجيل كان في ذلك الوقت في غاية من الانخفاظ والنقصان مما أضطر هذه القوات إلى ايقاف زحفهم بضعة أيام لاستكمال استعداداتهم ولانتظار وصول العتاد والأسلحة من الموصل .

وفي محرم الحرام من سنة ١٠٤٠ احاطت هذه القوات ببغداد ونصبوا طوق الحصار عليها ، وقام العدو بدوره باتخاذ ما يلزم لتحصين البلدة وقلعتها الداخلية ووقفوا على قدم الاستعداد للدفاع ، ثم تقدمت قوات الدولة الباسلة حتى بلغت حافة الخنادق وبعد مدة قصيرة تمكنوا من حفر طريق تحت الخندق عبروا من تحته واندفعوا الى داخل البلد . ولم يبالوا بنيران العدو ولا بنتائج هذه المغامرة . ولاجل محافظتهم من العدو باشرت المدفعية بضرب القلعة بدون هوادة وبمقدار الف طلقة في اليوم ، ومع ذلك لم يستسلم العدو ولم تثمر هذه الجهود المبذولة لان القلعة كانت صعبة المنال لمتانة حصونها وتفاني العدو في الدفاع ودام الحصار والقتال أربعين يوماً .

ومع ان الخمسمائة مقاتل الذين دخلوا من النفق ظلوا يواصلون ضرب العدو ولم يصلهم المدد الذي كانوا بانتظاره لتعذر ذلك فقد بقوا صامدين في امكنتهم الى ان اعلن العدو بأنه يتشاور في امر تسليم البلدة وانهاء القتال ولكنه عبأ جميع قواته سراً ونصب كل مدافعه

واستعد لضرب العسكر عندما يبدأون بالزحف نحو البلدة وتضاهروا بأنهم تقدموا الى المسؤولين بطلب القاء السلاح ، وبهذه الخدعة انهالوا على قوات السلطان بتسليط نيرانهم بشدة عليها حيث فاجأوهم ، وقتلوا الكثير من الجنود ونالوا الشهادة وكانت النتيجة فشل العساكر في احتلال بغداد .

وهذه الموقعة أعادت الى الأذهان واقعة حافظ أحمد باشا الذي كان قد رجع فيها خائباً ووقع المحذور ، وقد نفذ تحمل قائد الجيش وتمكن من الفرار على أنه اصطحب معه المعدات الحربية والأسلحة ولم يتركها غنيمة للعدو ، وقد قتل في هذه المعركة ميرميران الأناضول داود باشا .

هذا وقد كانت قصبة الحلة ما تزال تحت ادارة القائد المومأ اليه ، وفيما كانت القوات الموجودة هناك تفكر في تخليتها اذ تواترت الأخبار بقدوم خليل باشا على رأس قوة تقدر بعشرين الف جندي مضافاً اليها عـــدد كاف من الجنود الانكشاريين للمحافظة على الحلة وابقائها في أيديهم .

وقد اتخذ الباشا عند وصوله ما يقتضي من التحصينات والاستعدادات المقتضية ولكنه بينما كان منشغلا بهذه الأمور اذ هجم رئيس الرؤساء توختته خان على القوات التركية التي كانت مرابطة في درنه ودرتنك وفرقها مما شجع قوات العجم التي تحت قيادة رستم خان على التقدم نحو الحلة فطلب خليل باشا من الدولة أن تمده بالقوات اللازمة ليتمكن من الصمود ، ولكن ارسال بعض القوات الى هناك في ذلك الوقت من الأمور المتعذرة ، ولذلك لم يتلق لطلب النجدة استجابة من الجهات المختصة ، لا سيما وان هجوم العدو على شهرزور أدى الى خسران

محمد باشا الارناووط وكذلك كل من عمر باشا وابدال باشا وأمثالهما وفرت قواتهم بوجه العدو نحو مقر القائد الأعلى الذي رجع بهم نحو ماردين .

اما القوة التي في الحلة فقد داهمتها قوات القزلباش والقت بأثقالها عليها واضطرتها الى التسليم بعدما اعياها الدفاع مدة تتراوح ما بين الثلاثة والأربعة اشهر ونفدت خلالها ذخيرتها وعتادها ولم تتلق مدداً او نجده ، وتقدمت قوات القزلباش واحتلت البلدة وعاثت فيها فساداً وتنكيلا بالسكان الابرياء من المساء حتى الصباح ، وكانت تلك الليلة على بلدة الحلة من اسوأ الليالي ، ووقع فيها من القتل والتدمير مالا يمكن وصفه .

اما اللذين نجوا بأنفسهم من العساكر العثمانية فقد وقعوا كلهم في الاسر وجيء بهم الى بغداد ثم اطلق سراحهم وعادوا إلى ديارهم ، وبعدئذ عاد الشاه الى ايران بعد انجلاء الموقف في جانب قواته ، وقبل عودته امر ببناء مرقد وصي النبي (ص) الامام علي كرم الله وجهه وامر ايضاً باقامة سور للحلة وتعميق الخندق المحيط بها وترميم ما انهدم من بيوت واراضي زراعية وبساتين وانعم على سكانها الضعفاء ، وكانت البلدة في حالة اهمال عندما كانت تعسكر فيها قوات خليل باشا ، ثم طرأت على الايرانيين فكرة كون الروم قد يستولون عليها وعندئذ يصعب استرجاعها منهم ولذلك اهملت ثانية وهدمت حصونها .

وفي هذه الظروف توفي حاكم بغداد صفي قلي خان ، وكان المومأ اليه قد ارخى العنان للقزلباش وتركهم يفعلون ما يشاؤون وكان متعصباً وفيه قسوة . ودام في الحكم ثماني سنوات تقريباً .

ولما بلغت اخبار موته مسامع الشاه حزن عليه ، ثم جرى انتخاب حاكم بدله فوقع الاختيار على بكتاش خان الذي اجريت له الارصاد

الفلكية لمعرفة نجم طالعه على حسب عادة الايرانيين صدرت الموافقة على تعيينه . ولكن على حد القول المشهور صدق الله وكذب المنجمون ، فان هذا لم يتمتع بحكم بغداد طويلاً إذ توفي وعادت بغداد دار السلام الى قبضة السلطان مراد خان ، وكان الحاكم المذكور قبل وفاته في سنة ١٠٤٠ قد نفخ الشيطان في منخريه واخذه الغرور وانصرف نحو اشباع غريزته البهيمية وعاشر بعض المفسدين والسفهاء من أمثاله واقام مجالس الانس وما يتبعها من شرب للخمور وانغماس في الملذات وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسرت هذه الأعمال الى حاشيته واتباعه .

وفي اليوم الثالث من شهر شعبان المعظم من سنة ١٠٤٥ انتشر في اقليم العراق وباء الطاعون . وكانت الاصابات به في بداية الامر حتى نهاية شهر رمضان معدودة ولكنه بعد ذلك اخذ يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً حتى بلغت الوفيات آلافاً في اليوم وصارت الجثث تنقل الى المقابر على ظهور الحمير ، وكان الخوف من الاصابة به يزيد الناس ذعراً وهلعاً وصاروا حيارى لا يعرفون ما يفعلون لانقاذ نفوسهم ولجأوا الى المساجد يستغيثون ويتضرعون الى الله ان يزيل هذا البلاء عنهم وأكثروا من الصلاة والصيام وانواع العبادات .

وفي غرة ذي الحجة صعد الحاج على جبل عرفات يسألون الله تعالى أن يتدارك المسلمين برحمته ، وماحل عيد الاضحى المبارك الا وانطفأت جمرة الطاعون وتنفس الناس الصعداء ولكنهم بعدما انكشف عنهم العذاب عادوا الى شرورهم وآثامهم ومخالفة الاحكام الشرعية .

وفي التاريخ المذكور خرج السطان مراد خان نحو الديار الايرانية وحاصر قلعة روان وبعد ثمانية أيام استسلم سكانها واستولت قواته عليها

وذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر ، وفي اليوم الثانى من احتلالها تقدم حاكمها ابن الامير نحو السلطان وقبل الأرض بين يديه وأعلن هو وأتباعه البالغ عددهم الالفين خضوعهم وطاعتهم للدولة العلية .

أما الذين جاؤا لنجدة البلدة المذكورة من العساكر الايرانية وعددهم يتراوح مابين الخمسة والستة الاف مقاتل من القزلباش تحت قيادة بن المير فتاح فقد تصدت لهم قوة في الطريق وأرجعتهم مخذولين ولما علم الشاه بما جرى تحرك نحو روان بعدما عادت القوات التركية ولم يبق هناك سوى الوالي مرتضى باشا فقد حوصر مدة شهرين ثم توفى واضطر كتخداه الى التسليم وقد اسر العدو القادة الموجودين واطلق سراح الباقين من الجنود .

مجيء السلطان مراد خان الغازى الى بغداد واستردادها

لما كان التبدل والتغير من حال الى حال ومن وقت لآخر من سنة الطبيعة فقد حدث في سنة ١٠٤٧ أن السلطان الغازي مراد خان بعدما انجز ثلاث سفرات في الجهاد ، وكبح جماح الاعداء وكشفهم عن البلاد والبقاع التي ورثها عن آبائـه وأجداده ، أخذ يفكر جـدياً بأمر استرداد بغداد ، وشمر عن ساعد الجد واندفع يحشد الجيوش ويستحضر معدات الحرب من أسلحة وعتاد .

وبعد إتمام كل مايحتاج اليه لخوض غمار الحرب تحرك نحو اسكدار في اليوم الثالث والعشرين من شهر ذى القعدة حيث مكث هناك مدة تسعة وعشرون يوماً ثم استأنف سفره في بداية سنة ١٠٤٨ واتجه بجيوشه الباسلة نحو الرها ، وكان الوالد المرحوم قد نظم قصيدة بهذه المناسبة بارك له فيهـا بسفره الميمون وصارت بمثابة الدعاء على

السنة الذين ينشدونها وحازت تقدير وأعجاب السلطان والوزير الأعظم بيرام باشا الذي أرسل نسخة منها الى محافظ الموصل الطيار محمد باشا اعجاباً بها ، ثم واصل السلطان سفره تحت شعار نصر من الله وفتح قريب .

ولما اقتربت الجيوش من قلعـــة پيرامن لم يطيلوا المكوث فيها بل واصلوا سفرهم الى آق قپو (الباب الابيض) وذلك في شهر رجب الأصم ونصبوا هناك مدافعهم بأتجاه بغداد من كل الجهات حسب رأي الوزير الاعظم مخالفاً بذلك الطريقة السابقة ، واتخذ لكل من الوزير الاعظم وقپودان مصطفى باشا ومحافظ الاناضول حسين باشا مواقع للقتال .

وفي صباح اليوم الثاني أطلقت المدافع ترهيباً للعدو وايذاناً ببدء القتال وطوقوا بغداد من كل مكان وبقى الأمراء الايرانيون ينتظرون قرب مجيء الشاه بعدما أتموا تقوية القلاع من ناحية نهر دجلة كما فعل في حينه حافظ أحمد باشا أو كما فعل خسرو باشا في تقوية باب المعظـم .

ومهما يكن فقد اتخذت التحصينات من كلا الطرفين وزيادة على ذلك نصب السلحدار مصطفى باشا خيامه وعسكر في الجانب الغربي ووضع مدافعه باتجاه المدينـة مما جعل الامراء الايرانيين في ارتباك واضطراب ،

وأخيراً اقتربت القوات الرومية من قلة الفتح وأخذت مدافعها تقذف حممها كالصواعق حتى جعلت تلك القلة كالعهن المنفوش ونثرتها كالهباء وصار نصفها في يد القوات المظفرة .

وقد بذل العدو منتهى طاقته في الدفاع ولكنه لم يفلح في مساعيه وقد فعل الاعاجيب كل من الوزير الاعظم بتدميره الباب الابيض

وحسن أغا جغال زاده رئيس الانكشارية والقبودان مصطفى باشا وحسين باشا ودمروا أيضاً القلاع التي كانت أمامهم وجعلوها كانلم تكن .

وما عدا ذلك فقد دفنوا الخندق واتخذوا لهم طريقاً الى الداخل وأرادوا أن يهجموا من هناك على البلدة ولكن اختفاء الوزير الاعظم في هذه الاثناء أوجب تأخر أقدامهم على الهجوم . واكتفوا برفع اعلامهم على القلاع التي استولوا عليها وصاروا يتراشقون برصاص البنادق بدون هوادة ودام القتال تسعة وثلاثين يوماً .

وفى اليوم السابع عشر من شهر شعبان بينما كانت القوات تأخذ قسطها من الراحة وقت ظهر ذلك اليوم اذ باغتها القزلباش بهجوم عنيف والتحم الطرفان على عجل واشتعلت بينهما نيران الحرب واسرع الامراء والوزراء الى اماكنهم الحربية ثم تبين ان الوزير الاعظم كانت قد اصابته قذيفة من مدافع العدو واستشهد على اثرها ، وقد نقل جثمانه الى مقبرة الامام الاعظم وقد تأثر السلطان بموته وقرأ الفاتحة على روحه ،

وبعد موته تولى القيادة القبودان مصطفى باشا الذي أنعم عليه السلطان برتبة رئاسة الوزراء لما بذله من جهود وبسالة في الحرب ، وقد مر ذلك اليوم ورحى الحرب تطحن الطرفين ، وبذلت قوات القزلباش منتهى جهودهم للتقدم ولكنهم عجزوا عن ذلك .

ثم وردت الاخبار بأن كلا من بكتاش خان وخلف خان ونقدي خان وعلي يار خان وميرفتاح قد عقدوا مجلساً للمشاورة والمداولة وقرروا بالاجماع الاستسلام لقوات السلطان وطلب الامان .

وبعد مرور اربعين يوماً على حصار بغداد ارتفعت اصوات العدو عند الصباح تطلب ايقاف القتال وتعلن التسليم وطلب العفو وذلك في

صباح يوم الثامن عشر من شهر شعبان المعظم . وقد قبل السلطان طلبهم وبعدئذ تقدم بكتاش خان نحو السلطان يعرض الخضوع والتسليم وكذلك فعل بقية الأمراء الآخرين إلا امير القزلباش بن فتاح فقد امتنع واظهر الخلاف برهة ثم اذعن ورضخ للامر الواقع فعفى عنه ايضاً .

وقد سبق ان قام بعض المتمردين بالثورة في قلعـة روان ونقضوا العهد الذي كانوا قد قطعوه على أنفسهم بالتزام الطاعة . فأراد السلطان معاقبتهم ولكنهم اسرعوا بعدئذ بالقاء السلاح والخضوع وطلبوا ان يلتحقوا بقوات السلطان ومع ذلك فقد نقضوا العهد مرة أخرى وراحوا يتعرضون بالقوات السلطانية فصدر الأمر بتأديبهم وكانت النتيجة أن قتل منهم حوالي الألفين والتجأ الباقون الى احدى القلاع وتحصنوا بها ولكن قوات السلطان راحت تطاردهم وتتبعهم ففروا بوجهها بعد ماتركوا قسماً منهم أسرتهم القوات وجاءت بهم إلى خيمة السلطان حيث قضى على بعضهم وأطلق البعض الآخر .

ثم ان بكتاش خان انتحر متأثراً بالغم الذي أصابه من انخذال قواته ، وكانت مدة حكمه في بغداد سبع سنوات ، ومن آثاره في بغداد السراى المسمى دار الاماره والحديقة التي أمامه والحمام القريب منه : وقد أرسلوا متروكاته وحرمه وأهل بيته إلى والد زوجته حسين خـان حاكم اللار .

اما الامراء الآخرون الذين كانوا رهن التوقيف فقد أرسلوا إلى ديار بكر ، وفي القرب من باب المعظم عقـــد مجلس للمشاورة أعلن فيه الامان .

وفي هذا الوقت اشتعلت شرارة في القلعة الداخلية آثارت حريقاً في المعدات الحربية اتت عليها كلها ودمرت حتى الجدران واحرقت بعض

الذين كانوا بالقرب منها ، وقال الناس ان هذه الحادثة هبت كالزوبعة وهي تدل على انقضاء عهد القزلباش وأدبارهم وفعلا صدرت الأوامر بافنائهم سواء الذين يسكنون داخل المدينة أم خارجها عدا الذين لم يشتركوا في القتال فقد رحلوا من البلاد وانتشر المنادون يعلنون العفو العام في البلدة .

توجيه حاكمية بغداد الى حسن باشا

بعد انتصار حامي حمى الشريعة السلطان مراد خان الرابع على خصومه وانقذ بغداد حسرة الملوك ودار الخلافة العباسية ، أمر بتعمير ما دمرته الحرب ولا سيما قبة المجتهد الأقدم والامام الأعظم رضي الله عنه وكذلك مرقد ومسجد الباز صاحب الكرامات والمطلع على الاسرار القرآنية الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره الاعلى وجددها وخصص لها الاوقاف الكافية لادامتها والخدام القائمين عليها ثم أبقى في البلدة قوة كافية من الجنود لحراستها مع عدد من السباهيين وكذلك مقداراً من الحرس الانكشاريين ومقداراً من العساكر المدربه ، وعين احد الاغوات الانكشاريين المتقاعدين حاكماً عليها وهو كوجك حسن باشا وصدرت الأوامر بذلك وعاد ركابه الميمون وجرى له توديع حافل من قبل الموظفين والأهلين .

أما الباشا المؤما اليه فقد فرح بهذا المنصب الذي فاز به دون أمثاله ، وقد اتفقت كلمة أهل العراق على انه كان سليم الطوية وكان حليماً ويغضي عن الهفوات ويرعى الضعفاء وينظر بنفسه في الشكاوي التي ترفع إليه على انه كان صارماً مع المنافقين والمشاغبين والذين

ديدنهم رفع الاخباريات الكاذبة وكان يوصي حرسه وأتباعه بلزوم معاملة الناس باللين واللطف ، وبهذه السيرة أنهى مدة حكمه الذي بدأ في نهاية شهر شعبان من سنة ١٠٤٨ واختتمه في اليوم الرابع من شهر محرم الحرام سنة ١٠٤٩ ومدته أربعة أشهر وبضعة أيام .

حكومة الوزير الدرويش محمد باشا

كان السلطان مراد خان الدرة الزاهرة في سلسلة آل عثمان يفكر في اعلاء شأن بلاده وحراستها من هجمات الاعداء ولا سيما العجم ولم يدخر وسيلة للمحافظة عليها ولذلك فانه عندما رجع الى دار الخلافة أوصى وزيره الاعظم قره مصطفى باشا بأن يكون متيقظاً وان يتخذ الاحتياطات الضرورية وان يكون على أتم الاستعداد . وفي اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٠٤٨ تحركت قواته تحت قيادة الباشا المشار إليه التي تشبه أمواج البحر الى جهة البلاد الايرانية وعند دنوها من مقر الشاه أوفد سفرائه خافضي الرؤوس يحملون طلب الشاه في عقد الصلح واصلاح ذات البين بين الدولتين على حـــد قول الحكماء ، اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو زكاة المظفر ، وقد رأى الباشا ان الصلح سيد الأحكام ولذلك أجابهم الى طلبهم وسلك بعباد الله أحسن المسالك .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر محرم سنة ١٠٤٩ تم عقد اتفاقية الصلح وعينت فيها الحدود بين الطرفين وأرسلت المصادقة عليها إلى البلاط السلطاني .

ثم رأت الدولة ان محافظ بغداد حسن باشا السالف الذكر والمعروف بالتسامح والحكم لم يتمكن من ضبط الامن فيها كما ينبغي إذ لا تزال بعض

الفئات من عرب واكراد يعيشون في اطرافها ويتمردون على النظام ولابد للبلد من حاكم حازم ولذلك تقرر اعهاد الحكم في دار السلام الى الدرويش محمد باشا وصدرت الأوامر بعد المشاورة مع الصدر العالي .

غير ان الحاكم المذكور وان كان متصفاً بصلابته في الحكم وفي ضبط النظام ولكن أعماله كان ينقصها العدل والانصاف والمرونة .

وفي تلك الظروف التي كانت تسودها الفوضى برز في السماوة وما يليها الشخص المدعو سلمان شيخ الخزاعل (١) ورفع راية العصيان وخلع الطاعة وثار على الحكم وتعرض لابناء السبيل وقطع الطرق وصار يتنقل هنا وهناك وبين الأهوار والاجام فأمر الباشا بارسال حملة عسكرية لتأديبه تحت قيادة كتخداه علي اغا وعندما تلاقت مع الشقي وتقابل الفريقان لم يتمكن الخزعلي من الصمود بوجهها أكثر من ساعتين إذ ولت جماعته الأدبار بعد سقوط العديد من القتلى ، اما هو فقد اتجه نحو الديار الايرانية مع البقية الباقية من عشيرته ، وطهرت تلك النواحي منه ومن فلوله المتمردين .

وما عدا هذا فان القلعة المسماة بالعرجة التي كانت أيام القزلباش تحت حكمهم والتي كانوا قد عهدوا بحكمها الى امير عربي ثم ثاروا بعد وفاته قد احتلها المير ميران علي باشا وأجبر سكانها على الخضوع والتسليم وأصبحت تابعة لحكومة بغداد وقد عين لها حاكم بعنوان مير

(١) يقول الاستاذ عباس العزاوي في ص / ٢١ من ج / ٥ من كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ان هذه القبيلة أصلها خزاعة كما هو معروف في حين ان خزاعل جمع خزعل والتسمية به شائعة ولم يعرف موطن لخزاعة في هـذه الانحاء ولا نزال في ريب من القول بأنها من خزاعة ولنقل ما قالوا حتى نهتدي الى الصواب .   المترجم

لواء ومفرزة من العساكر لحفظ النظام هناك .

وخلال هذه الظروف ارتحل السلطان مراد خان الى دار البقاء وكانت ولادته سنة ١٠٢٠ وجلوسه ١٠٣٢ وارتحاله ١٠٤٩ وتشرف بالجلوس على تخت السلطنة أخوه السلطان إبراهيم خان .

وفي ليلة عيد الفطر المبارك من سنة ١٠٥١ ولد الشاهزاده محمد حامل شرف السلطنة ، ولما وردت أخباره إلى بغـــداد اعلنت الزينة والافراح على حسب المراسيم المعتاده ، وبهذه المناسبة السعيدة أوحت لنا القريحة بهذه القطعة :

حمداً لله تازه بر كل كلدى باغ عالمه ، كلستـان حضرة سلطان ابراهيمدن طالع وسعد همايون ساعت فرحتده ناظر نمس غائب جدول تسميدن اسمان سلطنته من طغدى بر مهر خير ارتفاع قدرى عالى پايه تفهيمدن چرخ هشتمدن ايرشدى صوت ما هذا بشر چقدى أفلاكه صداى هويدى اقليمدن قلدى نقاش قضا بر صورت خوب اشكار ما وراى پردههاى أحسن تقويمدن ملكنك معرنه سى اولسون فزون وجاودان عمرتك اعدادى افزون دوله قاوميمدن عالمك صاحب قراينندر ديو اهل نجم بويله استدلال ايدرلر صورت تنجيمد شابنا كوكده ملكار ديديلر تاريخنى نورد ركلدى محمد صلب ابراهيمدن تاريخ مذكور پسنديده ارباب عرفان بلكه تحسين كرده' جمله' عالميان اولوب شـانينك علو شاننه باعث او لمشدر .

هذا وبعد انقضاء مدة حكم والى بغداد وبلوغه سن التقاعد تنحي عن الولاية ، وقد دام حكمه من الخامس من شهر محرم سنة ١٠٤٩ الى الثامن عشر من محرم سنة ١٠٥٢ ومـدة حكمـه ثلاث سنوات وثلاثة عشر يوماً .

حكومة حسن باشا للمرة الثانية

لقد كان حسن باشا كما قلنا سابقاً يتصف بالاخلاق الحميدة والسيرة الحسنة ولذلك اكتسب تقدير رجال الدولة وصدر الفرمان الخاقاني بتعيينه والياً على بغداد للمرة الثانية ، ولما استلم زمام الحكم بدأ عمله بالانعام على الضعفاء ونشر الأمن وجعل الناس فى رفاه وطمأنينة وقد شيد قرب الباب الابيض من القلعة ثلاث قلل وكذلك في مقابلة البرج الايراني وجعلها من المتانة بحيث تضاهي سد يأجوج يتعذر على العدو اجتيازها وذلك لمحافظة البلدة ، وفي أيامه وصل حاكم تركستان اورنك خان في طريقه الى بيت الله الحرام .

وفى اليوم الرابع عشر من شهر صفر الخير من سنة ١٠٥٢ توفي شاه ايران الشاه صفى ووردت الأخبار بأن ابنه ميرزا عباس أصبح شاها على ايران وعمره لا يتجاوز الثمانى سنوات .

هذا ولما انتشر الامن والعدل في هذه الربوع فان الذين كانوا قد هاجروا منها بسبب الكوارث الماضية قد دفعهم حب الوطن الى العودة نحو بلدهم ، كما وان الوالد المرحوم الذى بقى وحيداً في مدينة الرها قد اختار العودة والاقامة في بغداد .

ثم انقضت مدة حكم الوالي المشار اليه فاعتز له وقد بدأ حكمه في اليوم التاسع عشر من محرم سنة ١٠٥٢ الى الرابع والعشرين من محرم سنة ١٠٥٤ ومدة حكمه سنتان وخمسة ايام .

حكومة الوزير دلي حسين باشا

لقد كان دلي حسين باشا من مراقي السلطان مرادخان واكتسب بحسن أعماله محبة ذوى الحل والعقد من رجال الدولة ولذلك اختير لتولي الحاكمية في بغداد .

والمنقول عنه انه كان قوي الشكيمة وعصبي المزاج ، ولكنه تمكن من ضبط النظام في البلد وقطع الفساد ، وكان في اغلب الليالي يتجول في الحارات والاسواق ويراقب الأحوال بنفسه وبذلك اكتسب معرفة وخبرة بأحوال الناس واخلاقهم ، وقضى على المفسدين والمشاغبين وفضلا عن ذلك فانه كان مواضباً على اقامة صلاة الجماعة .

ومن آثاره انه شيد جامع القمرية المطل على نهر دجلة وخصص له خطيباً واماماً وخدماً ومايزال هذا الأثر باقياً ، وقد حكم البلد من اليوم الخامس والعشرين من محرم الحرام سنة ١٠٥٤ الى التاسع من السنة نفسها ومدة حكمه خمسه اشهر وعشرة ايام .

حكومة الوزير محمد باشا

ان الوزير ذا الرأي السديد المعروف باسم محمد باشا بن حيدر اغا قد عهد اليه حكم بغداد وكانت في أيامه تنعم بالهدوء والسكينة وخالية بما يعكر صفوها ولم تقع فيها من الحوادث ما يستوجب الذكر وكانت بداية حكمه من اليوم العاشر من شهر رجب سنة ١٠٥٤ الى اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٠٥٥ ومدة حكمه سنة واحده وعشرة أيام .

حكومة الوزير موسى باشا

ان موسى باشا من الرجال المتصفين بالشجاعة والاقدام ، وكان يسمى موسى باشا الصغير ، وقد اختير لتولي حكم بغداد دار السلام لمؤهلاته وقابلياته ، ولما استلم وظيفته أخذ يبذل قصارى جهده لتحسين اوضاع البلاد ولكنه أغواه بعدئذ والي البصرة علي باشا نجل حسين بك وانحرف به عن الطريق المستقيم واستولى عليه الطمع ونسى الحكمة القائلة ذل من طمع وعز من قنع .

وبعد أمد تغلب العدو على قلعة دكة التي هي من توابع بغداد وعين فيها حاكماً من قبله وعادت القوات التي كانت فيها إلى البصرة فأرسل الباشا حملة عسكرية اليها وقامت الحرب بين الطرفين وتمكن من طرد العدو واستردادها ، ولم يكتف الباشا بهذا بل استولى على قريه قصر التابعة للبصرة وشكل فيها قوة عسكرية من المشاة لمحافظتها .

وفي هذه الأيام أي فى أواخر سنة ١٠٥٥ تمكن قائد الاسطول يوسف باشا من فتح بلدة خانيه التي تعـــد مفتاحاً لجزيرة كريد ، واحتفلت البلاد الاسلامية بهذا الانتصار الكبير . وفى هذه السنة أيضاً ثار في بغداد غبار كثيف وعواصف رملية شديدة بتقدير الملك القدير غطت أديم السماء واظلمت الدنيا واشعل الناس الشموع ليرى بعضهم بعضا ، وهرعوا نحو المساجد للصلاة والدعاء اليه تعالى لازاحة هذه الغمة ، ثم انكشف الظلام شيئاً فشيئا بعد حوالي الأربع ساعات فشكروا الله على نعمته .

وبعد انقضاء مدة بقاء والي بغداد تخلى عن الحكم ، وكانت بدايته

من اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٠٥٥ الى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٠٥٦ ومجموع مدة حكمه سنة واحدة واثنان وعشرون يوماً .

حكومة الوزير ابراهيم باشا

كان الوزير المومأ إليه حسن الصورة وتلوح عليه آثار النعمة ، وكان معجباً بنفسه ومتكبراً وفي عنفوان شبابه وليست له الخبرة الكافية التي تؤهله لادارة دفة الحكم فى البلاد وسياسة العباد ولم تخل أيام حكمه من الدسائس والفتن وكانت تصرفاته مدعاة إلى تآمر أتباعه للقضاء عليه والتخلص منه بأية طريقة ، وكثر اللغط حوله .

وفي هذه الظروف توفى الوزير الأعظم صالح باشا الذي كان يلتزمه ، وقرر رجال الدولة تعيين أخيه مرتضى باشا والياً على بغداد وتنحية موسى باشا ، وفعلا صدرت الاوامر بذلك ولما اقترب من مقر حكمه تعرض له مراد اغا الخاصكى الذي كان حينذاك في تكريت . وحال بينه وبين مواصلة السفر الى بغداد وهدده ، واضطره الى العودة إلى ديار بكر ، وهناك قضى نحبه غدراً .

وعندئذ اجتمع أمراء بغداد وقادة عساكرها للمذاكرة ، وكان مما قرروه عزل الوالي ثم عدلوا عن ذلك إلى تركه ريثما يعرضون الأمر على رجال الدولة وتصلهم أوامرها بهذا الصدد ، ثم اختلفوا فيما بينهم وبين القوات الانكشارية وظلوا بين أخذ ورد لمدة ثلاثة أشهر قضوا خلالها على حياة الوالي المومأ إليه ودفن في مقبرة الامام الأعظم .

وكانت بداية توليه الحكم في اليوم السادس عشر من شهر شعبان

سنة ١٠٥٦ إلى غرة شهر ذي القعدة سنة ١٠٥٧ ومدة حكمه سنة واحدة وشهران ونصف الشهر .

حكومة الوزير موسى باشا السمين

ان الباشا المشار إليه كان من مرافقي السلطان ، وكان يسمى موسى باشا السمين وكان قد أصيب ببعض الامراض الجلدية جعلته ثقيل الحركة ، وقد اختاره السلطان لمنصب ولاية بغداد ولما استلمها أودع كل أموره إلى ذوي الاطماع من أتباعه وموظفيه ، وكان لا يميز بين المقتدر وغير المقتدر .

ثم تبدل حلمه وسماحته إلى الغضب والشدة لأوهى الأسباب ، ولما بلغه ما حصل لسلفه ابراهيم باشا انزعج كثيراً وصب جام نقمته على امرائه وجعلهم هدفاً لسهام عقابه واتهمهم باساءة السلوك فيما فعلوه ونقلهم الى وظائف خارج البلد وعاقبهم وفرّ القسم الاكبر منهم نحو الديار الايرانية خوفاً من نقمته وعقابه .

واضطربت القوات العسكرية وثار بعضها على بعض ، ولأجل تهدئة الحالة وقمع الفتنة . ومنعاً من تعرض البلد إلى غزو خارجي أوعز إلى محمد باشا آل الجاويش مير ميران ديار بكر والوزير أحمد باشا آل الطيار وجعفر باشا أن يتجهوا على رأس جيوشهم إلى بغـداد لمحافظتها وفض الخلافات .

وفي هذه الظروف قدم الشاه الايراني هدايا وفيرة وفيلين جبليين مع سفيره محمد قولي خان لايصالها إلى السلطان عن طريق بغداد ، وفي هذه الظروف أيضاً بدرت بعض التحركات المريبة من قبل السكان

وتدهورت الاوضاع وصارت لا تدعوا إلى الارتياح .

مضافاً إلى هذا نشوب خلاف فى مقر السلطنة وبين أركان الدولة من الامراء أدت إلى خلع السلطان وانزاله من عرشه وتنصيب الأمير محمد خان سلطاناً بمكانه ولم يبلغ السن السابعه ، ثم أخذت الأخبار تتوارد عن وجود تحركات ضد هـذا السلطان الجديد بتحريض من السلطان المخلوع الأمر الذي أدى إلى قتله والتخلص منه .

لقد ولد السلطان المرحوم سنة ١٠٢٦ وتولى السلطنة سنة ١٠٤٩ وقتل سنة ١٠٥٨ ولما تواردت أخبار هذه الحوادث على بغـــداد تملك أهلها الحزن والاسى ومع هذا فقد اقيمت للسلطان الجديد معالم الزينة والافراح ، وبما ان الوالي كان معروفاً بمرافقته للسلطان المرحوم قبل توليه حكم بغداد فقد جرى عزله لا سيما وان مراد باشا كان يحقد عليه وقد انتهز هذه الفرصة واتهمه بأنه كان له ضلع في الحوادث الأخيرة ، ولهذا دبر له هذه المكيدة وقتله في مضيق يدي قلعه .

وكانت بداية حكمه في اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٠٥٧ إلى اليوم الواحد والعشرين من شهر ذي الحجة . ومدة بقائه في الحكم سنة واحدة وشهر واحد وعشرين يوماً .

حكومة الوزير ملك احمد باشا

ان هذا الوزير موصوف بالحكم والطبع الملكي والسيرة الحسنة وكان يلقبه أقرانه بالملك ، وقد اختير لتولي حكم بغداد منقولاً من ديار بكر ولما استلم وظيفته قلت فيه مادحاً ومباركاً : حضرة پاشاى اصفراى ودارا احتشام احمد محمود وحصلت كام بخش مدعا حمد لله والى بغداد

اولوب أول دار كرايردی ، داتيله علو قدره ديو بهجت سراملهم الوب طبعه نظمی ديدم تاريخنی اولدی أول أحمد شيم پاشای برج اوليا مشار إليه بسط بساط علم دليندبری وطی كهنه پلاس سخنكيری ايدوب جنبش بهشت آباد رشك ارم ذات العماد أو لمشدر .

وقد سار في حكمة وسيرة حسنة اكتسب بها رضاه الله وعباده وقد انتعش في أيامه الكسبة والضعفاء لأنه كان يشملهم برعايته ويخصهم بمراحمه والكاسب حبيب الله كما قيل ، وكان يحضر الصلوات ، وقد رأيت المصلين يرفعون أيديهم بالدعاء له لعدله وتدينه وتقواه .

وفي سنة ١٠٦٠ عندما تولى منصب الصدارة لاحظ ان الامناء الذين تركهم في بغـــداد قد أساؤا إلى واجباتهم وانحرفوا عن الاستقامة وانخفضت الواردات الاميرية وأصاب الخزينة عجز كبير ، فأصدر امراً يقضي باعطاء الاراضي الاميرية بالالتزام والاقطاع ، غير ان هذا التدبير دفع المسؤولين إلى الكثير من المظالم والمخالفات وكثر توارد الشكاوي عليه بهذا الصدد ، كما وان الولاة لم يعودوا يرسلون إلى الخزينة السلطانية أكثر من مائة كيسة سنوياً وكانوا بسبب ذلك يقعون تحت طائلة عتابه وتأنيبه :

وبعد انتقاله عهدت الولاية الى كاتب الديوان الشهير محمد افندى وقد حكم في بغداد من اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٠٥٨ إلى العشرين من ذي القعدة سنة ١٠٥٩ ومدة حكمه عشرة أشهر وثمانية أيام .

حكومة الوزير ارسلان باشا نغاى زاده

ان الباشا المذكور يتصف بالشجاعة والاقدام والقدرة على أداء ما يعهد اليه من المهام وكان يعرف باسم ارسلان نغاى زاده ، وكان من رجال الدولة الذين يعتمد عليهم ، وكذلك رشح لولاية بغداد من قبل السلطان ، ومع كونه يتصف بالتقتير فانه ضبط البلاد وسار بالرعية سيرة حسنة وترك الأهلين فى أمن وطمأنينه داخلاً وخارجاً ، ولكنه لم يطل به العمر بل ترك ادنيا ودفن في مقبرة الجيلي تغمدته رحمة الله وكان حكمه من اليوم الواحد والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٠٥٩ إلى سنة ١٠٦٠ لمدة ستة أشهر ومنذ ورود خبر وفاته الاستانة وتعيين غيره مرت ثلاثة أشهر .

حكومة الوزير حسين باشا

ان هذا الوزير كان مقرباً من السلطان مراد خان وله خلق متين وسيرة طيبة ولذلك اختير لتولي الحكم في بغداد . وسار فيها على سياسة الرفق واللين وتنطبق عليه القاعدة من عذب لسانه كثر اخوانه ، وكان أيضاً يسير على نسق المثل المعروف بالبر يستعبد الحر ومن الناحية الدينية كان يعتكف في المسجد ليالي الجمع ويؤدي الصلوات ولا ينقطع عنها ، وكان يبر الخطباء والأئمة والفقراء .

والناس من طبعهم يحبون الذي ينعم عليهم ويخلصون له الطاعة وقد اخترمه الموت وهو فى شرخ الشباب ودفن في مقبرة الشيخ عبد القادر

الكيلاني . واقيمت له الفواتح والمئاتم من قبل الصغير والكبير ، وكانت صحيفة أعماله لقية بيضاء لا شائبة فيها ، وقد تولى الحكم في بغداد من اليوم الخامس من شهر رمضان سنة ١٠٦٠ إلى ١٠٦١ ومدة حكمه عشرة أشهر ، وإلى أن ورد خبر وفاته إلى مقر السلطنة وتعيين خلف له مر شهران .

حكومة الوزير قره مصطفي باشا

لقد ترعرع الوزير المذكور في رعاية السلطنة ثم تقلد وظيفة رئيس الحرس السلطاني وبعدئذ عهدت إليه رتبة الوزارة وعين حاكماً على بغداد وكان حسن المعاملة ولطيف المجاملة ، وكان زيادة على هذا حسن الصورة فصيح الكلام حليم الطبع نافذ الكلمة ، بعيداً عن التكبر والعجرفة ، وكان ينزل الناس منازلهم ويعرف لكل منهم قدره ويعامل الجميع على سجيته بلا تكلف ، ولما كان سلفه ملك أحمد باشا قد جعل أراضي بغداد خاضعة لنظام الاقطاع فقد أصاب الكثير من الناس ضرر فادح بسبب ارتفاع الرسوم . وكانوا يتحملون أكثر مما يطيقون .

وفي هذه الأيام أي في سنة ١٠٦٣ بوشر بتطهير نهر العظيم الواقع مابين شطي دجلة والفرات الذي كاد ان يندثر بسبب الاهمال فاختار الوالي ثلاثة من الانكشارية الذين يعتمد عليهم لاتخاذ ما يلزم لاعادة النهر المذكور إلى سابق عهده وهم محمد وعمر وعثمان وبهمتهم جرى الماء فيه وراح الناس يزرعون على مائه ويشيدون البساتين حواليه وازدهرت الحقول والمزارع ، وماهي إلا مدة قصيرة حتى صارت مزارعه ومحاصيله تدر على الخزينة بالنفع العميم وبلغت إيراداته الألفي طغار

من الحنطة والشعير ، وقد حكم الباشا المذكور ثلاث مرات في بغداد سنتكلم عنها في حينه .

أما هذه المرة فقد بدا حكمه فيها من اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ١٠٦١ إلى اليوم الثالث عز من شوال سنة ١٠٦٣ ومدة حكمه سنتان و ٢٢ يوماً .

حكومة الوزير مرتضى باشا

ان الوزير الموما اليه كان من مرافقي السلطان وقـد تقدم في الوظائف فصار قائداً للحرس ثم عهدت اليه ولاية ارضروم ومنها نقل الى حاكمية بغداد ، وكانت سيرته حسنة ، وأحبه الصغير والكبير ، ولم يجعل على بابه حاجباً ، وقد ورد عن بعض الثقاة انه كان ذات يوم متكأ على كرسيه لأخذ قسط من الراحة وقد ابتعد عنه الخدم قليلاً . اذ جاء أحد المراجعين وذهب اليه مباشرة وأيقضه من غفوته وسلمه عريضة كانت في يده ، فلما اطلع على فحواها أمر بتنفيذ ماجاء فيها ولم ينهره على تجاسره في الدخول بدون استأذان .

وكان يقيم المواليد النبوية الشريفة كل سنة ويطعم الطعام ويعمل الخيرات ، ومع ذلك فقد مال أخيراً ، وغلبه هواه بتشويق عشراء السوء وعلق بعض التصاوير الخلاعية على جدران مجلسه ، وصار يحمل الرعايا مالا يطيقون من التكاليف ، ومدة حكمه لم تكن خالية من المظالم .

وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة ١٠٦٤ قضى على محمود اغا الصاغ قول اغاسي بتحريض من ذوي الاغراض والسعايات .

وفي هذه الأيام تواردت عليه الرسائل من أحمد بك وفتحي بك

العمين الاكرين لميرميران البصرة حسين باشا ومن محمد باشا ميرميران الحسا يتذمرون فيها من سوء اعمال حسين باشا الذي تمرد على الدولة واستعمل القسوة والغدر في معاملتهم وانه عندما جاؤا اليه لبث شكواهم من سوء الأوضاع التي تردت كثيراً وسوء الحالة التي أصبحوا فيهـــا . أظهر لهم التودد في بداية الأمر وأضافهم ثم أوعز الى بعض رجاله بالقضاء عليهم ظلماً وعدوانا لأنهم لم ينحرفوا عن طاعة أوامر الدولة العلية .

وأنهم لما رؤا أن الحالة بلغت به الى هذا الحد تمكنوا من التخلص من قبضة يده وفروا من وجهه وراحوا يجمعون أتباعهم ويستعدون للدفاع عن أنفسهم . فكانت النتيجة ان تمكن من القبض عليهم بطريق الحيلة وبحجته التداول معهم فى أمر اصلاح الحالة ، ولكنه شد وثاقهم ونفاهم الى جهة الهند ، ولما وصلوا قرب الاحساء تمكنوا من الافلات من أيدي الحراس والتجأوا الى حاكم الأحساء .

ومن هناك بعثوا بشكاواهم ورسائلهم الى الدولة العلية يعرضون عليها ما أصابهم وما يفعله حاكم البصرة ، فكتب المسؤلون الى مرتضى باشا للنظر فى أمرهم وأحالوا عليه رسائلهم وتوجهوا هم أيضاً الى بغداد ، ولما اطلع الباشا على واقعة الحال جهز حملة عسكرية وزودها بالمدافع والعتاد وجعل عليها الكتخذا رمضان اغا وسيرها نحو البصرة .

ثم استعد هو أيضاً وتبع الحملة على رأس مقدار من العساكر النظامية ووصلها في المكان المسمى عرجه ، وقد ذعر سكان البصرة من توارد هذه القوات وعندئذ ثار أتباع أحمد بك وجند الأهلين وألحقهم بجماعته الثائرين ، ولكنهم عند وصول الباشا قرب البصرة انظموا اليه ، وكان أول ما فعله الباشا أنه ترك قوة من الاحتياط في القرنه .

ثم لما سمع والي البصرة الثائر حسين باشا بمقدم هذه الجيوش

وعلى رأسها والى بغداد نملكه الفزع وعلم أنه غير قادر على مقاومتها فر نحو الجهة الايرانية وعندئذ دخل الوالي على رأس قواته البصرة فهرع لاستقباله الاعيان والاشراف وقدموا ولائهم .

وبعد استقباب الامن عين أحمد بك حاكماً عليها ولكن هذا ماعتم أن أصدر أمراً بمصادرة أموال حسين باشا وأموال أبيـــه علي باشا وأولادهما وأحفادهما وحفظها في مكان يقال له قبان .

فلما رأى أحمد بك وفتحي بك أن الأمور أخذت تتطور الى عكس المأمول ، جمعوا أتباعهم وهجموا على المكان الذي حفظت فيه أموالهم المصادرة واستردوها واندفعوا يهاجمون السراى الذي نصبت فيه المدافع وبدأت تقصف البلدة وكثر الرمي من الجانبين ، واشتعلت الثورة .

وهجم قسم من الأعراب على القرنة وحاصروا القوات الاحتاطية فيها ثم استولوا عليها وشردوا تلك القوات وأخيراً صارت منطقة البصرة ميداناً للحرب وانظم كل من أحمد بك وفتحي بك الى الثوار واندحرت قوات الباشا وهرب راجعاً الى بغداد فانتهز حسين باشا هـذه الفرصة وعاد الى البصرة هو واتباعه وتسلم حاكميتها كما كان ولكن بعد تضحية الكثير من جماعته .

ثم كتب الى الدولة العليه يعرض عليها اطاعته واخلاصه ويعلمها بأن ماوقع انما كان بسوء تدبير والي بغداد ، فاقتنعت بأقواله وأقرته على حاكية البصرة .

أما والى بغداد فانه مع كل ماوقع راح يستعد لاعادة الكرة في الهجوم على البصرة للانتقام ولكن لم ينل ماأراده وعزل عن الولاية :

لقد كانت بداية حكمه في اليوم الرابع عشر من شهر شوال سنة

١٠٦٣ الى اليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٠٦٥ ومدة حكمه سنتان وأحد عشر شهراً .

حكومة الوزير اق محمد باشا

ان الباشا المشار اليه كان يسمى آق محمد باشا وقد نشأ أيضاً في دار السلطنة وتربى تربية ممتازة ثم أختير لتولي ولاية بغداد ولكنه من سوء طالعه أو من غرائب الاتفاق أنه قضى النصف الأول من مــدة حكمه بالأمراض ، ويقال والعهدة على الراوي أن كاتب الديوان عبد الباقي وجدى لقي درويشاً صوفياً يسمى مصطفى دده وشكى له ما يقاسيه الباشا من آلام المرض والتمسه أن يدعو له بالشفاء ، ثم أتى به الى الباشا ففحصه وبقى يتردد عليه ثلاثة أيام ويصلي ويدعو الله هو ومريدوه واذا بالباشا يتماثل الى الشفاء وينهض من فراشه وكان لم يكن فيه مرض وصار يمارس الصيد ويقضي اوقاته بالنزهة هنا وهناك

وخلال مدة حكمه تمرد بعض عساكره في بغداد وقد أثار الفتنة بينهم رجل يسمى عبدي ، وذات يوم جمعة استدعاه الباشا اليه وعند حضوره ومناقشته أمر جلاده بقتله والتخلص منه .

ولما علمت جماعته تجمهروا في الميدان وأخذوا يشاغبون فأحاط بهم الباشا وسد عليهم الطريق ولم يعرهم التفاتاً وخرج لاداء فريضة الجمعة في جامع الامام الاعظم ، ولكن تصدى له اثنان وشهرا بوجهه سيفيهما وتبعهما الكثير من الرعاع الذين كانوا جالسين في المقاهي ، فاضطر الوالي إلى العودة إلى السراى لاتخاذ ما يقتضي من الاجرآات اللازمة لمعالجة الحالة والقضاء على الفتنة .

وقد اتفق في هذه الايام بجيء الخاصكى حسين اغا موفداً من قبل الدولة العليه فأعلمها بما شاهده في بغداد من الفوضى والفتن وضرورة قطع دابرها لئلا تتفاقم الحالة ، فورد فرمان يقضي بأن يتولى الأمور ويعالجها بما يراه فلم يجد وسيلة سوى ازالة الباشا وقضى عليه وتسلم زمام الحكم بدله .

لقد كان بدء حكم اق محمد باشا من اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ١٠٦٥ إلى سلخ محرم الحرام سنة ١٠٦٧ ومدة حكمه سَنة واحدة وأربعة أشهر ونصف .

حكومة الوزير الخاصكي محمد باشا

لقد تربى الورير الخاصكى محمد باشا تحت رعاية السلطان وفي كنفه وتولى الحكم في مصر والشام ، وأخيراً عهدت إليه ولاية بغداد دار السلام وكان ميالاً إلى حب الفخفخة والتظاهر بالعظمة ، وأحدث بعض العادات التي لم يعهدها البغداديون .

وقد بذل لرجال حاشيته العطايا الجمة وأحسن إليهم وألبسهم زياً جميلا يظهرون به فى المجتمعات وانصرف إلى مثل هذه السطحيات وأهمل تدبير شؤون البلد وما يحتاج إليه وتساهل في ضبط النظام ولا سيما مع جنوده وحرسه ومال الى الشراب واقامة مجالس اللهو والطرب ونسي أن الدنيا لا يؤتمن جانبها .

وفي سنة ١٠٦٧ ثار بعض أعراب الجوازر واتسعت ثورتهم فأرسل الباشا حملة عسكريه عليهم ، وعند وصول هذه الحملة التحمت بالثوار ولكنها لم تتمكن من الثبات امامهم وولت هاربة نحو بغداد بعدما

تركت عدداً من قتلاها بضمنهم كتخدا الجانب الايسر وباش جاوش وعدد من رؤساء السرايا ، فكان لعودتهم على هذه الصورة صدى عميق الأثر على الباشا ، وعقد مجلساً يضم أركان حكومته ورجال الانكشارية .

وبعد المداولة قرروا طرد الفارين من وظائفهم ومنعهم من دخول البلدة ، وقد وافق على هذا القرار أغلبيتهم حسب الظاهر ، وبقى العائدون خارج البلدة مدة ثلاثة أيام ، ثم إتصلوا بأقربائهم وجماعتهم في بغداد وأثاروها فتنة عمياء وانضم إليهم جماعة من الانكشارية والقوات العسكرية ودخلوا البلدة قسراً .

وعند الصباح قبضوا على الشيخ بندر وعلى التشريفاتي وأمين المخازن ثم هجموا على سراى الحكومة ونهبوه ولم يجسر الباشا على اتخاذ أية اجراءات مقابلة وإنما قبع في مكمنه وتركهم ينهبون ما يجدونه أمامهم ثم عادوا وتجمعوا في الميدان وراحوا يطلقون النار هنا وهناك وصار البلد في هياج وفوضى ، وانتشروا ينهب بعضهم بعضاً وقتلوا التشريفاتي بلا ذنب .

ولما كان أمير قبيلة طي يقطن بالقرب من بغداد في تلك الأيام فقد تمكن الشيخ بندر من الفرار إليه وسافر برفقة الامير الى الموصل وشاع ذلك بين الناس ، وعندئذ تجمع الثوار مرة أخرى للهجوم على الوالي ، فلما سمع بذلك فر في تلك الليلة الليلاء نحو الجهة الغربية وعندما أشرقت الشمس ترك الديار وسافر إلى هيت .

أما الثوار فانهم بدأوا يندمون على ما فعلوه خوفاً مما ينتظرهم من عقوبات ، وأخيراً سافر قسم من الذين لم يتورطوا في هذه المشكلة إلى هيت والتمسوا من الوالي أن يعود ويقيم موقتاً في الجانب الغربي

ريثما تهدأ الحالة .

وقد تعاون الانكشاريون على اطفاء نار الهياج وألقوا ببعض المحرضين في السجون ورفعوا علماً في الميدان لينضم تحته أتباعهم المسالمون واصطدموا بالعساكر الثائرة وأرغموهم على تجنب الفوضى والركون إلى السكينة إلا بقية منهم عسكروا في محلة في قنبر علي .

أما الباشا فقد عاد ونصب خيامه في المنطقة الواقعة في الجانب الغربي ، وبعد هدوء الحالة تقدم الانكشاريون يعرضون الطاعة على الوالي ويأتون إليه ببعض الخونة الذين سببوا هذه الثورة فنفى بعضهم وقتل البعض الآخر ، وهناك حوالي الثلاثمائة نفر قطع عنهم مرتباتهم ومخصصاتهم من الخبز وفرقها على غيرهم وبذلك هدأت الحالة .

وفي هذه الاثناء وصل بغداد معن زاده حسين اغا مرسولاً من قبل الدولة العليه ليرافق سفير الهند إلى خرم شاه ، وبعد استراحتهم بضعة أيام سافروا إلى الجهـــة المقصودة ، والأمر الذي أوجب ذلك انه في سنة ١٠٥٩ وردت إلى السلطان من حاكم از بكستان محمد نادر خان رسالة يشكو فيها من تصرفات إبنه عبد العزيز ويلتمسه أن ينصحه ويعيد إليه صوابه .

ووردت إليه أيضاً من شاهات العجم والهند رسائل يرجونه أن يتوسط لاصلاح ذات البين بين الأب والابن فقبل طلبهم وأوفد من جانبه السيد محي الدين لهذا الغرض ، وبعدما انجز مهمته عاد وبرفقته أحد خواص شاه الهند المسمى أحمد يحمل الهدايا الفاخرة إلى السلطان مع تشكراته ، وقد أوفد السلطان من جانبه أيضاً ذا الفقار اغا مع مقدار من الهدايا بالمقابلة واستمروا يتبادلون الهدايا ، وكان آخرها صحبة حسين اغا الذي عاد عن طريق بغداد بعد أداء مهمته .

وفي سنة ١٠٦٩ أيضاً قام بمثل هـذه المهمة وفي هـذه السنة أي سنة ١٠٦٧ أوفد الشاه عباس الثاني شاه ايران سفيره المسمى كلب علي إلى السلطان يحمل بعض الهدايا الفاخرة تقرباً إليه وتثبيتاً لدوام الصلح فقابله السلطان بالمثل وأرسل إليه الهدايا اللائقة مع سفيره اسماعيل اغا عن طريق بغداد أيضاً . وعند عودة اسماعيل اغا من ايران توفاه الله في بغداد ودفن في مقبرة الامام الأعظم .

وفي سنة ١٠٦٨ هطلت على البلـــد أمطاراً غزيزة كأفواه القرب وفاضت الأنهر والعيون وصار المطر كأمواج البحار بحيث اتصل نهر الفرات بنهر دجلـــة وانطبق عليهما قول الله في الآية الكريمة مرج البحرين يلتقيان . وأصبحت بوادي بغداد كأنها بحر أحاطت بالبلد من كل جانب واغرقت الخندق ودخلت المياه من الباب البيضاء وانهدم كثير من الدور .

وبعد انحسار الماء بذل الباشا جهوداً كبيرة في اعادة بناء مادمره الفيضان وجدد الاسوار والأبنيـــة المتهدمة ونقل مقره الى المنطقة في الجانب الغربي ، هذا ولما كان نهر الفرات ودجلة قد اتصلا ببعضهما وقطعا الطريق فان الباشا انتقل إلى قرب الكسرات وجمع كل ما يتيسر من سفن وأكلاك واتخذ منها جسراً بعبور المسافرين من جهة الى أخرى واحكم السداد وما زالت آثار أعماله باقيـــة إلى الآن جزاه الله خير الجزاء .

لقـد انتشرت أخبار هـذه الحادثة في كل مكان وصدرت أوامر الدولة إلى حـاكم روز مرتضى باشا وولات كركوك والموصل بالسفر لمعاونة والي بغداد في محافظة البلد ، وعند اقترابهم عسكروا خارجها وقاموا بما يجب عليهم في بذل العون ، وبعـد مكوثهم مدة قليله ورد

الفرمان بنقل مرتضى باشا إلى الاناضول وعزل حسن اباظه باشا لتوانيه في تأدية ما يعهد إليه من واجبات ، واعادة بقية الامراء الى الروم .

وفي سنة ١٠٦٦ تغلب الأعداء واستولوا على جزيرة اطه التي تشبه آرم ذات العماد من حيث العمران والتقدم ، وهذا التغلب كان نتيجة لاهمال رجال الحل والعقد من رجال الدولة ، غير ان الجزيرة المذكورة استردت في سنة ١٠٦٧ وانضمت الى البلاد الاسلامية وذلك بهمة الوزير الأعظم محمد باشا الكوبريلي .

وفي سنة ١٠٦٨ استردت أيضاً قلعة يانوه وجعلت كنيستها مسجداً وقد أقيمت معالم الزينة بهذه المناسبة في كل مكان ، وتغنى الشعراء بهذه الفتوحات المتوالية ونالوا الصلاة العميمه على ذلك ، وقد تبرع الوزير بمبالغ طائلة لاعادة تشييد القبة التي تصدعت بمرور الايام على ضريح ثالث الخلفاء الراشدين ، ونخبة أصحاب اليقين وصهر سلطان الكونين أمير المؤمنين عثمان ذي النورين رضي الله عنه في البقيع ، وأرسل خبراء من قبله بصورة مستعجلة لتفقد الضريح المذكور وتشييد ضريح يليق بمنزلته وانارته .

هذه وغيرها من الآثار التي ما زالت باقية ، ثم قام أيضاً بتشييد منارتين في الصحن الشريف اوصي الرسول وزوج البتول رابع الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين علي المرتضى رضى الله عنه ورمم مسجده للقائمين والمصلين .

اما في بغداد دار السلام فقد استملك بعض كنائس النصارى المجاورة لمساجد المسلمين والتي تقع بالقرب من أحد أولياء الله الكرام والمشايخ العظام الشيخ محمد الازهري عليه الرحمة واتخذ منها مسجداً ومعبداً لأهل الهداية وشيد عليه قبة جعلها تحفة للناظرين وقد مدحه

الوالد بالكلمة التالية .

جامع نور سلحدار محمد باشا سنة ١٠٦٩ باشاى مشار اليهه والى مصر القاهرة ايكن أبو النور ايله مكنى المعنين . ان هذا جامع نور السلحدار محمد باشا المشيد سنة ١٠٦٩ .

ولما كان الباشا المشار اليه يكنى عندما كان فى مصر القاهرة بأبي النور فينبغي أن يسمى الجامع أيضاً باسم جامع أبي النور . وقد خصص له وقفاً وخدما وكل ما يحتاج لادامته ، وبالنظر لورود أمر عزله فقـــد بقى قسم من الجامع المذكور لم يتمكن من اتمامه وبقى مهملاً حتى سنة ١٠٧٧ حيث أتمه ابراهيم الطويل واقيمت فيه الجمعة والجماعة . وفي سنة ١٠٧٩ الحق الوزير مصطفى باشا خدم الجامع بقسم الموظفين الذين يتقاضون رواتبهم من الخزينة الاميرية .

وفي سنة ١٠٩٤ أرسلت الدولة إلى بغـــداد السلحشور السلطاني محمد بك لبعض الأمور ، ومحمد بك هذا من الذين نشأوا في نعمة محمد باشا صاحب الجامع فرأى أن يتم نواقصه وزخرفته وجعله يليق بولاية بغداد . وكنت من الذين حضروا تكملة البناية فقلت في هذه المناسبة :

واصل رحمة رحمان محمد باشا والي دار السلام ايكن او ذات اعلا سعى واخلاص ايله بوجامعي قلدى ، بناليك اتمامنه جون اتيمدى ، عمرى ابقا أول سلحشور شهنشاه محمد بك انك يعنى پرودهسى خيرتنى قلدى ، أحيا أول وآخرتى ايله خدايا مقبول رحمتكدن اوله باينسته جنت مأوى بر ادا ايله ديدى ، پير خرد تاريخنى جامع أبو النور محمد باشا سنة ١٠٩٤ .

أى ان المرحوم محمد باشا عندما كان والياً على بغداد قام بتشييد هذا الجامع ولكن الظروف لم تسعفه لاتمامه فسخر الله له السلحشور

السلطاني محمد بك فأتمه في خيراته ونسأل الله أن يتقبل منه مساعيه المشكورة في الدنيا والآخرة وأن يسكن بانيه الأول الجنة ولذا فقد قلت في تاريخه جامع النور لأبي النور محمد باشا سنة ١٠٩٤ .

وكانت بداية حكمه من غرة صفر الخير سنة ١٠٦٧ الى اليوم السابع من شهر ذي الحجة سنة ١٠٦٩ ومدة حكمه سنتان وسبعة عشر يوماً .

حكومة الوزير مرتضى باشا للمرة الثانية

كان الوزير المشار اليه والياً على بغداد قبل هذا ، ثم نقل الى ديار بكر واعيد تعيينه والياً ، وتفصيل خدماته كما يأتي :

كان قد تمرد حسن أباظه باشا في الأناضول واستشرى فساده ، فصدرت الأوامر الى مرتضى باشا بالسفر الى هناك لقمع الفتنة ، والحق به بعض الميرميران والقواد ومقدار من العساكر .

ولما وصل قرب قونية عبأ قواته وهجم على العدو قبل أن يعد العدة ويهيء جنوده للحرب ، وبعد كر وفر وطعن وضرب دارت الدائرة عليه وارتد مخذولاً نحو جهة حلب . وكان بحالة يرثى لها . وهناك جمع أشتاته وراح يستعد لأعادة الكرة ثم سار نحو خصمه .

ولما بلغ بلدة كليس رأى القحط ضارباً فيها أطنابه ، ووجد نفسه غير قادر على الحرب فركن الى طريقة سلمية وهي الاتصال بعدوه المتمرد والسعي لاصلاح ذات البين ، وأرسل اليه من يتوسط له وتم له ماأراد

وتقدم لزيارته كل من حسن أباظه باشا وأحمد باشا الطيار وصارى كنعان باشا وعدد من الميرميران والأمراء فقام لهم بواجب الضيافة ورحب بهم وبعد مكوثهم عنده بضعة أيام تم الاتفاق على القاء السلاح

وزالت أسباب الخصومة والنزاع ، ولكنه في سنـــة ١٠٦٩ نكث ذلك الاتفاق وقتل حسن أباظه باشا وأسر أصحابه الآخرين وسيرهم الى مقر الدولة العلية ثم عاد الى ديار بكر .

وفي بغداد قام بكرى نهر الدجيل التابع لبغداد بعدما كان مهملاً مدة طويلة وبذلك ارتفعت الايرادات من غلاته ، وتمكن من تقديم مائة كيسة نقداً الى الدولة العلية سنوياً مع الفي طغار من البارود وبذلك تم تثبيته في ولاية بغداد .

ولما وصل بغداد كان اول عمل قام به جرد الخزينة وسجلاتها واكتشافه نقصاً فيها يقدر بستمائة كيسة من النقود بذمة الوالي السابق محمد باشا ، فطالبه بها وتشدد في المطالبة .

ولما كان محمد باشا من جماعة الوزير الأعظم محمد باشا الكوپريلي زاده فقد خفض المبلغ الى مائة وستين كيسة استوفاها منـــه بعضها بأقراض لأجل غير معين ، وما تخلص منه الا بشق الانفس ، وبعدئذ أهداه خنجراً مرصعاً لازالة ما علق في قلبه . ثم أصدر أوامره الى حكام القرى والنواحي طالباً منهم أن يجمعوا له مقداراً من العمال والفلاحين يقدر عددهم ما بين ثلاثة وأربعة آلاف واحضارهم ليباشروا حفر نهر الدجيل ، وتم له ماأراد وطهر النهر المذكور خلال ثلاثة أشهر وكذلك طهروا فروعه وجرى الماء فيه كسابق عهده ، وراح الناس يزرعون على مائه وبذلك قلل عدد العاطلين وهذه حسنة من حسناته وأثر من آثاره ما يزال باقياً .

وكذلك استطاع أن يجمع من الموظفين بطريقة التبرع ما يتجاوز قيمة المائة كيس المفروضة عليه من البارود . وبقيت هذه الطريقة متبعة حتى اليوم ، وبذلك خفف من كاهل الخزينة .

وما عدا هذا فانه كان لا يقطع هداياه عن السلطان ورجال الدولة وصارت عادة متبعة من قبل الولاة لكسب رضاء رجال الدولة على حساب أقوات الرعايا والموظفين . وفي زمنه كان القرش في خزينة بغداد يساوى ثمانين پاره ، ولكنه يقدر الآن بتسعين پاره ، وكان يستوفي الرسوم على حساب الپاره لزياد ايراد الخزينة بالرغم من الضيق الذي يعانيه الرعايا .

وما عدا ما تقدم كان الباشا يقوم بأعمال غير مرضية ولا تليق بمنصبه ، وكان ينصب خيامه في برية بغداد ويقيم فيها حفلات الانس والطرب ويجمع فيها المغنيات ويرتكب الفحشاء ، وخلاصة الكلام أنه كانت تصدر عنه تصرفات شاذة وكان يحب الظهور بمظهر العظمة ويتشبه بالملوك وانتفخ غروراً ونسى قوله تعالى : « سنستدرجهم من حيث لايشعرون » .

وقد شاهدت بأم عيني أن الباشا كان يقسر صيادي السمك على أن يقدموا له يومياً عشرين سمكة دون أن يدفع لهم ثمنها وكان أيضاً يختلط بالأهليين ويجلس في المقاهي ويصدر أوامره وأحكامه من هناك .

ومن غرائب عاداته أنه كان قاسياً ، يعاقب على أقل هفوة أما بالحبس لمدة طويلة وأما بمصادرة الأموال أو بالتعذيب حتى الموت .

وفي سنة ١٠٧٠ كان النصر في كل الجهات حليف السلطان ومن يمن طالعه ان راية الظفر كانت ترفرف على البلاد التي فتحها ، وانه بعدما حاصر قلعة رواد تمكن من فتحها وتغلب على حاميتها ، وزفت البشائر بهذا الفتح إلى كل مكان وخاصة بغداد حيث اعلنت فيها الافراح ثلاثة أيام بلياليها واقيمت فيها معالم الزينة ،

وكانت مدة حكم الباشا هذه المرة ابتداءاً من اليوم العشرين من

شهر ذي الحجة من سنة ١٠٦٩ الى التاسع من شهر رجب سنة ١٠٧٢ سنتين وسبعة أشهر ويومين .

وبعد عزله عن بغداد عهد اليه حكم الاناضول ثم جزيرة كريد ثم تغلبت عليه الأوهام والوساوس وفر نحو صديقه بن سيد خان في كردستان ولم يلتفت الى نصائح المقربين اليه ، وهناك نفر من تصرفاته رؤساء العشائر فقبضوا عليه وحصلت بسببه اضطرابات كثيرة بينهم ومشاغبات ضد الحكومة العثمانية ، ولاجل تهدئة الحالة أرسل السلطان محمد باشا والي ديار بكر الى هناك وقبض على مرتضى باشا وكان في حالة يرثى لها وأرسله إلى مقر السلطنة . وقد قال بعض الفضلاء ان الفترة الأولى من أيام حكمه تعتبر من قبيل الاستدراج ، وأما الفترة الثانية فانها كانت اندراجه تحت المذلة والهوان لكي يعتبر أمثاله .

حكومة الوزير مصطفى باشا الأحدب

ان هذا الوزير كان رجلاً طاعناً في السن واحدباً ، ولذلك سمى قنبور مصطفى باشا وكان قبل هذا قائداً لحرس الانكشارية ، وقد اختاره السلطان والياً على بغداد ، وفي الزمن الذي فتحت فيه من قبل السلطان مراد خان كان المومأ اليه يقضى أوقاته مع الجوربه جيه (١) ، وبعدهم عاشر الاغوات .

وفى هذه المرة يصبح حاكماً جليل القدر ، وله مع البغداديين معرفة قديمة ، وبسبب هذه المعرفة أزال من بينهم الكثير من أسباب الخصومات ورفع عنهم بعض الضرائب والرسوم ولا سيما رسوم ايجار

(١) الجوربه جى معناه ضابط الاعاشه المترجم

دور الأمراء والموظفين ، وصار يدفع أجور المنازل التي يسكنون فيها من كيسه الخاص .

وفي سنة ١٠٧٣ جهزت الدولة العثمانية حملة قوية ضد الأعداء برئاسه الصدر العالي القدر فاضل أحمد باشا ، وقد تشرف هذا بتوديع السلطان وتحرك في اليوم الخامس من شهر رمضان وظل يقطع البراري والقفار حتى وصل بلدة بودين ، وراح يدبر أمر عبور شط طونه . وبينما كان الجنود يعبرون إلى الجانب الثاني إذ باغتهم سكان أويوار والتحم الجيش مع جيش البطريق ، وبعـــد مصادمات وحروب قاسيه لاحت علائم الظفر والغلبة بجانب قوات الدولة العليه إذ تمكنت من دحر قوات العدو وهزمتها وتعقبتها إلى ان دخلت البلدة ورائهم ، وفي اليوم العشرين من شهر صفر سنة ١٠٧٤ استولت على القلعة وضمتها الى بقية ممتلكات الدولة واستولت أيضاً على ما فيها من معدات عسكرية وذخائر حربية ، واقيمت بهذه المناسبه وسائل الزينه والافراح ، ووصلت أخبار هذا الفتح الى بغداد فأقيمت أيضاً المراسيم المعتادة .

وفي هذه الفترة اعتبر الوزير العجوز والي بغداد من ذوي الخبرة في حكم البلد ، غير انه ابتلى مؤخراً بتعاطي الافيون ، ومال الى الدعه وصار يغضب لاوهى الاسباب ويأتي بأعمال تبعث على الهزوء به والسخرية وترك امور البلد بعهدة كتخداه .

ولما تثاقل ووجد نفسه انه لم يعـد قادراً على ادارة دفـة الحكم وانه أصبح العوبة بيد حاشيته وانه صار يسمع الاهانات وكلمات التحقير باذنه تخلى عن منصبه وفر خوفاً على حيـاته ، وكانت مدة حكمه من اليوم العاشر من شهر رجب سنة ١٠٧٢ الى اليوم العشرين من جمادى الاولى سنة ١٠٧٤ سنة واحدة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً .

حكو الوزير مصطفى باشا بامبوغ (١)

قضى مصطفى باشا زهره شبابه في كنف السلطان ونعمته واشتهر باسم مصطفى باشا بمبوغ ، وقد عهدت إليه ولاية بغداد منقولاً من ارضروم ، واتفق عند وصوله ورود خبر ولادة الامير مصطفى فاقيمت الزينات ومعالم الافراح مدة سبعة أيام بلياليها ، وبهذه المناسبة ألقى الأديب عبدي اغا خطبة قال فيها :

حمداً لله كلدى بر شهزاده والانسب صلب پاك حضرة سلطان محمد خاندن شرقدن غربه وارنجه كائناته مزده لر ناكهان برفيض ايرشدى عالمه سبحاندن جونكه طوغدى برمه غرا كى اول افتاب اسمان دولت واقبال وعز وشاندن ديديلر ، اسم معلى سنى سلطان مصطفى بويله فرمان اولدى زيرا كم شه دوراندن والد وماجدارين مولا معمر ايليوب حفظ ايده اول قرة العين دخى احزاندن عبدى داعى ديدى . شهزاده نك تاريخنى عز ايله بر نور كلدى سايه‌ء رحماندن :

أما الوزير فانه لكونه في مقتبل العمر كانت تصدر عنه بعض التصرفات التي تدل على عدم اتزانه في اعماله وتدل على قلته خبرته وتبعث على انتقاد الناس له ، وقد استولى على بعض الدور المجاورة للسراي الخاص بطريقة الاستملاك وضمها الى السراي المذكور دون مراعاة لحقوق الجوار ، في الوقت الذي كان يجب عليه عدم التعرض لهم لانهم بجوار ، ولأن حق الجار على الجار ، ولكنه فعل عكس هذه القاعدة اذ استولى على املاكهم بالاكراه وبمبالغ زهيدة أقل بكثير من قيمة

(١) بمبوغ معناها القطن — المترجم

املاكهم ، وصار بعمله هذا مضغة في أفواه الناس ، يدعون عليه ودعاء المظلوم كالسهم .

ومما يرويه الثقات انهم عندما نقل من بغداد كانوا يقولون : ان حسين بن منصور الحلاج قد حلج قطنه . وأخيراً فانه لم يتمتع في حياته كثيراً بل تمرض واخترمه الموت وانتقل الى دار البقاء ودفن في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وكانت بداية حكمه من اليوم الثامن والعشرين من شهر جمادي الاول سنة ١٠٧٤ الى اواخر ذي الحجة من السنة المذكورة ومدة حكمه اقل من ستة أشهر .

حكومة الوزير قره مصطفى باشا

كان هذا الوزير يسمى قره مصطفى باشا ، وكان حسن الصورة حلو اللسان وكان في سنة ١٠٦١ والياً على بغداد وبعده نقل الى دياربكر وحلب ومصر القاهرة ، ثم كثرت ضده الشكاوي وغضب عليه السلطان فعزله وجيء به الى الاستانة ، وفي طريقه سمع ان الذي عين بمكانه هو اباظه حسن باشا ، فترك أمتعته وامواله في اماكنها وسافر وحده الى استانبول حيث اختفى هناك .

وبعد مرور مايقرب من السبع او الثماني سنوات على اختفائه صدر العفو عنه وأعيد الى منصبه ورشح لولاية بغداد ، ولما وصلها اتخذ شعار الدروشة وانصرف عن معاشرة الاصحاب ومال الى العزلة والدروشة وعامل الناس بلطف وبشاشة وصار يمشي على القاعدة ، من تواضع رفعه الله ومن عذب لسانه كثر اخوانه ، وكانت ايامه ايام دعة وأمن وسكون .

ولما تولى بغداد قبل هذه المرة كان قد رزقه الله ولداً اسمه محمد

بك فقام في هذه المرة بختانه حسب السنة السنيه ، واقيمت له الافراح لمدة سبعة أيام واولم للجميع وليمة فاخره . وكان ينهض للقادمين ويستقبلهم بالاجلال والتكريم والترحيب فكانوا له ، السنة شكر وثناء .

وكانت بداية حكمه من سلخ صفر سنة ١٠٧٥ الى اليوم السادس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة ، ومدة حكمه ثمانية اشهر وستة وعشرين يوماً .

حكومة الوزير ابراهيم باشا الطويل

كان هذا الوزير من خدم السلطان . وكان معروفاً بالصلاح والاستقامة ويلقب بالطويل ، وتقديراً لخدماته عهدت اليه ولاية بغداد ، وحدث على عهده ان حاكم البصرة الفيحاء الوزير حسين باشا كان على خصومه مع متصرف الاحساء محمد باشا وانه تمكن من عزله وتشبث بضم الاحساء الية دون أخذ موافقة الدولة العلية .

وجهز حملة عسكرية لهذا الغرض وتمكن من الاستيلاء عليها وتغلب على قوات المتصرف السابق ، ولكن شريف مكة المكرمة الشريف زيد توسط لدى الدولة العليـــه وأعادها كما وأعاد متصرفها الى مقره فيها كالسابق ، وصدرت الاوامر الى الوزير ابراهيم باشا بالسفر لتأديب حسين باشا على سوء أعماله ، كما وصدرت الى والي ديار بكر ابراهيم باشا وحاكم الرقه صاري محمد باشا ووالي شهر زور الوزير كنعان باشا ليلتحقوا بوالي بغـداد وليعاونوه على انجاز هـذه المهمة ، وعينوه قائداً أعلى لهذه القوات .

وعليه فقد استدعى حاكم الاحساء محمد باشا المار الذكر من

مكة المكرمة فجاء الى بغداد ، وبعد تجمع هذه القوات العظيمة أرسل امامه مقدمة من العساكر تقدر بألف مقاتل . وأرسل معهم الى حسين باشا كتاباً يطلب اليه الخضوع للدولة العليه ويقدم لها معذرته ويتضرع اليها للعفو عنه قبلما تدور عليـــه الدوائر ويندم ولات ساعة مندم ، وأكثر من استمالته بالترهيب والترغيب . فكان جواب حسين باشا يتضمن الرفض والاباء ، ولم يابه بالقوات التي تزمع المسير لمحاربته .

وبعـــد ارسال الجواب أرسل أهله وعياله وأمواله نحو الحـدود الايرانيـــة ، وسافر هو وأتباعه وعساكره نحو القرنة وتحصن فيها وتهيأ للحرب .

اما القائد الأعلى ابراهيم باشا فانه بعـد اكمال تجهيزاته تحرك من بغداد الى البصرة في أواسط جمادى الأولى سنة ١٠٧٦ ولما قاربها وسمع به حسين باشا ظل على اصراره وعناده في عصيان أوامر الدولة العليه .

وبعد مشاورة الوالي مع الامراء سخروا من تمرده واستخفوا به وبقوا يعللون أنفسهم بأنه سيوفد اليوم أو غـداً من يلتمس له العفو ، ثم قرر القائد الأعلى نقل معسكره الى الرماحية بانتظار ورود ما يشعر برغبة حسين باشا في التسليم وكتب اليه بهذا الصدد ، غير ان حسين باشا أجابه بما زاده حنقاً وغضباً ، فما كان من القائد الأعلى إلا ان أوعز الى القوات التي تحت امرته بالتحرك فوراً نحو المتمرد ، ووصلوا قرب البصرة وعسكروا في محل يسمى المنصوريه .

وهناك تقابل الفريقان وتصادم الصفان ، وبعـد اربع أو خمس ساعات من التراشق واحرزت القوات العثمانية بعض التقدم ثم داهمهم الليل ونصبوا خيامهم حوالي الجزائر وهنـاك نصبوا جسراً عبروا عليـه

باتجاه البصرة فوجدوها محصنة تحصيناً قوياً ، وعندئذ انعطفوا نحو القرنة وعبروا عن طريق شط العرب .

ولما اقتربوا منها قرروا ضرب الحصار عليها وأقاموا هناك ريثما يردهم العتاد من بغداد ، رقد اشتد برد كانون عليهم ولم يتمكنوا من الاستيلاء على البلدة المذكورة لمنفعتها وقوة استحكاماتها ومع ذلك لم ينقطعوا عن التراشق مع العدو بما لديهم من الاسلحة .

أما حسين باشا فانه ارسل والده الى ايران للاتفاق مع المسؤولين على تجهيزه بمقدار من الاسلحة والعتاد وبقى هو ومن معه فى تصادم مع القوات الرومية ، وكان معه قوات تقدر بالفين او ثلاثة آلاف مقاتل من اتباعه وخمسة الآف مقاتل من الجزائر .

أما السفن الموجودة في البصرة والمشحونة بالاموال التجارية فقد تمكن من جلبها الى القرنة واستولى على حمولاتها وطرد أصحابها فعادوا الى البصرة ، وهؤلاء عنـــد وصولهم احدثوا هرجاً وشغباً لعدم وجود حكومة فيها فاضطر الأهلون الى الكتابة الى القائد العـام يرجونه ان ينقذهم وينقذ البلدة بتعيين حاكم عليهـا لضبط النظام والمحافظة على الامن ، ورشحوا في كتابهم احد التجار البارزين المسمى صولاق حسين فوافق على ذلك وارسل اليهم الآف النشرات يحث فيها الأهلين بالتزام الهدوء والطاعة .

ولما كان التجار لهم ارتباطات مع العدد الكثير من المشايخ الثائرين واتباعهم ولا يسعهم نقضها فقد اصبحوا بين نارين كما وان الشيوخ الموجودين هناك كتبوا الى حسين باشا بهـذا الصدد وطلبوا ان يمدهم ببعض القوات الطوارىء مع ان البصرة محصنة تحصيناً كاملا ، وقد ارسل اليهم فعلاً عدداً غير قليل من قواته العربيه لحمايتهم واضرب

الخارجين عليه ، وعند وصول هؤلاء هجموا على سكان البلدة وخلال ساعتين فقتلوا الكثير من التجار والمشايخ واستحوذت عليهم نشوة الظفر وراحوا يفعلون مايشاؤون لانهم في مأمن من العساكر السلطانيه ، ثم زادوا في تحصين البلدة التي دخلها افواج من اعراب شط العرب ونهبوا أموال التجار وهجموا على البيوت ومن جملتها بيوت المشايخ آل عبدالسلام وقد قتلوا منهم كفلاً وسرّى .

وبالنظر لهذه الفوضى مال الناس بطبيعتهم نحو القوي وهو حسين باشا ، واختفى البعض الآخر وتمكن آخرون من الهرب الى جهة معسكر القائد الأعلى وبذلك انقذوا أنفسهم .

وفي هذه الاثناء وصل الى القيادة الشيخ علي شديد والأمير رشيد من الامراء الموالين للدولة على رأس قوة تقدر بثلاثمائة رجل ولكن عند اقترابهم من كوت المعمر تصدت لهم بعض عشائر المنتفق من اتباع حسين باشا فطردوهم وعادوا من حيث اتوا .

أما قوات الدولة التي تحاصر القرنة فانها بالرغم من الهجمات المتكررة لم تفعل شيئاً ، وقد طلب القائد العام مرة اخرى عدداً من بغداد ، فارسلوا اليه مايقرب من الستمائة مقاتل بضمنهم انكشارية بغداد المجهزين بالمدافع وبمختلف الاسلحة ، فترك الباشا أفراد الانكشاريين في المنصورية لحراستها واخذ الباقي واضافهم الى القوات التي تحاصر القرنة ، ومع كل الجهود المبذولة فانهم لم يتمكنوا من التغلب على الثائرين او احتلال البلدة .

وطالت أيام الحصار وازداد عناد المتمردين يوماً بعد يوم وجمعوا هم ايضاً المعدات والذخائر بعكس قوات الدولة التي تناقصت معداتها وذخائرها وارزاقها ، ولما رأوا عدم جدوى هذا الحصار أرسل والي ديار

بكر الوزير ابراهيم باشا كتاباً الى حسين باشا يرغبه في القاء السلاح ويحثه على اصلاح ذات البين وازالة سوء التفاهم الذي ادى الى هذه النتيجة ، وتعهد له بانه سيتوسط لدى الدولة العلية بالعفو عنه وعن جماعته المتمردين ، وانه قوي الامل بالحصول على العفو ، على أن يدفع للدولة نقداً خمسمائه كيسه وبعدها يقدم سنوياً مائة كيسه ، ورد مانهب من أموال التجار الى أصحابها ، وتعيين ولده افرا سياب نائب حاكم على البصرة ، والموافقة على اعادة محمد باشا الى مقر حكمه في الاحساء ، فوافق حسين باشا على هذه الشروط واعتذر عما بدر منه واعلن الخضوع والاستسلام .

ووافق أيضاً القائد العام بأعتبار أن الصلح سيد الأحكام ، ورفع هذا القرار الى الدولة العلية التي وافقت عليه ، وبعد زوال أسباب النزاع أرسل محمد باشا الى مقره في الاحساء بواسطة السفن ، يصحبه مائتان من الجنود لحمايته ، أما الباقون فقد عادوا الى بغداد بواسطة السفن التجارية أيضاً وكذلك نقلوا أسلحتهم وعتادهم بها .

وفي سنة ١٠٧٧ توفي الشاه عباس الثاني شاه ايران ونصب ابنه الشاه سليمان بمكانه . وفي هذه السنة أبطلت الطريقة المولوية ومنعت من الرقص والغناء وذلك بموجب فتوى الواعظ محمد أفندي ، وأجاز لهم استعمال الناي في أذكارهم دون القيام بأية حركة .

لقد كانت بداية حكم الباشا من اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٠٧٥ الى اليوم الثالث عشر من شوال سنة ١٠٧٧ ومدة حكمه سنة واحده وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً .

حكومة الوزير قره مصطفى باشا

أن هذا الوزير تولى الحكم في بغداد مرتين قبل هذه ، وقد سبق أن حسين باشا والي البصرة كان قد عرض طاعته للدولة العلية وصفحت عنه وشطبت على أعماله السابقة وعينت ولده أفرا سياب لولاية البصرة ولكنه لم يقم بما يجب عليه بل تملكه الغرور واندفع يحيط نفسه بما كان يتمتع به ملوك الطوائف ويبذر بغير حساب للظهور بمظهر العظمة والفخفخة وعاد يناصب حاكم الاحساء العداء ثم دخل في نزاع مع ابراهيم باشا وهدده بالانقلاب والتمرد ، وزاد عتوه على وجهاء البصرة وأعيانها وتجارها .

ولم يكن أقل من أبيه فى التمرد على الدولة العلية واندفع يعمل ما يشاء بدون تعقل ، وقد أدت أعماله ومخالفاته الى قيام الأهليين على عرض مظلمتهم على السلطان والتمسوه أن ينقذهم من شروره وشرور أبيه حسين باشا ، فاستشاط السلطان غضباً لاسيما وان الرسوم المخصصة لخزينة الدولة سنوياً وقدرها مائتا كيسة الذي تعهد حسين باشا بتقديمها قد انقطعت او أهمل تقديمها وكذلك أهملت الشروط التي اتفق على تنفيذها .

وعليه فقد صدرت الارادة باعهاد حكومة البصرة الى الكتخدا يحيى أغا . ولأجل تنفيذ هذه الارادة أحيل أمرها الى والي بغداد قره مصطفى باشا ، وصدرت الأوامر أيضاً الى والي ديار بكر ، ومحافظ شهر زور الوزير كنعان باشا ، وميرميران الموصل والرقه موسى باشا ليكونوا على استعدادهم وقواتهم تحت قيادة والي بغداد فتجمعت قواتهم

ومن بينها الف وخمسمائة انكشاري اضافة الى عساكر بغداد الشجعان

ولما علم حسين باشا بدنوهم اضطرب وزلزلت الارض تحت أقدامه هلعاً ورعباً ، ثم تمالك نفسه وأخلى مدينة البصرة من سكانها بالاكراه وجاء بعشائره وأتباعه وأسكنهم هناك واتخذ الاحتياطات الدفاعيــة وأرسل عياله وأمواله الى الحدود الايرانية ، ثم اتجه نحو القرنة لاعادة تحصينها وتحكيم قلاعها ، وبعد اكمال استعداداته استصحب معه ألفي مقاتل من رجاله المتصفين بالبسالة والاقدام وسار بهم الى المكان المسمى سخاب وأقام فيه .

أما الباشا قائد القوات فقد أوعز الى كل ميرميران الموصل موسى باشا ومير لواء جصان خلف بك بالتقدم أمامه بواسطة السفن ، أما هو وبقية القوات فقد تحرك حسب الخطة المرسومة ، في اليوم السابع من جماي من الأخر سنة ١٠٧٨ حتى وصل الى قلعة قوشلر فحط رحاله هناك بضعة أيام واصل بعدها سفره الى الاسكندرية ومن هناك اتجه الى زيارة سليل حيدر الكرار ونور عين أحمد المختار الامام الجلي أبي عبد الله الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهما ،

وبعد اداء الزيارة اتجه نحو الحلة ومن هناك عطف على زيارة الامام الهمام وعند عودته سافر الى الشنافية ، ثم اذن لبقيه الوزراء والأمراء بزيارة الروضة الرضية لأسد الله الغالب ومظهر العجائب رابع الخلفاء أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله وجهه الابهى ، ثم سافروا الى الرماحية ومنها الى العرجه حيث مكثوا فيها مدة بانتظار ورود السفائن . وفى صباح يوم العشرين من رجب المرجب صدرت الأوامر بالحركة . وكانت العساكر كامواج البحر اوكسيل العرم تندفع وتتماوج حتى وصلوا كوت معمر ، فتصدى لهم أحد شيوخ عشيرة المنتفق المسمى

شيخ عثمان مع حوالي الألف من أتباعه وأراد أن يقطع عليهم الطريق فأزاحوه وواصلوا سفرهم حتى وصلوا الى المحل المسمى منصوريه ، ومن هناك استأجروا سفائن لنقل القوات والمعدات ، ودفعوا عن كل سفينة أربعمائة پاره حتى وصلوا الى شط العرب وحاولوا عبوره من المكان الذي سبق لابراهيم باشا أن عبره بمنتهى المشقة .

ولما كان مرورهم من ذلك المكان لا يخلو من محاذير ربما تعيقهم عن الوصول في الوقت المناسب ، فقد اتجهوا نحو الجزائر . ولاجل بث الرعب في قلوب المتمردين أوعز الى حاكم الرقة دلاور باشا . أن يأخذ قواته ويسير بها من الجانب الايمن ، أما حاكم الموصل وقائد قوات الانكشاريين فانهم تقدموا الجيش بواسطة السفن . وتبعهم بعدئذ القائد الأعلى وبقيـــة العساكر ووصلوا الجزائر . ونظراً لكثرة الأنهر العميقة والجداول الواسعه التي تحول دون مواصلتهم السفر فقد انشغلوا باتخاذ ما يلزم لرفع هذه الموانع .

وفي غرة شعبان وصلوا ديار بني اسد وضربوا خيامهم وعسكروا هناك .

أما حسين باشا فقد جمع حوله ما يقارب الخمسة آلاف من رجاله بكامل أسلحتهم وقبعوا يتربصون بالجيش خلف النهر ، وأخفوا حوالي المائة مشحوف لوقت الحاجة ، وأخيراً أطلقوا النار على القوات العسكريه التي تقدمت منهم فقوبلوا بالمثل واشتد الرمي واستعملت المدافع ، واستبسل الطرفان في القتال .

وبينماهم على هذه الحالة ، تقدم من جانب البادية حاكم الرقة دلاور باشا وهجم بقواته على حصون الثوار من الجانب الايمن فاضطربوا عندئذ ثم مالوا إلى الفرار بواسطة المشاحيف التي كانوا قد أخفوها

لوقت الحاجه ، وقد قتل منهم حوالي الخمسمائة رجل وغرق ثلاثمائة وانهزم الباقون هنا وهناك .

ثم عبرت قوات الحكومة الباقيه واقتربت من البلده ، واتخذت لها مواقع للقتال وذلك في اليوم الثالث من شعبان من السنة المذكورة ونصبوا جسراً للعبور تحت حراسة كل من قوات الوزير كنعان باشا ودلاور باشا ومن بعض المتطوعين ، وبعد ذلك تقدم القائد الأعلى وبقية القوات وعبروا الشط .

وفى اليوم الرابع من شهر رمضان من السنة المذكورة اصطدموا بالثوار الذين تجمعوا خلف شط زكيه الذي اتخذه حسين باشا وجماعته من أعراب الجزائر مقراً احتياطياً ، ولاجـل اصطيادهم أمر الوزير ابراهيم باشا والي ديار بكر بعبور شط زكيه بأي طريقة كانت فعبره هو وقواته وتمكن من دحر الثوار إذ فروا نحو الجهة الايرانيه بعدما تركوا الكثير من القتلى .

وفي الصباح مع قول المؤذن الله اكبر ، دخلت المدينة قوات الحكومه وقتل من الذين كانوا يحاربون الجيش حوالي الاربعين رجلا ثم صدر العفو عن الآخرين رسمح للهاربين بالعودة الى بلدتهم وبيوتهم آمنين مطمأنين ، وتحركت القوات واحتلت البصرة بكاملها ، ونصب يحيى باشا حاكماً عليها ، وتبركوا بزيارة روضتي الصاحبين الاكرمين الزبير وطلحه رضى الله عنهما ، وبعـد ذلك عادوا الى القرنة وهناك عينوا لمحافظتها حوالي الخمسمائة جندي انكشاري وثلاثة الاف جندي أهلي ، واوعز الوالي بترميم الأمكنة التي دمرتها الحرب .

وجعلت رواتب ومخصصات هذه القوات على حساب واردات البصرة لوفرتها ، وارسلت بشائر هذا الانتصار إلى الدوله العليه التي

شكرت مساعي الامراء على ما بذلوه من جهود وانعمت عليهم بالرتب والخلع السنية وارسلت سيفاً مرصعاً للوزير ، أرسلته صحبته المرافق خليل اغا .

وما عدى هذا عينت ابنه محمد بك حاكماً على شهرزور ، وعينت اخاه أسعد دفتر داراً لولاية بغداد واخاه الثاني محرراً للواردات وبانتهاء سنة ١٠٧٩ عمر اخوه محمد بك جامع الامام الأعظم ووسعه واصلح طاقه

وفي اواخر السنة المذكورة رفض حاكم البصرة ابقاء الدفتر دار كما رفض اعطاء رسوم العليف لحيوانات الجنود بحجة ان الدوله لم تشترط عليه وجوب دفع هذه الرسوم ، وهذه الحركة أدت الى تخديش صدر الباشا الأمر الذي حمله على السفر الى البصرة على رأس قوة عسكرية وعند وصوله الى كردلان أحاط بالمدينة من كل جهاتها ثم دخلها ولم يتعرض لشيء فيها وابقى كل شيء على ما كان عليه .

أما الدفتر دار والقائد الأهلي فبالنظر لاعمالهما التي لم تكن مرضية فقد اتهمها بسوء السلوك وصدر الأمر بزجهما في السجن ثم جيء بهما الى بغداد حيث اودعا القلعة ، أما يحيى باشا فقد فرّ الى القرنة هو واتباعها حيث اصطدم بقواتها ، وبالنظر لكثرة اتباعه طلبت تلك القوات من الوزير مدداً من بغداد .

وهذه المعلومات تلقاها الوزير بانزعاج ، واضطر الى ارسال مقدار من عساكر بغداد وكذلك أوعز الى أمير جصان وامراء البيات وباجلان بالسفر الى هناك وبعد عبور هذه القوات شط زكية اصطدم بها يحيى باشا وحاول سد الطريق عليها ولكنه خذل أخيراً ، وقتل من أتباعه حوالي الخمسمائة رجل كما وقتل أمير جصان .

وقد أخبرت الدولة العلية بهذه الحادثة فأصدرت أوامرها الى

والي ديار بكر الوزير عمر باشا ووالي الموصل محمد باشا جاوش زاده وميرميران شهر زور حسن باشا وحاكم الرقة علي باشا بوجوب الالتحاق بوالي بغداد هم وقواتهم وجعلت الوالي المذكور قائداً عاماً لهذه القوات وتركت له حرية العمل فيما يجب اتخاذه بحق المتمردين .

وقد شمر عن ساعد الجيش وأوعز الى والي البصرة مصطفى باشا بأن يجمع قواته ويكون على أتم الاستعداد ، وخلال شهر صفر من سنة ١٠٨٠ تحرك من بغداد وبعد مرور شهر وصل قرب القرنة ، ولما سمع يحى باشا اضطرب واعتراه الخوف من النتيجة ولذلك هرب الى الهند لعدم تمكنه من الثبات أمام هذه القوات ، واحتل الوزير مدينة القرنة ثم وصل بعد ذلك بعشرة أيام والي شهرزور وقواته ووالي الموصل وقواته وانضموا الى القوات التي تحت قيادة والي بغـــداد وعسكروا حوالي البلدة .

أما محافظ دياربكر فقد عسكر فى المكان المسمى العرجه ، وقد رحب بوصولهم الوزير وبعد ذلك عادوا الى بغداد بعد استتباب الأمن .

أما القائد العام فقد تحرك من القرنة الى البصره وعند وصوله لم تقع أية حادثة ، وأكد على حاكمها مصطفى باشا بوجوب السيطرة التامة عليها وضبطها ثم عاد الى بغداد دار السلام فوصلها في رجب من السنة المذكورة .

هذا وبعد حروب امتدت خمسة وعشرين سنة استولت الدولة على أكبر قلعة من قلاع جزيرة كريد التي تسمى قنديه ، ثم حوصرت الجزيرة من قبل الوزير الأعظم والسردار الأكرم كوپريلى زاده فاضل أحمد باشا وبعد مرور سنتين ونصف من حصارها فتحت الجزيرة برمتها وملحقاتها وضمت الى بقية البلاد الاسلاميه .

وقد سرت البشائر في كل مكان بهذا الفتح الكبير وأقيمت مراسيم الافراح في بغداد لهذه المناسبه وهنا تواردت على خاطري بعض العبارات التي قدمتها للتهنئة وذكرت فيها أن هذا الفتح الأحمدي وقع سنة سنة ١٠٨٠ .

هذا وقد سبق أن دفتر دار البصرة وصاحبه القول اغاسي اللذين كاناقد أودعا السجن فقد أطلق سراحهما لهذه المناسبة ، ولكن بعد مرور بضعة أيام وشيء بهما بعض الدساسين والمغرضين فأعيد القبض عليهما ونفيا من البلد ثم أعدما . وقد استكثرت الدولة العليه عدد العساكر الموجودن في البصره وأمرت بانقاصهم الى الحد المناسب ، كما وان والي البصره وجد ان الواردات لا تكاد تسد المصروفات ولا يستطيع جمع المائتي كيسه وتقديمها الى خزينة الدوله سنوياً ولذلك كتب الى المسؤولين يلتمس منهم النظر في امر تنزيلها الى المقدار الذي يستطيع تقديمه لكي يخفف عن كاهل الأهلين وإلا فانه يقدم استقالته من تحمل هذه المسؤولية .

ولما كان الوزير قد أعلم الدوله في بداية فتح البصره ان وارداتها تسد الاحتياجات وتتمكن من تقديم الحصه المقرره ، فانها قابلت طلبات والي البصره بغضب وبعدم اكتراث ، واوعزت إلى والي بغداد بوجوب السفر الى هناك واتخاذ ما يلزم بهذا الشأن ، وعليه ففي أواخر جمادي الآخره من سنة ١٠٨١ توجه الى هناك فوصلها فى أوائل شعبان من السنة المذكوره وأقام في المكان المسمى رباط .

وبعد استراحة قدرها خمسة عشر يوماً لم يتمكن من المكوث فى المكان المذكور بسبب كثرة هطول الامطار وانتقل الى المدينه ونظم امور الخزينه من الناحيه الحسابيه والرسوم والضرائب وتمكن من ايجاد

تسوية بين الوارد والمعروف وأرسل نسخة من تقريره الى الدوله العليه وأورع صورة منه في خزينة البصره ، وبعدئذ عاد الى بغداد فوصلها في اواسط ذي الحجة من السنة المذكوره ، وقد حاز تقريره الاعجاب والقبول لدى الدوله العليه واصدرت أوامرها بالحاق البصره اليه .

وكانت بداية حكمه من اليوم الرابع عشر من شوال سنة ١٠٧٧ الى سلخ ذي الحجه سنة ١٠٨١ ومدة حكمه أربع سنوات وشهران وعشرة أيام .

حكومة الوزير حسين باشا

كان هذا الوزير برتبة سلحدار ، وكان من ذوي المقدره واللياقه للوظائف التي تعهد اليه ، ولذلك اختير لولاية بغداد . وعند وصوله وجد نزاعاً حاداً ما بين كاتب الديوان عدلي مصطفى افندى ومعاون الوالي السابق .

ولما عجز الوالي من ازالة سوء التفاهم ما بين الاثنين . عرض أمرهما على الدوله العليه وسافر الى البصره ، وبعد بضعة أيام عاد ثم تحرك ركابه العالي الى زيارة المراقد الشريفة في كربلا والنجف الأشرف .

ولما رجع وجد التنازع بين الاثنين على أشده ، وان عدلي أفندي يكاد ينقلب إلى حيوان مفترس ، واخذ يقوم بأعمال كيفية ، منها انه أغفل الوالي وأصدر امراً بمعاقبة اثنين من أصدقائه لخصومة قديمة ونفاهما من البلد ، وقد عوقب على هذا التصرف الشاذ ، ثم حضر إلى بغداد رئيس بوابي السلطان خضر اغا من استانبول وبعد قيامه بالتحقيق

من هذا وذلك لمعرفة أسباب هذا الخصام . دخل هو أيضاً في شجار مع عدلي افندي وقدم تقريراً عنه إلى المسؤولين في الاستانه .

وعند حلول سنة ١٠٨٣ ورد خبر وفاة والي البصره لابتلائه بمرض خطر ، فكان لوفاته رنة حزن لدى عارفيه ، وصدر الأمر بنقل والي الموصل حسن چلبي باشا الذي كان من الاتفاق الغريب في بغـــداد إلى البصره .

هذا ولما ورد إلى الاستانه تقرير خضر اغا صدر الفرمان بسحب يد كل من عدلي افندي والدفتر دار عبد الله وايداعهما السجن . اما عدلي افندي فقد حرض احد اتباعه وهو عوض اغا بتقديم الاخباريات لتلويث سمعة الكتخدا الذي ما كان يخلص من شر عدلي افندي حتى وجد نفسه امام خصم جديد اخطر منه وصار ينطبق عليه قول الشاعر :

دعوت على عمرو فلما فقدته   بليت بأقوام بكيت على عمرو

وفي هذه السنة خرج السلطان للجهاد ، ولما بلغ القلعة الحصينه المسماة قمانجه حاصرها وضيق عليها الحصار حتى استسلم سكانها وفتحوا أبواب القلعـــه المذكوره أمام القوات المظفره ، وسرت البشائر بهذا الانتصار فى كل مكان واقيمت المراسيم المعتادة في بغداد .

وفي بداية سنة ١٠٨٤ تفتحت وردة في حديقة آل عثمان بميلاد الامير السلطان احمد بن السلطان محمد خان ، وقد فرح الوالي بهذه البشارة .

وقد تفتحت قريحتي وحررت تهنئة حاره قدمتها بهذه المناسبة إلى بعض الاخوان في استانبول .

وفي السنة المذكورة جفت الأراضي والمزارع المجاورة لمشهد المرشد صاحب اليقين المحقق الشيخ شهاب الدين السهر وردي بسبب قلة المياه

وانخفاضها فأمر الوالي بحفر بئر هناك ، وما كاد يتم حفره حتى تدفق من الماء العذب وشيد بهذا البئر حديقة غناء ، وصار المكان منتزهاً يرتاده الناس .

وما عدا هذا فانه شيد بباب المستنصرية سوقاً عاماً واستملك بعض الاملاك وجعلها وقفاً خيرياً ، وما زالت باقية حتى الآن وهي من آثاره وتدر وارداً لابأس به يصرف على الجهات الخيرية .

وفي سنة ١٠٨٥ رمم بعض الدور المتهدمة حوالي مشهد الامام الاعظم ، وشيد هناك بعض الحدائق ، وأحاط البلد بسد قوي لحفظها من الغرق عند الفيضان . وقد خولته الدولة العليه بصرف مايحتاجه لهذا الغرض على حساب الخزينة .

وفي أثناء قيامه بهذه الأعمال ورد الأمر بعزله . فكان اتمام العمل المذكور على يد غيره ، وما عدا ماتقدم فانه اوعز الى كتخداه بتعمير مرقد الشيخ ابراهيم الفضل عليه الرحمة حيث كان مائلا للانهدام ، وقد دفع عوض اغا مصارف التعمير وشيد له مسجداً .

ان الباشا المومأ اليه وان كان معروفاً بالتقوى والصلاح واقامة الصلاة الا انه اودع اكثر أمور الدولة الى أيدي ذوي المقاصد والاغراض الذين اساؤا سمعته وهذا كان سبباً لعزله وعزل كتخداه ، وسحبت يد الاخير وأودع السجن ثم نفى الى البصرة .

وقد قيل انه بنى الجامع من المبالغ التي اغتصبها الوالي ، والى الآن يسمى الجامع المذكور بجامع حسين باشا .

أما الصراف الخاص وهو الجراح مصطفى اغا فانه هو الذي رمم مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني ومرقده وبنى للجامع المذكور طارمة عاليه .

بعد عزل الوزير من ولاية بغداد عهدت اليه ولاية البصرة ، وكانت بداية حكمه في بغداد من غرة شهر محرم الحرام سنة ١٠٨٢ الى اليوم العشرين من شهر جمادي الاول سنة ١٠٨٥ ومدة حكمه ثلاث سنوات وأربعة اشهر وعشرون يوماً .

حكومة الوزير عبد الرحمن باشا

كان الوزير عبد الرحمن باشا يقوم بوظيفة مدير أمور الدولة ، وصار بعدها آمراً للانكشارية ، وفي زمن الوالي السابق كانت قد انتشرت بعض الاراجيف والاشاعات التي بثها الأعداء ضد الدولة العليه أحدثت بلبلة بين الناس واثارت مخاوفهم من احتمال وقوع حرب ، لاسيما وان الاعداء الكفره قد نقضوا الاتفاق الذي عقدوه عندما تغلبت عليهم قوات السلطان واضطرتهم الى الاستسلام .

وقد وصلت هذه الأخبار الى مسامع رجال الدولة ، ولأجل القضاء على هذه الاشاعات ومحافظة دار السلام وحمايتها عهدوا بولاية بغداد الى الوزير عبد الرحمن باشا ، ونقلته من آمرية الانكشارية الى مقر وظيفته الجديد بالسرعة . ولما وصل تمكن من ضبطها ونشر بساط الآمن والهدوء وشرع بتقوية القلعة وتحكيم الحصون وخزن العتاد وتوفير الأسلحة ، ولما رأى السكان هـــذه الاستعدات عاد اليهم اطمئنانهم وانصرفوا الى اعمالهم .

وقد أوصى الوالي الجديد موظفيه بوجوب معاملة الأهلين بالعدل وان يرأفوا بالفقراء والضعفاء وأزال كل ماعلق بأذهان الناس من خوف وقلق ، وكان من طبيعة الوالي الكرم والاحسان والاعفاء عن المسيئين ، وكان يدنى منه الادباء والشعراء ثم التفت حوله بطانة السوء وغيرت

من أخلاقه .

هذا وقد قام بتعمير مسجد الشيخ معروف الكرخي وخصص له خطيباً واماما ، وشيد حوله حديقة غناء وفي سنة ١٠٨٦ جرى ختان الامير نجل السلطان محمد خان وتزويج ابنته فساهم الوالي باقامة الافراح ووسائل الزينة لهذه المناسبة السعيدة .

وكان الوالي السابق قد شرع باقامة سد ولم يتمكن من اتمامه فأتمه هو ، ولكن بعض رجاله المسؤولين عن العمل تغافلوا أو قصروا في تحكيم السد المذكور لقلة معرفتهم وسقيم رأيهم كما وانهم تغافلوا عن دفع اجور العمال واجبروا الناس على العمل لاكمال السد مجاناً عن طريق السخرة ، ثم ان نهر دجله قد ارتفع وطغت مياهه على السد فدمرته وذهبت الاتعاب التي دامت سنة كامله أدراج الرياح .

كانت بداية حكم هذا الوالي من اليوم الواحد والعشرين من جمادى الأول سنة ١٠٨٥ الى العشرين من شهر صفر الخير سنة ١٠٨٧ ومدت حكمة سنة واحدة وتسعة أشهر وستة أيام .

حكومة الوزير قبلان مصطفى باشا

لقد انعمت الدوله العليه بمنصب ولاية بغداد على الوزير قبلان مصطفى باشا لشجاعته واقدامه ، وعند وصوله شرع باجراء بعض الاصلاحات وقضى على دابر الذين يقلقون راحة السكان ، ولكن شوهد ذات صباح رجل مجهول مصلوب على رأس الجسر قالوا ان هذا الحادث جرى نكاية برئيس الحراس ، ومن جراء ذلك حدثت فتنة بين الانكشاريين وبين الحراس .

ولما سمع الوالي أراد ان يذهب بنفسه الى محـل الحادثة لمعـالجة الحالة ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى هناك ، وتجمع الانكشـاريون وهجموا على داري الوالي والكتخدا بسبب سوء تدبير الاغوات ، وقد قتل بعض الاشخاص نتيجة لهذه الحركة .

فما كان من الوالي إلا ان جمع ما تحت يده من القوات واستطاع ان يسيطر عن الموقف ويمنع المرور من الشـارع وعاد الثائرون كـل منهم إلى المكان الذي جاء منه وتفرقوا ، غير ان رئيس الانكشارية خوفاً من ان يمتد إليه العقاب عن هذا الاهمال ألقى بالتهمة على عاتق رئيس العسس والصوباشي بأنهما اللذان أثارا هذه الفتنة فوقعا تحت طائلة العقاب .

وبناءاً على حلول موعد سفر الحجاج الى بيت الله الحرام فقد عين الوالي احد اغوات البكتاش المسمى فهمي اميراً على الحجاج ، ومن سوء الطالع ان الحجاج لم يتمكنوا من الوصول إلى بيت الله بسبب تهاون هذا الامير وقصر نظره وتدبيره وعادوا عن طريق المدينة المنورة وبعد اجتيازها بأربعة مراحل تعرض بهم الاعراب وسلبوهم كل ما معهم حتى ألبستهم وتركوهم نساءاً ورجالاً كما ولدتهم امهاتهم عرايا ، ولقلـة الزاد والماء مات بعضهم في البوادي ووصل الباقون وهم في النفس الاخير

سبق ان ذكرنا ان السد الذي اقيم حول الاعظميه قـد جرفه الفيضان ودمره ولما كان من الضروري اعادته فقـد كتب الوالي إلى الدوله العليـه يطلب مساعدتها على صرف مبلغ يقدر ما بين السبعين والثمانين الف غروش ، فاجيب الى طلبه على ان يؤخذ المبلغ المذكور من خزينتي بغداد والبصرة ، فبوشر بالعمل ولكنه قبل ان يتمه ورد أمر عزله ، ومن ناحية أخرى قام الوالي بتعمير مرقد الشيخ محمد

القدوري عليه الرحمة ومسجده وعين له اماماً وخدما .

وفي هذه الايام جاء الوزير السابق چلبي حسن باشا الى بغداد في طريقه الى البصرة حاكماً عليها كما وقد تم تعيين الوالي السابق حسين باشا لولاية ديار بكر .

وفي بداية سنة ١٠٨٨ توجه الوالي الى زيارة العتبات المقدسه في كربلا والنجف الاشرف وذلك في شهر شعبان وأنعم على الخدم ثم عاد الى بغداد وعند عودته ورد أمر عزله .

وكانت بداية حكمه من اليوم السابع والعشرين من صفر الخير سنة ١٠٨٧ الى اليوم الثالث من شهر رمضان سنة ١٠٨٨ ومدة حكمه سنة واحدة ونصف السنة .

حكومة الوزير عمر باشا

كان هذا الوزير من مرافقي السلطان محمد خان ، وتقلد رتبة السلحدار ثم تولى ولاية مصر القاهرة وبعدها ولاية ديار بكر وارضروم واخيراً عهدت اليه ولاية بغداد ، وفي بداية حكمه رأى أهل الحل والعقد من رجال الدولة تبديل الانكشاريين القدماء الذين مرت عليهم في الخدمة مدة طويلة واحلال غيرهم من الشباب محلهم ، ولكن هولاء لما سمعوا بهذا الخبر تجمهروا واستعدوا للثورة .

وفي اواسط سنة ١٠٨٩ اعلنوا التمرد وخرج رؤساؤهم ينادون بالثورة ، وبعد ثلاثة ايام تمكن الوالي من تفريقهم واختار أحد الجوربه جيه رئيساً عليهم وبذلك تمكن من القضاء على ثورتهم .

وفي سنة ١٠٨٩ استطاعت الدولة العليه من فتح قلعة جهرين في

اقصى الشمال وضمها الى الممالك الاسلامية وذلك على يد الوزير الأعظم مصطفى باشا ، وقد أقيمت مراسيم الافراح في بغداد لهذه المناسبة .

وفي هذه الأيام تصدت قبيلة بني لام للمسافرين وقطعوا الطرق ، ولما وصل خبرهم الى المسؤولين ارسل الوزير حملة عسكرية عليهم تقدر مابين الاربعة والخمسة الآف جندي بقيادة الكتخدا ، وعند وصول هذه القوة الى قرب الحويزه هجمت على العصاة وانتصرت عليهم ثم عاد الى بغداد .

وللمرة الثانية يجيء الوزير حسين باشا الى بغداد في طريقه لتولي حاكمية البصرة ويجيء ايضاً الوالي السابق چلبي حسن باشا في طريقه الى الروم ، هذا وان الوالي لكثرة ميله الى الأعمال الخيرية قام بترميم مرقد العالم الأكرم والمجتهد الأقدم الامام الاعظم رضى الله عنه والقبة والساحة والحديقة وقام أيضاً بترميم مرقد الامام الثاني ابي يوسف عليه الرحمة وقبته ورواقه وعين لـــه الخدام والاوقاف ، وشيد أيضاً مدرسة قرب القمريه من جامع الانوار .

وقد مدحه على ذلك كاتب الديوان المرحوم طيبي ، وانصرف بعدها الى تقوية سداد الاعظمية وشيد مسجداً على رأس المسناة واختتم أيامه بكل مافيه خير للبلد ، ومن الناحية الغربية أعاد بناء خان ازاد الذي كان مأوى للصوص وقطاع الطرق وحصنه وخصص له عدداً من قوات الاحتياط للمحافظة .

وكانت بداية حكمه من اليوم الثالث من شهر رمضان سنة ١٠٨٨ الى غرة جمادي الاول من سنة ١٠٩٢ ومدة حكمه ثلاث سنوات وتسعة اشهر .

حكومة الوزير ابراهيم باشا

ان هذا الوزير الشاب كان من اغوات الانكشاريين في أرضروم، وبالنظر لقابلياته عهدت اليه ولاية بغداد دار السلام ، وعند وصوله رأى أن احالة المقاطعات تبدأ من غرة محرم الحرام مما يستوجب تداخل الشهور العربية بالشهور الروميه وتسبب غبناً للاهلين وللحكومة معاً .

ولهذا جعل غرة أيلولى من سنة ١٠٩٣ هي المعول عليها وعرض وجهة نظره على الدوله العليه فوافقت على ذلك ، ولما كانت غرة ايلول في السنة المذكورة يوافق اليوم التاسع من شهر رمضان المبارك فقدنفذ هذا النظام واعتبر مرعى الاجراء من هذا التاريخ ، وادخلت الايرادات والتخمينات في السجلات المختصه بموجبه .

وفي التاريخ المذكور قرر السلطان عبد العزيز خان السفر الى حج بيت الله الحرام عن طريق بغداد وزيارة الروضة الرضية لسيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، فأتخذ الوالي التدابير اللازمة لتأمين وصول وسفر البادشاه داخلاً وخارجاً ، وقضى على الأعراب الذين يعكرون صفو الامن وعاملهم بقسوة وقتل قسماً منهم .

وفي أيام حكمه أضيف لحكومة بغداد الف نفر من الانكشاريه فأضطر الى تخصيص بعض المبالغ لعليف حواناتهم من مرتبات القوات القديمة ، وحدث بسبب ذلك لغط بينهم ادى الي تجمهرهم واظهار غضبهم ، فعالج هذه البادرة بحكمة وتعقل وفض النزاع .

وفي أيام حكمه أيضاً تمكن من ازالة ما علق بأذهان السكان من الاضرار التي يسببها لهم جباة الحكومة فكان عمله مشكوراً من

لدن الجميع ، وقد كان في بغداد جسر قديم أبدله بآخر جديد يؤمن مرور الناس عليه . وقام بترميم جامع السيد سلطان علي وعين لـــه خطيباً وخدماً ، وقد مدحته على هذا العمل الطيب كما مدحه شيخ الدراويش المولوي يحيى دده .

وفي سنة ١٠٩٤ عين للبصرة الوالي عبد الرحمن باشا وكان مروره ببغداد وأعقبه الوالي السابق السلحدار حسين باشا الذي واصل سفره الى الروم .

وبعد ذلك أكمـل الوزير مدة بقائه في بغداد وانتقل الى مقر السلطنة وكان بدء حكمه من غرة جمادى الاول سنة ١٠٩٢ الى غرة شوال سنة ١٠٩٥ ومدة حكمه ثلاث سنوات وخمسة أشهر .

حكومة الوزير عمر باشا للمرة الثانية

لقد أختير الوالي عمر باشا لتولي الحكم في بغداد للمرة الثانية وبسط بساط الامن فيها وسار سيرة حسنة ، ومن ألطاف الباري لم يحدث في أيامه ما يعكر صفو الامن .

وفي سنة ١٠٩٨ أختير لمنصب ولاية البصرة الكمركي حسين باشا . وحضر الى بغداد والي البصرة السابق الوزير المكرم صاحب السيف والقلم عبد الرحمن باشا الى بغداد ومكث في الجانب الغربي منها . هذا ولما كان أهل البصرة قد تخوفوا من الوالي الجديد فقد تقدموا بعرائضهم الى الدولة العلية يلتمسونها أبقاء وزيرهم السابق بمكانه لاسيما وان الوزير الجديد قد تمرض وتوفي الى رحمة الله وتوسط لهم والي بغداد فأجيبوا الى طلبهم وعاد الوالي السابق الى مقر عمله .

وفي السنة المذكورة أضيف الى جامع الچلبي حسن باشا من الناحيه الغربيه المطلة على نهر دجله بعض الابنيه لتجميله وتوسيعه ، وقد تبرع لهذا العمل أحد كتخدائية الوالي أحمد أغا حسبه لله .

وقد أصاب خزينة الدوله العليه بعض العجز بسبب كثرة الحروب وتكاليفها ولاجل سد هذا العجز اضطرت الى الاستقراض من السكان ، ثم انتهت مدة حكم الوزير فى بغداد وأعقبه الوزير المكرم الآتي ذكره أحمد باشا .

وكانت بداية حكمه من غرة شوال سنة ١٠٩٥ الى اليوم الثالث من شهر ذي القعدة ١٠٩٨ ومدة بقائه ثلاث سنوات وسبعة وعشرون يوماً .

حكومة الوزير الكتخدا أحمد باشا

لقد كان هذا الوزير برتبة سردار في ولاية بودين ثم انيطت به مهمة جمع العساكر وتدريبها فى اطراف الاناضول ، وبعد اكمال هذه المهمه اختير لولاية بغداد ، وكانت سيرته فيها حسنه وأستطاع في مدة قصيرة ان يضبط النظام ويهيمن على القوات الموجودة دخلاً وخارجاً ، وانقاد الجميع ثم دقق سجلات الخزينه ونظمها بصورة دقيقه ، وقد وجد بعض المخالفات عاقب المسؤولين عنها ، ولم يكتف بهذا بل راح يراقب ويتجسس على الموظفين والمسؤولين حتى استقامت اعمالهم وانصرفوا الى أداء واجباتهم بلا توان أو تأخير .

ولكن هذه الحاله لم تدم طويلا بسبب كثرة الحروب التي بعثت الفتور إلى القلوب . وفي اليوم الثاني من شهر محرم الحرام سنة ١٠٩٩ انتقل السلطان الى رحمة الله وترك طفلين وتولى السلطنه بعده أخوه

السلطان سليمان خان بن ابراهيم خان .

اما الوالي فقــد انصرف همه نحو تقوية الثغور وضبط الحدود وتأمينها تأهباً للحوادث وحصن قلعــة بغداد ولا سيما الحصن المسمى جاوش قلعة سى وسمي بعدئذ باسم قلعة احمد باشا ، وجدد أيضاً قلة المصابونجى ، وشيد قرب مرقد حضرة الشيخ محمد الفاضل عليه الرحمه مسجداً وخصص له خدماً وأوقافاً ، وحصن أيضاً برج بغداد .

وكان بدء حكمه من اليوم الثالث من ذي القعده سنة ١٠٩٨ إلى اليوم الرابع عشر من ذي القعدة ايضاً سنة ١٠٩٩ ومـدة حكمه سنه واحده واحد عشر يوماً .

حكومة الوزير عمر باشا للمرة الثالثة

لقد اكتسب الوزير عمر باشا سمعة طيبه لدى رجـال السلطنه مما جعلهم يرشحونه لتولي الحكم في العــراق للمرة الثالثه ، وكان أول ما فعله تسوية الطريق ما بين بغداد وبهرز ، ذلك الطريق الصحراوي الذي أهمل مدة طويلة وبعمله سهل مرور السابله .

وبعمله هذا اضاف حسنة إلى حسناته . وقد قلت في ذلك ؛ ان وزير السلطان سليمان خان عمر باشا الذي اعتمدت عليه الدوله العليه وعهدت اليه حـكم بغداد دار السلام للمرة الثالثه . وكان بمجيئه رنة سرور في القلوب ، قـد قام بتسوية الطريق الممتد ما بين بغداد وبهرز بعد ماكان مهملا وسهل على الناس المرور به حسبة لله وذلك سنة ١١٠٠ كما وانه رمم جامع الشيخ معروف رحمة الله عليه بعد ما كاد ينقض ووسعه لانه كان يضيق بالمصلين ، وأوعز الى كتخداه احمد اغا بوجوب

تفقد أحوال الرعايا ولا سيما الضعفاء واتخاذ مايلزم لتحسين أحوالهم وشيد للجامع المذكور قبة عاليه .

وفي التاريخ المذكور قل هطول الامطار وطرأ انخفاض على نهري دجله والفرات ، مما جعل الناس في ولولة خوفاً من حدوث موجة غلاء وكادت تنفد الاطعمه التي ادخروها . وفي اليوم الثالث من صفر الخير اشتد الغلاء واتخذه بعض الجهلاء وسيلة للاحتكار ورفع الاسعار ، وقد اتهم بهذا الاحتكار احد العلماء وهو المسمى محمود افندي غراب زاده فكان هدفاً لسهام العوام . وقـــد امتد هـذا الضيق لمدة عشرة أشهر وهلك به ثلاثة من الجوربه جيه ثم انفرجت الازمه وعادت الأمور الى مجاريها الطبيعيه .

وفي السنة المذكوره أي سنة ١١٠٠ وافق السلطان سليمـان خان على عقد الصلح مع ايران وتبادلوا السفراء الذين مروا بطريق بغداد وصدر فرمان بتعيين الدفتردار الاول حسين باشـا والياً على البصره ، وقد كان مروره أيضاً بطريق بغداد . وفي أواسط السنه المذكوره قدم الوزير السابق عبد الرحمن باشا واتخذ من الجانب الغربي مقراً له ، وبعد مكوثه شهراً في هذه الربوع سافر نحو ديار الروم .

وفي أواخر السنة المذكوره أدى الوالي فريضة حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه الكريم وعاد مبروراً مشكورا .

وفي سنة ١٠٩٣ كانت قـــد تواترت الاخبار بحدوث مناوشات مقلقه في جهة الروم ندرج تفاصيلها أدناه :

في حدود سنه ١٠٩٣ كان حاكم قارص قد تعرض لبعض القرى التابعة للدولة العليه ، وقد أعلنت النفير العام بسبب ذلك ، وقد سبق قبل هذا ان القوات المظفرة قد استولت على القلعة الكبرى من جزيره

الكبرى من جزيرة كريد على يد الوزير الاعظم فاضل احمد باشا كوپريلي زاده ، ولما توفى حاول خلفه الصدر مصطفى باشا ان يوسع الرقعه التي الحقت بالممالك العثمانية في تلك الانحاء مما اعتبره العدو خرقاً للاتفاق المعقود بينهما ، وجرت تسويه هذه المشكلة .

وكان المفروض على بلدة قارص ان تدفع سنوياً للدولة العليه ثلاثين الف من النقد الذهبي وبقيت تدفع هـذا المبلغ بانتظام حسب الاتفاق ، ولكن بعد مضي خمسة أشهر اراد الوزير المشار اليه تزييدها فلم توافق وعندئذ جمع قوانه لغرض الهجوم عليها ، وكان من جملة الذين وقعوا الاتفاق محافظ بغداد الوزير حميد الشيم حسن باشا عندما كان برفقة الوزير كوپريلي باشا .

ولما اشتدت الحالة في تلك المنطقة عقد السلطان مجلساً للمشاورة وحضر هذا المجلس كل من شيخ الاسلام والوزير مصطفى باشا والقضاة العسكريين والدفتردار ورئيس الانكشارية ، وكانت النتيجـه اتفاق الاصوات على اعلان الحرب بعدما ابرز لهم الوزير بعض المكاتبات والرسائل التي تتضمن خرق الاتفاق من قبل العدو .

ومن تلك الساعه بدأت الدوله باعداد العده واعلنت النفير العام وكان أكثرهم اندفاعاً وتحمساً لاعلان الحرب هو الوزير مصطفى باشا اما الباقون فلم تكن لهم رغبة في هـذا الامر الذي يكلف الخزينة فوق طاقتها بالاضافة الى الاضرار والخسائر التي يتكبدها الرعايا .

ومهما يكن فقـد انيط امر تجهيز الجيوش وجمعها الى الوزير الاعظم وانفض المجلس الذي كان منعقـداً بحضور السلطان . وقال بعض الثقات انه في اواسط السنه المذكوره تحركت الجيوش وعلى رأسها السلطان نفسه ، وبعد طيء المنازل والمراحل وتحمل المشاق عسكروا في

بادية بلغراد وأقام السلطان هناك ، اما بقيـــة الجيوش فانها واصلت تقدمها بقيادة الوزير الاعظم الى ان وصلت الى قلعه بج ، ومن هناك بدأت المناوشات مع العدو مدة ستين يوماً .

وفي يوم الاثنين الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك بعد العصر تقدم العدو بقوة تقـــدر بثلاثمائة الف مقاتل لفك الحصار ، فقابلهم الوزير الاعظم بازدراء وعـــدم اكتراث في الوقت الذي يعلم الوزير ان معظم الجنود يكرهونه ولا يميلون اليه لغطرسته ، فلما تقابلت القوتان لم يظهر ذلك الحماس من العساكر في صد العدو رغم تشجيع قوادهم ، والنتيجة انقلب النصر المأمول الى خذلان واندحار وتراجع من كل ميدان وانهزمت هذه القوات العظيمه بوجه الاعداء تاركة معداتها واجهزتها في ساحات القتال .

وقد تلقى السلطان هذه الاخبار السيئة بحزن وأسف ونقل هو ايضاً معسكره الى أدرنه ، واصيب في هذه المعركه والي بودين ابراهيم باشا اثناء تراجعه وفاز بالشهاده .

وقد لاحق الاعداء المنهزمين الى قلعـة اوسترغون وكبدوهم أفدح الخسائر ، والقوا الرعب والذعر في قلوبهم ، وبالنظر لنقص الذخائر والاقوات اضطروا ايضاً الى اخلاء تلك المنطقه وقتل ايضاً الكثير من القادة ، واخلوا ايضاً قلعة جكردين واستولى عليها العدو واسر كل من كان فيها من الوزراء والامراء والقواد ومن معهم من جنود يقدر عددهم بثلاثين الف جندي .

وواصل بقيـــة القوات تراجعهم . ووقع في الاسر والي سلستره الوزير مصفى باشا وحاكم سيواس خليل باشا ، وغرق الوزير خضر باشا في نهر طونه ، ولم يتمكن من انقاذ نفسه سوى الحاكم قره محمد

باشا ، واحرق العدو قلعة استوار .

وهـذا الانكسار والخذلان دام الى سنة ١٠٩٦ امـا الوزير الذي سبب هذه الكارثه فقد صدر فرمان بتجريده من مناصبه واعدامه ، ونفذ فيه الحـكم في بلغراد ، وكذلك اعدم الوالي احسان باشا وعهدت الوزارة العظمى الى قره كتخدا ابراهيم باشـا . وجرى تعيين الميراخور الأول سليمان اغا حاكماً على قمانجه مع رتبة وزير .

ولما حلت سنة ١٠٩٥ استأنف الاعـداء تقدمهم الى قلعة بودين وحاصروها ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها بسبب المقاومة العنيفة من قبل ابراهيم باشا ، وقتل في هذه الاثناء والي بودين قره محمد باشا وكانت مدة الحصار خمسة وعشرين ومائة يوم .

وعند حلول سنة ١٠٩٦ عهدت قيـادة الجيوش الى الوزير الأعظم وصدر الأمر اليه بالحركة لانقاذ قلعة اويوار وفعلا تقـــدم واحتل في طريقه قلعة اوستورغون ، ولكن الاعـــداء أرسلوا مدداً لقوانهم يقدر بعشرين الف مقاتل ، وبالرغم من البسـاله التي أبدتها قوات الدوله العليه فانهم لم يتمكنوا من استرداد اويوار واضطروا الى التراجع .

وقد قتل الكثير من الجنود واصبحت بلغراد مقراً للجيوش المتراجعه وكان من غضب السلطان على الوزير بسبب الخذلان والتراجع والخسائر التي كبد الدوله بها في الاموال والرجال ان ارسل كتخدا البوابين الى مقر الوزير المشار اليه واعدمه وهو صائم ، وعين بدله الوزير احمد باشا قائداً عاماً ، وتمكن العدو من احتـــلال جزيرة اياموره ووايوار ونويفرد وصونلق وضروس مرواج مروشغراد .

ولما حلت سنة ١٠٩٧ أعلن الوزير الاعظم ابراهيم باشا انه مريض ولا يسعه الاستمرار بهذه المهمه وذلك تهرباً وانقاذا لنفسه من الهلال

المحتم ، وعليه فقد توقفت حركة الجيوش الى ان صدر الفرمان باعهاد أمر القيادة العامه إلى سليمان باشا الذي كان حاكماً على قمانجه .

أما الوزير السابق ابراهيم باشا فقد نقل إلى جزيرة رودوس ، وهناك أعدم بعد بضعة أيام وتوارى تحت غطاء الغبراء . وفي التاريخ المذكور انحاز سكان نمجه إلى جيوش الاعداء لان الكفر امة واحده وزحفوا معهم لاسترداد بلدة بودين ،

ولما سمع الوزير الأعظم بهذا الأمر أرسل مدداً لقوات البلده من أدرنه وبعد قطع المراحل والتلال أقاموا بالقرب من العدو وهناك اختلف القواد مع الوزير وانكشف تقصيرهم عند أول التحام مع العدو ولم يتمكنوا من التغلب أو التقدم ثم قرروا تأجيل الهجوم على أساس ان البلده المذكوره محصنة وتتحمل الدفاع لمدة طويله وكان من نتيجة توانيهم ان القوات التي تحاصر البلدة قل عتادهم وأرزاقهم وهلك الكثير منهم لا سيما والي البلده الوزير عبد الرحمن باشا إذ استشهد أثناء الدفاع ، ثم هجم الاعداء عليها هجمة واحده وفتحوها بعد شهرين من المقاومه ودمروا المسجد الذي كان قد شيده فيها السلطان المرحوم سليمان خان ، نسأل الله ان يمدنا بنصره لاستردادها .

أما الوزير فقد تراجع عندئذ إلى حيث عسكر في المحل المسمى سكدين ، على ان الكفار استمروا بزحفهم حتى عبروا جسر واردين وتقدموا في أثر الجيوش المتراجعه نحو بادية نورد حتى وصلوا بلغراد .

وعند حلول سنة ١٠٩٨ استعد الصدر الاعظم لمقابلة العدو وتحرك نحو كورسك وتقدم الى المكان المسمى بورتوار وهو مكان صعب المرور واصطدم بالعــدو واشتد القتال والتف حولهم واندفعوا نحو الجيوش العثمانيه من مكان خال من القوات وتمكنوا من التغلب عليهم واضطروهم

إلى الهروب ولكن الصدر الاعظم هو وقواته قد تمكن من الافلات من الطوق بعدما تكبد الكثير من الخسائر ، وواصلوا تراجعهم إلى اوسك ثم إلى واردين حيث عسكروا هناك وراحوا يجمعون شتاتهم ويعيدون تنظيم صفوفهم ، ووردتهم الامدادات والمؤن مع الوزير جعفر باشا وجمعوا عساكر اللاوند والسباهي ولكن الانكسارات المتواليه لم تترك الجنود تلك القوه المعنويه وفترت هممهم فى التصدي للعدو ، وأخيراً تآمروا على اغتيال الوزير الأعظم ولكنه فر منهم هو ومن معه من بقايا قواته وعبر نهر طونه نحو المقر السلطاني ، وبعد فراره رجعت القوات الى الاستانه .

ولما سمع السلطان بذلك انتخب من بين عساكره الوزير سياوش باشا وعهد اليه القيـــاده العامه ، ولما علم السلطان بوجود محاولة فى استانبول لخلعه اندفع للقضاء عليها وكان ضحية هذه الحركه القائمقام رجب باشا والوزير السابق سليمان باشا واعدم الكثير من الامراء والقواد ، ومع ذلك فان الامور كانت تتدهور من سيء إلى اسوأ والحرب ما تزال على شدتها .

وفي اليوم الثاني من محرم الحرام من سنة ١٠٩٩ تنحى السلطان عن عرشه وجيء بأخيه الأمير السلطان سليمان خان بن السلطان ابراهيم خان وأجلس على كرسي السلطنة واسندت الصداره الى الوزير اسماعيل باشا بعد ما قضى على الوزير سياوش باشا من قبل القائمين بالحركه في الاستانه ، وبعـد هدوء هذه الزوبعه عهدت الوزاره الى مصطفى باشـا بدلاً من اسماعيل باشا .

ان الوزير السابق فقد كان منفياً في جزيرة رودس . وفي التاريخ المذكور استولى الاعداء على أكره واستوانى وبلغراد وبلغراد الثانيه .

ولما حلت سنة ١١٠٠ تهيأ السلطان للجهاد على عادة آبائه وأجداده

وأعلن النفير العام وتحرك على رأس جيوشه حتى وصل بادية صوفيه حيث عسكر هناك ، ولما علم العدو بذلك استعد للقتال ، وتقدم نائب القائد العام المسمى عرب رجب باشا وافتتح الهجوم ولكنه تراجع إلى قرية نيش واتخذها معسكراً لقواته ، وهناك التقى بكتخدا الصدر الأعظم محمد اغا وكتخدا الانكشاريه ، وراحوا يتداولون في ما يجب عمله غير أن العدو باغتهم فلاذوا منه بأذيال الفرار حتى وصلوا مقر السلطان واستمر العدو يلاحقهم ويتعقبهم إلى قرب صوفيه بمسافة أربع ساعات والتحموا به هناك ، وبعد حرب ضروس لاحت علائم النصر بجانب القوات السلطانيه وتمكنوا من دحر عدوهم وكبدوه خسائر فادحه وارجعوه على أعقابه بعد دمر مدن اودين وسمندره ونيش وأطرافها وبعد هدوء الموقف تحرك الركاب السلطاني عائداً الى أدرنه .

وقد منح الكتخدا السابق الذكر محمد اغا رتبه الوزاره وانيط به منصب نائب القائد العام ، ونظراً لتمرض الصدر الأعظم مصطفى باشا فقد نحي عن الوظيفه .

وفي حدود سنة ١١٠١ عهدت الصداره العليا إلى مصفى باشا كوبريلى زاده كما انيطت النيابة بعلي باشا .

وفي السنة المذكورة استؤنف القتال وانتخبت في هذه المره القوات التي لها رغبة صادقة في القتال ، وتقدمت نحو العدو وانزلت به هزيمة منكره وشتت جيوشه وشكروا الله على هذا النصر .

وبعدما دارت الدائره على العدو واسترجعت منه كل القرى والبلاد التي كان قد استولى عليها ، تواردت البشائر على بغداد وأرسل نائب القائد العام رسالة إلى والي بغداد يذكر له فيها تفاصيل هذه الانتصارات وكيف انهم استرجعوا معظم المدن التي كان قد استولى عليها ، والحاصل

فان سنة ١١٠٢ كانت سنة مباركه والنصر فيها كان باهراً نشكر الله عليها ونسأله أن يجعلها فاتحة خير ونصر واقبال .

وزاوة حسن باشا

في سنة ١١٠٠ صدر فرمان بتعيين حسن باشا محافظاً لبغـــداد دار السلام ، ان هذا الباشا يدل اسمه على مسماه من حيث الأخلاق الحسنه والسيرة الطيبه ، وما يتحلى به من الصفات الفاضله والعقل الراجح ،

وقد امضى شبابه في دار السلطنه وبعد اكمال الدراسة وتقدم فيها عهدت اليه وظيفه محاسب الحرمين الشريفين وبعدها اختير ليكون سكرتيراً واميناً لشؤون صاحبة العفة والدة السلطان ، ثم عين حاكماً على مصر ، وبعد مدة أربعة اشهر عين حاكماً لجزيره ساقز وذلك عند جلوس السلطان سليمان ومن هناك توثقت صداقته بالوزير الفاضل جعفر باشا كوپريلى زاده آلذي نقله الى ولاية بغداد عند توليه منصب رئاسة الوزارة وفي بغداد اكتسب محبة السلطان وجذب اليه قلوبهم بمدة قصيره .

غير ان البلاد كان قد أصابها في السنة المنصرمة قحط وغلاء دام الى هذه السنة حيث اشتد فيهـا الضيق وحمل سكان الاطراف من أعراب واكراد على الهجرة من الموصل وكردستان الى بغداد والقوا ثقلهم عليها .

ومع أن سكان بغداد لم يقصروا في تخفيف غائلة العوز عن كاهلهم في الاحسان واطعام الطعام غير ان الضائقة بقيت على شدتهـا وادت الى انتشار الامراض وتزايد المجاعة ، وتكاثر الذين يموتون يومياً .

ومما زاد في الطين بله انتشار وباء الطاعون الذي راح يحصد الناس حصداً ، وكانت المئاتم تقام في بغداد على الأموات بالخفاء منعاً من تزايد

الذعر ، ومات في بغداد وحدها مايزيد على المائة الف نفس خلال ثلاثة أشهر فقط .

وفي بداية شهر شوال من السنة المذكورة خفت الوطأة ، وتنفس الناس الصعداء ، وفى اواخر هذه السنة ثار كل من المير سليمان والمير حسن وهما من الأكراد ومن جماعة الببه وهجموا على شهرزور وامتلكوها ، وامتد تمردهم حتى كادوا يحتلون كركوك ، وبعد حروب معها استشهد متصرف كركوك دلاور باشا . واستنجد الأهلون بوالي بغداد بعدما اعلموه بما وصلت اليه الحالة .

وفي سنة ١١٠٢ تعين متسلماً لكركوك وتولى معالجة الوضع واعادة الهدوء الى المنطقة ، وكتب الى المير سليمان يطلب اليه القاء السلاح بالترغيب تاره والترهيب تارة اخرى ، ومما كتبه اليه هذه الرسالة ننقل نصها في ادناه « انكم من سكان ملحقات شهرزور ومن رعايا الدولة العليه المنصوره وكان المأمول منكم اطاعة امرائها ، ولكنكم منذ بضعة سنوات أخذتم تناصبون والي كركوك العداء وانحرفتم عن جادة الطاعة ومددتم أيديكم الى البقاع الاخرى التي هي من ضمن أملاك السلطان ، ومنها شهرزور وأطرافها .

ولما حاول متصرف كركوك اعادتكم الى الرشد والصواب حاربتموه وتجاسرتم على قتله وعلى نهب أموال وعتاد واسلحة الجنود الذين كانوا معه واستحوذ عليكم الشيطان واغتصبتم بلدة شهرزور وتوابعها مع علمكم بأنها من ممتلكات الدوله العليه قديماً وحديثاً ، ولم نعلم الأسباب التي حملتكم على كل هذه الافعال وهذة التحركات التي نورد اعلامنا عن البواعث لها بصورة تفصيليه ، والاسراع بتخلية بلدة شهرزور وتسليم امورها الى المتسلم الذي صدر الأمر بتعيينه ، وكذلك المبادره برد جميع الاموال

والعتاد والاسلحه التي نهبتموها من الباشا المرحوم وايداعها الى المتسلم الجديد .

وليكن معلوماً لديكم انكم في حالة عدم امتثالكم لهذه التعليمات وعدم عودتكم الى الطاعة فانكم ستكونون معرضين الى غضبة رجال الدولة العليه ، وعندئذ لابد لهم من أن يرسلوا عليكم الآف الجيوش ، ولاشك انكم غير قادرين على مخاصمتها والثبات بوجه العساكر المظفره ومصيركم يكون عبرة لمن تسول لهم نفوسهم القيام بمثل هـذه الاعمال ، فيجب تلافي الحالة قبل وصول اخباركم الى الدوله المنصوره والا فانكم تجنون على انفسكم وعلى السكان الضعفاء الذين لاذنب لهم ، وعليه يجب الدخول في زمرة المسلمين الموحدين واطاعة الشريعة الاسلاميه اقتداء بالآية الكريمة يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ، وإلا فسوف تكونون من البغـــاة الذين تجب مقاتلتهم شرعاً ، فعودوا الى صوابكم واستغفروا لذنوبكم وسلموا البلد وتوابعه الى الحاكم الجديد وأعيدوا مانهب من الباشا المرحوم واعلمونا بذلك لنطوي صفحة الماضي ونفتح صفحه جديدة ، وسأقوم من جهتي بطلب العفو عنكم من الدوله العليه وأتعهد بذلك ، وإلا فالويل لكم من المصير الذي ينتظركم .

مع العلم ان سيف الدوله قاطع وحساب شوكتها ساطع ، واذا كنتم في ريب من ذلك فسألوا الرجال الذين هم اكبر منكم سناً واسألوا المجربين واذا كان لكم عقل فستسمعون نصيحتي وتقدرونها وان كل مغرور مغلوب والسلام » .

هذا ونعود الى ماكنا فيه فنقول : ان الاوامر صدرت الى حسن باشا ليتولى قيادة الحملة كما وصدرت الى ولاة الجزيرة والعمادية بمد الباشا المشار اليه بمـا يحتاجه من العساكر والمعونات ، ولكنه امضى شهرين على الحدود بدون ثمرة ثم اضطر الى العودة .

وفي أوائل السنة المذكورة عين الوزير احمد باشا نجل عثمان باشا حاكماً على البصرة ومر في طريقه ببغداد حيث استراح بضعة أيام ثم سافر الى مقره .

وفي اواسط هذه السنة ظهر الطاعون في بغداد وانتشر في داخلها وحواليها وأخذ يزداد رويداً رويداً كسابقه ، وصار الناس تنطبق عليهم الآية الكريمة ، يوم يفر المرء من اخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وتفرقت العوائل والأحباب بعضهم من بعض ، وكل واحد يقول وانفساه وقد تجاوزت الوفيات الآلاف ، واستمرت هذه الأحوال الى منتصف شهر شعبان حيث خف لهيب الطاعون وانطأت جمرته ، وزالت كدورته .

وبسبب هذا الوباء اضطرب النظام لهجرة الكثير من الموظفين وغيرهم الى أطراف بغداد مما حمل بعض أعراب البادية الى انتهاز هذه الفرصة وقاموا بأعمال النهب والسلب والغارات هنا وهناك ، ولم يتمكن الحكام من ردعهم أو مقاومتهم لقلة رجالهم وحرسهم . وسرى الطاعون الى البصرة أيضاً حيث فتك بالألوف الى درجة أن الذي يموت يدفن في مكانه لعدم وجود من ينقله .

وحدث نزاع بين الحكومة والأهلين حـــول الرسوم والضرائب وتمردوا على رجال الحكم ثم احتل البصرة الشيخ مانع شيخ المنتفق وعشيرته ولنكه أخلاها بعدئذ خوفاً من عقاب الدولة ونزولاً عند نصيحة أهل الحل والعقد من سكان البلدة وعاد متسلمها الى مقر حكمه .

وفي اليوم السادس من شهر رمضان المبارك سنة ۱۱۰۲ توفي السلطان سليمان خان وكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات وثمانية اشهر وأربعة وعشرون يوماً . ونصب بمكانه أخوه السلطان أحمد خان الثاني وقرأت الخطبة بأسمه وضربت الدنانير بطغراته .

لقد تقدم أن ذكرنا ما أصاب بغداد دار السلام من الاختلال والنقص فى الواردات ، وتسلط العربان ، غير أن الوالي حسن باشا قد تمكن بحكمته وحسن سيرته ومعاملته الطيبة للسكان من ايصال البلد الى شاطىء السلامة ، وبعدئذ وبناءاً على طلبه اعتزل الوظيفة وذلك منذ اليوم السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١١٠٢ .

حكومة الوزير أحمد باشا البزركان

انعمت الدولة العلية في بداية السنة ١١٠٢ على الوزير أحمد باشا بولاية بغداد ، وكان المشار اليه مشهوراً بأسم أحمد باشا البزركان ، وقد وصلها في اليوم السابع عشر من شهر ذي الحجة وباشر بأعماله .

وفي خلال حكمه كان شيخ المنتفق الشيخ مانع يتولى الحكم على البصرة قهراً وتمرداً ، وقد أرسلت اليه الدولة الحملة أثر الحملة ولكنه في كل مرة يتغلب عليها فتعود بالخسران ، مما أدت هذه الحالة الى اصابة الوالي بمختلف الأمراض لتأثره ، وأخيراً وفى اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١١٠٣ انتقل الى رحمة الله ودفن بجوار المجتهد الأقدم والامام الأعظم أبي حنيفة رضى الله عنه .

ولما كان الوزير السابق مديناً للدولة ببعض المبالغ فقد حجز عليه ومنع من السفر بفرمان ورد من الدولة بهذا الخصوص ، وبما أنه كان حميد الأخلاق وطيب السيرة ومحبوباً من قبل الأهلين فقد كتب هؤلاء وعلى رأسهم العلماء وأصحاب الحل والعقد الى رجال الدولة يلتمسون أعفائه من الديون التي بذمته ، وقد وردت الموافقة على طلبهم وعهدت الولاية الى أحمد باشا كتخدا المرحوم عمر باشا مع رتبة الوزارة .

سبق أن ذكرنا أن والي البصرة أحمد باشا بعد استشهاده أنعمت الدولة على كتخداه حسن أغا بتولي حكم الولاية المذكورة .

وبعد حروب مع شيخ المنتفق صدرت الأوامر بتعيين الوزير خليل باشا وهو أخو البزركان أحمد باشا حاكماً على البصرة ، ولأجل القضاء على حركة شيخ المنتفق وتأمين تسليم البصرة الى المشار اليه فقد صدرت الاوامر بتعيين أحمد باشا والي بغداد قائداً عاماً للقوات التى جمعت من كركوك والموصل وديار بكر ، وقد تقدم على رأسها حتى بلغ جزائر البصرة .

وبعد إصطدام دام بضعة أيام انهزم الباشا أيضاً وذلك في سلخ رمضان سنة ١١٠٤ وكانت هزيمة منكرة اذ استولى العرب على كل الذخائر والاموال التي كانت معه وفرقوا حملته وقتلوا البعض وأسروا البعض الآخر وفر الباقون نحو البصرة وبغداد ومعظمهم مابين جريح ومريض ، وعاد أيضاً كـل من الباشا المشار اليه ووالي البصرة خليل باشا الى بغداد مخذولين ، وعرضت تفاصيل هذه الموقعة على الدولة العلية التي أوفدت الى الشيخ مانع رئيس البوابين السلطاني للتحقيق حيث تبين له أن سبب ثورة الشيخ المومأ اليه انما كانت من جراء تعدي الولاة حدود واجباتهم وقسوتهم على أفراد الأمة وانه ما يزال تحت طاعة الدولة العلية وأوامرها ، وعليه فقد صفحت عنه ، وهدأت الامور وعاد خليل باشا الى البصرة وتولى الحكم فيها بغير منازع ولا ممانع .

وفي اليوم الخامس من شهر جمادي الاول من سنة ١١٠٥ أصيب الوالي بمرض فجائي قضى عليه ودفن بجوار الامام الاعظم وتولى الولاية بعده كتخداه بالوكالة ولكنه لم يتمكن من ادارة البلاد واختلت الامور بوقته ولذلك عينت الدولة الوزير الحاج أحمد باشا بدلا عنه .

حكومة الوزير احمد باشا

وصل الوزير احمد باشا الى بغداد في اليوم الثالث من شهر شوال من السنة المذكورة وجلس على كرسي الحكم ، وفي زمنه طغى نهر دجله بافراط ، وأحاطت مياهه ببغداد من كل جهاتها ولم يأل الوالي جهداً في محافظتها من الغرق ، ثم سار على رأس حملة من العساكر لتأديب الاعراب المتمردين ولكنه عاد مهزوماً واستولى المتمردون على العرجه والسماوه وبني مالك والرماحيه والجوازر ، وامتد لهيب الثورة إلى بني عمير الذين يرأسهم الشيخ عباس .

كما وان خليل باشا والي البصرة قد فترت العلاقات بينه وبين شيخ المنتفق مانع ، وهذا الفتور أدى الى التصادم وكانت النتيجة خروج الوالي من البصره التي عادت إلى حكم الشيخ المذكور .

وفي سنة ١١٠٦ تولى السلطان مصطفى بمكان السلطان احمد الذي انتقل إلى رحمة الله ، وكان جلوسه في أواخر جمادى الثاني من السنة المذكوره وقرأت الخطبه باسمه ، وفي التاريخ المذكور توفى أيضاً شاه ايران وصار بمكانه ابنه الشاه حسين . وفي سنة ١١٠٧ عهدت ولاية بغداد إلى الوزير علي باشا .

حكومه الوزير علي باشا

وصل هذا الوزير إلى بغداد في اليوم السابع من شهر محرم من السنة نفسها وبمجرد توليه الحكم بذل جهداً في القضاء على الثائرين

كمـا وصدرت الأوامر السلطانيه الى والي ديار بكر حسين باشا وولاة كركوك والموصل والرها بوجوب الحركه لانقاذ البصره واضيف اليهم شريف مكة المكرمه الشريف سعد ، على أن يكونوا كلهم تحت قيادة والي بغداد ، ولكن شاء الله أن يتأجل موعد سفر هذه الحمله ، ووفاة والي ديار بكر المرحوم حسين باشـا ، وارتفاع الاسعار في بغداد وتبرم رجال الحملة بهذا السفر ، وقلة رغبتهم فيه ، كل هذه الأسباب أوجبت عودتهم من حيث أتوا .

أما والي بغداد فانه انشغل بمطاردة المتمردين من الاعراب ، ثم ان جماعة من عشيرة شمر يبلغ عددهم الثلاثمائة رجل أخذوا يعيثون فسـاداً حوالي نهر عيسى وقطعوا الطرق على المـارين فانعطف نحوهم وقتل البعض وأسر البعض الآخر وشرد الباقين ،

وأما من جهة الشامية فقد تواردت الاخبار بتمرد الاعراب هناك واتفق في ذلك الوقت وجود أمير الموالي حسين عباس في بغداد فأرسله الوالي مع مقدار من العساكر الى ضرب الثائرين ، فتغلب عليهم وشردهم واستولى على حوالي الالفي بعير منهم .

وظهر في أطراف الدجيل جماعة من بني جميل ومهرود وقسم من عشيرة زبيد وأخذوا يغيرون هنا وهناك يقتلون وينهبون ، فسار الوزير نفسـه نحوهم على رأس قوة عسكرية وتمكن من تشتيتهم ، وما عـدا هؤلاء وأولئك ثار اعراب بني لام بأطراف منـــدلي وقطعوا الطريق ، فتحرك الوزير أيضاً لتأديبهم على رأس قوة جمعها من عساكره ومن عشيرتي البيات وباجيان وهجم على المتمردين وتغلب عليهم وفل جموعهم خلال خمس ساعات وعاد منصوراً الى بغداد .

وقد ظل مدة أربع سنوات في حرب مع العصاة ، سواءاً في أطراف

بغداد أم في اطراف البصره ، وكان فى كل مرة يتغلب عليهم ، وكل هـذه المشاق فى سبيل المحافظة على الأمن وضبط النظام ولم يذق طعم الراحة مدة حكمه الذي دام أربع سنوات .

وفي سنة ١١٠٨ ولد للسلطان مصطفى خان الامير محمود ، وكانت اولادته أيام فرح وابتهاج ، وتبارى الشعراء والخطباء في تقديم التهاني بهذه المناسبة المباركه . وفي سنة ١١١٠ عهدت ولاية بغداد إلى الوزير اسماعيل باشا .

حكومة الوزير اسماعيل باشا

باشر الوزير المشار إليه بمنصبه والياً على بغداد في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من السنة المذكوره ، وبعد استراحة قصيره أخذ يبذل جهوده فى ضبط البلد والمحافظة على النظام .

وبينمـا هو كذلك إذ صدرت التعليمات إلى والي حلب الوزير حسن باشـا ووالي ديار بكر الوزير چلبي يوسف باشـا ووالي الموصل الحاج حسن باشـا الذي كان سابقاً والياً على البصرة ، بوجوب جمع العساكر التي تحت قيادتهم فتمكنوا من جمع مائة علم واكثر من الف جندي من الانكشاريين والف من اللاوند ، وذلك لانقاذ المدن من المتمردين الذين سيطروا عليها ولا سيما البصرة ووجوب اعادة حاكمها إليها ، ولكن شاء الله أن لا تكون هـذه الحمله موفقه إذ عادت ككل حملة قبلها بالخسران ، وكادت العسـاكر تتمرد على قادتها ، حتى أنهم عند وصولهم الى كربلا لزيارة الامام الحسين رضي الله عنه لم يتمكنوا من ضبطهم إذ راحوا يفعلون ما يشاؤون بغير نظام واعتدوا على الكثير

من الاهليين ، وعند عودتهم الى بغداد صدرت الأوامر بعزل رؤسائهم ، وفر قسم منهم نحو ايران خوفاً من العقاب .

والحاصل فان سكان أطراف بغـداد والبصرة ذاقوا الأمرين من اعتداءات الاعراب كما وان الشيخ مانع نفسه لم يتمكن من ضبط النظام عندما تولى حكم البصرة ، واخيراً سيطر عليها حاكم الحويزه فرج الله وتمكن من اخراج العربان منها بمختلف الطرق ولكن بغير حرب .

وفي هـــذه الظروف كانت جيوش الدوله النظاميه تخوض حرباً حامية مع الاعداء . ومع كل ذلك فانها لم تقصر في تقديم الامدادات لولاية بغداد . بيد أن تلك الامدادات لم تثمر ثمرتها المرجوه مع الاعراب الثائرين .

ولما كانت الامور مرهونة بأوقاتها فقـد بقيت الحـاله على ما هي عليه من الفوضى والتدهور إلى أن وافقت الدوله العليـــه على اعلان الصلح مع أعدائها وبذلك هدأت العواصف وسكنت الثورات وعادت الأحوال الى الهدوء وانحلت الازمات واعيدت البصره الى حضيرة الدوله بعد مناوشات دامت حوالي العشر سنوات .

حكومة الوزير مصطفى باشا الطبان

لقد انتهت مدة حكم اسماعيل باشا عند حلول سنة ١١١١ وعين بمكانه الوزير مصطفى باشـا الطبان ، وقـد صدر أمر تعيينه في غرة ذي القعده من السنة المذكوره ، وحضر بغداد في أواسط محرم من سنة ١١١٢ .

وعند توليه الحكم ورده كتاب من الدوله العليه تذكر فيه أنه

منــــذ عشرة سنوات استولى بعض المتمردين على البصره والقرنه وما جاورهما ، وقد آن الأوان لاسترداد هذه الامكنه وطرد المتمردين منها واعادتها إلى قبضة الدوله العليه ، وانها قد عينت لولاية البصرة والي بغداد السـابق المقيم في حلب الشهباء علي باشـا . وانها لاجل تنفيذ هذه الأوامر أوعزت إلى كل من محافظ آمد الوزير محمد باشا بوجوب جمع قواته وامراء الويته وعساكره ومحافظ شهرزور يوسف باشا ومير ميران سيواس مصطفى باشـا ومير ميران قرمان أيوب باشا ومتصرف بيره جك علي باشا ومتصرف اماسيه محمد باشا وزعماء العشائر وامراء العماديه وعيتتاب ومرعش وحلب وقوات الحرس مع ثمانية عشر فرقة من الانكشاريه وقوات الاحتياط وخمسمائة من الجيجان والمدفعيين وكذلك ثلثي حرس بغـداد الوطنيين وامراء بدره وباجلان والبيـات والاكراد مع عشائرهم وفرسانهم .

وامدت هذه القوات كلها بالذخائر الحربيه والمعدات والنقود التي جمعتها من الرقه وديار بكر والموصل ، وجعلت كل هذه القوات تحت قيادة والي بغـداد ، على أن يتم اعدادهم خلال سنة ، وأن يسـافروا إلى بغداد عن طريق حلب .

وفي خلال هذه الاستعدادات والحشود أخذ متصرف اماسيه محمد باشا يتهاون ويتكاسل في تنفيذ الواجبـات المعهودة اليه وبقى مقيماً في الموصل عدة أيام ، فلما وصلت اخباره الى الدوله العليـــه أصدرت فرماناً باعدامه وارسلته بواسطة احد سعادتها وتم ذلك ودفن في مقبرة الامام الاعظم .

هذا ولما كانت الدوله العليه أقصى ما تريده هو الوصول إلى حل هذه المشكلة فقـد زودت هذه الجيوش ببرنامج تسير بموجبه من حيث

وقت الحركه والتنقلات من مكان الى آخر وكيفية التغلب على المتمردين ثم أرسلت قوة عشائرية من عشائر العراق تتقدم الجيش إلى الاهواز ونواحي البصره والجزائر لارغام الاعراب المتحصنين فى تلك الجهات على التفرق .

ولما كانت السفن الموجوده لا تكفي لنقلهم فقد قامت الحكومه بتشييد حوالي المائه والعشرين سفينة اضافيه مابين صغيرة وكبيره لنقل الاشغال والمعدات والمدافع عدا السفن المخصصه لنقل هذه الجيوش وقد جيء بها من بيره جك واخيراً تحركوا عن طريق نهر الفرات .

وفي هذه الأيام ورد كتاب من قوميسير الحدود الايرانى بيد رسول يرجو من المسؤولين السماح بجلب صناديق لضريحي الامامين الاكرمين الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري عن طريق بغداد إلى سامراء التي تبعد عنها ثلاث مراحل ، تلك البلده التي كان قد هجرها الخلفاء العباسيون والتي لم يبق منها سوى بعض الآثار ، وهذه أيضاً أتى عليها الدهر وأصبحت أطلالا ، وقد ارسل الشاه الايراني هذه الصناديق صحبة الجبه دار الشاهى محمود اغا .

وفي الأيام المذكوره ايضاً وصل بغداد من الدوله العليه بلال اغا يحمل موافقة السلطنه باتخاذ ما يلزم لتأمين ايصال الصناديق الى المكان المقصود ، كما وجاء في الكتاب المذكور وجوب التهيؤ للحركه نحو المتمردين ، وقد قرىء الكتاب على القواد والامراء وكلهم أجابوا الطلب بالسمع والطاعه .

وخلال استعداد هذه الجيوش ورد أيضاً كتاب من حاكم كرمنشاه يرجو فيه تأمين عودة الوفد الذي كان مع الصناديق .

ونعود الى الحديث عن البصرة فنقول ان الشيخ مانع شيخ المنتفق

بعد ماكان يحكم البصره وملحقاتها قد أخرجه منها حاكم الحويزة واستولى عليها وكتب إلى الشاه بما فعل ، ولكن الشاه بقى مدة أربعة اشهر يفكر في الامر ، واخيراً رأى الشاه عدم امكان نقض الصلح الذي كان معقوداً مع الدوله العليه ولذلك أمر بصنع مفاتيح من الذهب الخالص للبلده المذكوره وأرسلها صحبة أحد المقربين المسمى أبو المعصوم خان إلى البلاط السلطاني وأوعز الى حاكم الحويزه بوجوب تخلية البصره .

هذا ولما اقتربت الجيوش من بلدة القرنه أرسلت كتاباً الى حاكم البصره والقرنه تطلب إليه الخروج منها وتخليتهما وتسليمهما إلى الوالي المسؤول ، فورد منه جواب غامض وغير صريح ولذلك أرسل اليه كتاب آخر يستوضحون فيه ما يقصده ، فكان جوابه انه مستعد لتسليم البلد ولكن هذا يحتاج إلى بعض الوقت ويلتمس الموافقـــة على التريث لمدة قصيرة ، وأخيراً اخلت بلدة القرنه ودخلتها الجيوش وبعد ذلك اخليت البصرة أيضاً من حكامها الايرانيين فتسلمها واليها علي باشا .

ويقال ان الخان الايراني عنـــد عبوره شط العرب ووصوله إلى منتصفه توفى بالسكته وارخ وفاته بعضهم بقوله مات داود خان سنة ١١١٢ وكان قد استولى على الولاية المذكوره الشيخ مانع في اواخر سنة ١١٠٦ وسلمها إلى الايرانيين فى شهر رمضان سنة ١١٠٨ وفي شهر رمضان من سنة ١١١٢ استرجعت منهم ،

وكان القزلباش عند وجودهم في البصره قد شيدوا قلعة جديدة في كردلان في الجانب الثاني ، ولما خرجوا منها رأت الحكومة ابقائهـا للاستفادة منها ، ولاجل محافظتها خصصت لها حرساً من الجنود الاحتياط يقدر عددهم المائة نفر محسوبين على مرتبات القرنه وحصنتها بمدفعين .

وقـد استتب الامن في تلك الربوع واستقامت الاحوال ثم عين الخاصكي محمد اغا حاكماً على القرنه مـع قوة تقدر بألف واربعمائة نفر وعدد من الانكشاريه وزودتهم بما يحتاجونه من عتاد وذخائر .

وقامت بقية القوات بترميم ما تهدم من أمكنة في البلده ثم رأى الوزراء والامراء أن وجودهم في تلك الربوع لم يعـد له ضرورة وان الصيف أصبح على الابواب فقد قرروا العوده وتحركوا فعلاً من نواحي القرنه يوم الخميس الرابع عشر من شهر شوال وبعد طي المراحل والبراري وعبور الانهر وصلوا إلى مندلي وهناك توفى أيوب باشا ودفن بالقرب من النبي توران .

وعند عبورهم نهر ديالى وصل القبوچى باشي حسن اغا حاملا رسالة من البلاط السلطاني بوجوب اعدام محمد باشا والي ديار بكر فتم ذلك ودفنت جثته بمقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ولم تعلم الاسباب التي أوجبت اعدامه غير ان المعروف عنـه ان معاملته لم تكن مرضيه مـع مرؤو سيه ومن المحتمل ان بعضهم تقدم بالشكوى ضده الى السلطان .

وفي اليوم الخامس عشر من ذي القعده من السنة المذكورة وصل الوالي المشار اليه وانشغل بتأمين اعادة القوات وامرائها كل الى المكان الذي جاء منه .

حوادث نهر ذياب

ان شط الفرات الذي ينبع من جبال واراضي الروم ويقطع البلاد ويطوى القلاع والبقاع ويمر بعانه وتوابعها ويقترب من بغداد ويواصل رحلته الى شمالي الحله وشرقيها ويصل الى الرماحيه وخالد كبشه والحسكة

والسماوه التي هي من توابع بغـداد ثم يتلاقى مع دجله بالقرب من جزائر البصره وينصب النهران في البحر الهندي ، هذا النهر الذي كان يجري على هذه الطريقة منذ قديم الزمان قـد تشعب منه سنة ١١٠٠ نهر يقال له نهر ذياب من مسافة أربع ساعات من الجهة الغربيه لناحية الرماحيه واخذ يخترق ناحية الحسكه وبقوة جريانه اخذ يتسع شيئاً فشيئاً ولم تكن له سدود توجهه الى الاراضي التي يستفاد منها حتى صار يؤثر على نهر الفرات اذ انحرف إلى جهات أخرى وصار يتعذر توجيهه أو سده ثم أخذ يفيض على الاهوار والجزائر ، واغرق الكثير من النواحي والمدن واهلك المزروعات ودمرها كما وجعل بقية الاراضي الأخرى التي انحرف عنها قاحلة بسبب انقطاع الماء عنها .

وقد استغل بعض الجهله من العشائر هـذه المناسبة وانقطعوا عن دفع الرسوم الاميريه وتحصنوا فى الجزائر والاهوار ، وسرت هذه الحاله الى بقية المقاطعات وتمردوا على الحكومه وراحوا يقطعون الطرق على الماره ، وكثرت غاراتهم واعتداآتهم ولم تفد معهم النصائح والارشادات .

ومن جملة أعمالهم ان سلمان بن عباس الخز على ترأس العشائر المنحرفه عن الطاعة وهجم بهم على الرماحيه وعلى خالد كبشه والحسكه وبني مالك وعلى مقاطعـات نهر الشـاهى واستولى عليها وعلى ملحقاتها وازداد غروره وعتوه واستولى على مدينة الامام علي رضى الله تعالى عنه .

وقد جهز عليه ولاة بغداد الحملة اثر الحملة فلم يظفروا به وكانت تفر بوجهه وتترك أسلحتها وتعود بالخسران الى بغداد ، الأمر الذي زاده غروراً واندفاعاً وراح ينشر دعوته الى الاستقلال بين العشائر والقبائل ، وأكثر من السلب والنهب وفرض الخاوة على القادمين والذاهبين ثم جمع قوة كبيرة وسار على رأسها لاحتـــلال بلدة الحله وضيق عليها

الحصار فأرسل الوالي على الفور بعض القوات الانكشارية من بغداد وتبعتهم القوات الاحتياطية وعاونهم الأهلون وبذلك تمكنوا من فك الحصار عن الحلة ، وكان لسورها الأثر الكبير في صده عنها ، وعودته بالخيبة والخسران ، وبسبب هذه الحركات نقصت الواردات وتقلصت المخصصات وخفضت الرواتب وسوف نشرح ما اتخذته الدولة العلية لمعالجة الحالة .

وفي أوائل ربيع الأول من سنة ١١١٣ وصل الى بغداد الميراخور الثاني حاملاً رسالة من السلطان تقضي بوجوب اتخاذ مايلزم لسد نهر ذياب المذكور والقضاء على المتمردين .

ولأجل تنفيذ هذه الأوامر السلطانية أرسلت المبالغ الكافيه من خزينة الدولة وأوعزت الى الوزير عبدي باشا محافظ كوتاهيه .

والوزير يوسف باشا محافظ ديار بكر والوزير ابراهيم باشا محافظ الموصل ووالي شهرزور الوزير يوسف باشا ومتصرف كويسنجق التابع للولاية المذكورة ، وقائد قوات الانكشارية الموجودين في بغداد وحرس البلدة المذكورة من الجنود ، وشراء مايقتض من اللوازم الضرورية لسد النهر ، وقد باشرت هذه الجموع تتوارد على بغداد تدريجياً .

وبينما كانت هذه الاستعدات تجري على قدم وساق وورود الأخبار عنها الى والد سلمان كتب الى ابنه يعلمه ويحذره ويطلب اليه ان يتقدم بأعلان خضوعه على الدولة تجنباً للعواقب ولكنة لم يتلق جواباً وانما أرسل اليه بعد مدة من يعلمه بأنه لايسعه تلبيته طلبه وانه سائر في طريقه باصرار وان يرضخ للحكومة .

هذا وبعدما أتمت الحكومة استعداداتها تحركت بهذه الجيوش من بغداد في اليوم الخامس والعشرين من تشرين الثاني الموافق ليوم الثلاثاء

السادس من رجب من السنة المذكورة وراحت تطوي المنازل حتى بلغت قرب عون بن علي رضى الله تعالى عنهما ، وعسكرت بالقرب منه وأرسل سلمان جاسوساً يستطلع له الوضع ، ولما علم بتفاصيل الحملة أعلن النفير العام بين القبائل والعشائر وحثها على التجمع والاستعداد الوقوف وبوجه عساكر الحكومة وان يسرعوا في الحضور للفزعة .

وقد تمكن من جمع الكثير من القوات طوعاً أو كرهاً بالاضافة الى ماالديه من القوات واستجابت الى طلبه وتكاثرت عليه الامدادات ، وعندئذ قطع الطريق على تلك العساكر وتصدى لها بما يتجاوز الاربعين الف نفر ما بين فارس وراجل وفي اليوم الثاني تحركت قوات الحكومة من المحل المذكور بكل حيطة وحذر .

أما قوات المتمرد فقد رأوا من المصلحة عدم مقابلتهم في ذلك المكان ، وتركوهم يتقدمون حتى بلغوا قرب نهر ذياب وصاروا منه على مسافة ثلاث ساعات وعسكروا هناك ، وبينما كانوا مشغولين في أنزال أثقالهم هجمت عليهم العشائر وأمطرتهم بوابل من رصاص بنادقهم على حين غفلة ولكن العساكر هبوا عن بكرة أبيهم وتقدموا للقتال وأرسلوا بعض فصائل الخيالة ليحيطوا بالعدو من خلفه ثم أستعرت نار الحرب ولعلع صوت المدفع لأول مرة فخلع قلوب المتمردين وتهازموا كالجراد المنتشر أو كحمر مستنفرة فرت من قسورة وأحاطت بهم العساكر من كل مكان ووقعت بهم أسراً وقتلاً ، أما الذين فروا فقد غرق قسم منهم في نهر الفرات وهلك القسم الآخر اعياءاً وذعراً وتمزقوا شذر مذر .

أما سلمان وأبوه عباس فقد أمعنا في الفرار وطاردتهما العساكر لمدة ساعتين ثم عادت . وهكذا تغلبت قوات الحكومة على المتمردين ونشرت الذعر والهلع في قلوبهم وبعد هذا الانتصار تمكنوا من اخضاعهم

وأجبروهم على الاستلام .

لقد مكث الجيش هناك مدة يومين وبعدئذ باشروا يحفرون نهراً جديداً لترجيه الماء اليه ، وقرروا أن يكون طول هذا النهر ٥١٧٠ ذراعاً وعرضه ١٢٠ وعمقه عشرون ذراعاً وبدأوا بالحفر في اليوم الثاني والعشرين من شهر رجب الفرد واستغرق الحفر ثمانية وأربعين يوماً .

وفي اليوم الثاني عشر من شهر رمضان شرعوا بفتح السد الذي بينه وبين نهر الفرات . وبعد فتحه تدفق الماء وصارت الأراضي الجرداء وكأنها بحر عظيم ، وأعادوا النهر الى مجراه القديم ثم اتخذوا ما يلزم لتحكيم السداد ولكنهم لم يتمكنوا من انجاز العمل لأسباب لم تكن معروفة ، وقد فهمنا من أفواه المسؤولين أن الاسباب كما ننقلها باختصار في ما يأتي ، قال الراوي :

ان سد هذا النهر العظيم ونقل مجراه الى جهة أخرى لم يكن بمقدور البشر ومع ذلك فقد أستعنا بالله وتوكلنا عليه في القيام بهذه المهمة ، وكل ذلك في سبيل كسب رضاء السلطان ، وقد قرر ذوو المعرفة والخبرة أن نحفر أولاً نهراً طوله خمسة آلاف ومائة وسبعون ذراعاً طولا ومائة وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً عمقاً لكي نتمكن من أعادة النهر الى مجراه القديم .

وبدأنا بالعمل من اليوم الثاني والعشرين من شهر رجب واستغرق الحفر ثمانية وأربعون يوماً بذلنا خلالها كل مجهوداتنا وطاقاتنا واستعملنا مايتجاوز الخمسة آلاف كيس عدا آلات الحفر من فؤوس ومرار لحفر ونقل التراب الذي تراكم كالجبال وعلى هذا المنوال تم الحفر في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك ، ولكي يمكن امرار المياه منه ولأجل عمل سدود لهذا النهر الجديد استعملنا آلافاً من الصناديق الكبيرة

والمعدات الاخرى المختلفة ومنها السفن وباشرنا أيضاً بعمل السدود .

وما عدا هذا فأنا استعنا بالعمال والفلاحين لنقل التراب والانقاض على ظهورهم ومع ذلك فلم نتمكن من انجاز أكثر من ثلاثة وسبعين ذراعاً طولا وثلاثة وأربعين ذراعاً عمقاً ، ومع ذلك فأن أكمال هذا المشروع يتطلب منا بذل جهود فوق الطاقة ويأخذ منا وقتاً طويلاً بينما نحن على أبواب الربيع والمياه أخذت ترتفع شيئاً فشيئاً وصرنا تحت رحمة ما يداهمنا من فيضان وأخطار .

ولما كانت الدولة قد بذلت الاموال الطائلة لهذا الغرض فأنها من ناحية أخرى تعطف على رعاياها وتتخذ مايلزم للمحافظة عليهم وعلى حياتهم من المهالك ، لاسيما وأنا بعدما بذلنا الجهد مدة أربعة أشهر لم تعدلنا تلك الطاقة لمواصلة العمل بعد مرور سنة كاملـــة تضينناها بالاتعاب والحروب كما وأن كل فرد منا صار محتاجاً الى الفلس لنفاد ما عندنا من المصاريف .

وكذلك عرضنا الامر على السلطان بعريضه وقعناها كلنا ، بما فينا الوزراء والقواد والامراء وختمناها وأرسلناها بواسطة القائد العام .

ولم ننتظر الجواب بل عدنا عن طريق النجف الاشرف وكربلاء في مطلع شهر ذي القعدة وتركنا قوة احتياطية لمحافظة المشروع ، وجئنا الى بغداد ، وقد صادق القائد العام بدوره على العريضة وأرسلها الى الاستانة بيد القبوجي باشي اسماسيل أغا ، وبقينا ننتظر الجواب ، وقد انزل الوالي كلاً من الوزراء والامراء في دور خاصته ، أما الآخرون فقد نزلوا ضيوفاً على الاهلين .

وفي أواخر الشهر المذكور ورد كتاب من حاكم الحسكه يفيـد بأن المتمرد سلمـان عاد إلى تلك الديار وهو الآن يحاول الهجوم على

البلده للاستيلاء عليها ويطلب الحاكم الموما إليه امداده بقوة كافية للدفاع ، ولما لم يصله المدد اضطر إلى تسليم البلده المذكوره .

وفي سنة ١١١٤ وردت الموافقه بعودة الوزراء الذين ظلوا في بغداد بالعوده من حيث أتو . وفي اليوم الرابع عشر من شهر صفر الخير من السنة المذكوره ورد أيضاً أمر عزل والي بغداد وطلب حضوره إلى الروم وبعدما أدى زيارة الاماكن المقدسة ومنها حضرة الامام الأعظم سافر الى الجهة المقصوده . وكانت مدة حكمه سنتين واربعة أشهر .

حكومة الوزير يوسف باشا

كان هذا الوزير ذا اخلاق حميدة ، وسيرة مرضيه وكان قبل هذا والياً على ديار بكر وانه كان من جملة الذين حضروا إلى بغداد لانجاز مسروع نهر ذياب وبقى في بغداد بانتظار جواب العريضه فتلقى هذا الامر الذي أناط به منصب والي بغداد بسرور وباشر بوظيفته وانصرفت همته إلى تنظيم شؤون البلد وتحسين أحوال السكان .

وفي اليوم العشرين من الشهر المذكور وقعت صاعقة على بغداد وهبت ريح حاره قوية . وفى اليوم الواحد والعشرين من شهر ربيع الآخر وصل رسول من البلاط السلطاني يحمل كتاباً منه حول الموافقة على تخفيض الضرائب وارسوم وبيع المقاطعات الاميريه فأجرى اللازم بموجبه .

وفي منتصف شهر رجب من السنة المذكوره ورد أيضاً كتاب من السلطان إلى محافظ بغداد الوزير يوسف باشا بتعيينه قائداً عاماً على القوات التي صدرت الاوامر بارسالها اليه ، وقد اتخذ له مقراً في

الجانب الغربي من بغداد بانتظارها ، وعينت الدولة امراء لتلك القوات ولقوات بغداد الجديده التي ستحل محل القوات المتطوعه . وقد وصلت إلى بغداد فى اليوم الخامس من شهر شعبان المعظم وعسكرت بالقرب من معسكر القائد العام .

اما الوزراء والامراء الذين صدر الامر لهم بالسفر إلى بغداد فهم محافظ ديار بكر الوزير حسن باشا ومير ميران قرمان علي باشا ووالي الموصل الوزير يوسف باشا الآخر ، وقد حضروا إلى بغداد هم وقواتهم وعسكروا في الجانب الغربي أيضاً .

وقد تبين ان هذه القوات أرسلت للقضاء على ثورة سلماق الخزعلي الذي ركن الى الحيلة في هذه المرة بأن أرسل ابنه الصغير كرهينة مع والده عباس لطلب الامان والعفو على أن يتعهد بدفع الرسوم التي بذمته سنة بعد سنه . وقد تشفع له علماء بغداد وعندئذ توقفت حركة الجيوش .

وفي مطلع سنة ١١١٥ أى في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول حضر بغداد الدفتر دار الجديد لتدقيق سجلات الواردات والمصروفات وحساب مخصصات الوالي وجاء معه بسجلات جديده اشتغل في تنظيمها حوالي الخمسمائة كاتب بدون اجور وذلك اقتصاداً للاموال الاميرية من التبذير .

واليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ورد المرافق السلطاني أحمد أغا يحمل أمر تعيين القبودان محمد باشا لمحافظه البصرة ، والوزير علي باشا لولايتي بغداد والبصرة ، أما الأغا المومأ اليه فأنه بعد سفره الى البصرة قامت الدولة بأجراء تنقلات أخرى أعيدت بموجبها ولاية بغداد الى الوزير يوسف باشا ، أما الوزير علي باشا فأنه لما علم بهذه التنقلات وكان في مندلي ، فأنه قرر العودة

من حيث أتى ولكنه غيّر رأيه وعاد فواصل سفره الى بغداد .

جلوس السلطان أحمد خان الثاني

في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة خلع السلطان مصطفى خان بسبب تصرفاته السيئة وأجلس أخوه السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان على كرسي السلطنة وقد سبق أن ذكرنا قبل هذا أن محافظ بغداد الوزير يوسف باشا انتقل الى قصبة الامام الأعظم بأنتظار الاوامر الجديدة ، وعند وصول علي باشا الى بغداد تسلم الولاية في اليوم الواحد والعشرين من جمادي الآخر ونزل في في دار الحكومة ثم انتقل الى قصر الوالي السابق .

حكومة الوزير علي باشا

للمرة الاخرى تنعم الدولة على الوزير علي باشا بولاية بغداد ، والرجل مشهور بالاخلاق الطيبه وبصلاحه وميله عن بهارج الدنيا وبعفته وشجاعته ، وبعد تسلمه الولاية أخذ يسعى لتحسين حالها ويتجول على ظهر حصانه في دروبها وأطرافها وقمع حركات العصاة والمتمردين ، ونشر العدل والأمن في كل مكان .

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر شعبان من السنة المذكورة وردت أخبار انتقال السلطان مصطفى خان بن السلطان محمد خان الى الدار الآخرة ، وكان ميلاده سنة ١٠٧٤ ومده سلطنته تسع سنوات تقريباً ، وقد بلغ من العمر اربعين سنه .

وفي سنة ١١١٦ كثرت مظالم والي البصره القبودان محمد باشا وجار في أحكامه على الناس وازداد تعسفه على ماروواه الناس ولم يبال بدعوة المظلومين ثم أصيب بمرض مجهول لم يمهله طويلا وانتقل الى الدار الآخرة .

وورد الى والي بغداد كتاب من أهل البصرة يعلمونه بوفاة واليهم فأخبر بدوره الدوله العليه فصدر الأمر بتعيينه لمحافظة البصرة وبتعيين محافظ ديار بكر الوزير حسن باشا لولاية بغداد ، وقد حكم الوالي السابق من اليوم الواحد والعشرين من جمادي الآخر سنة ١١١٥ الى العاشر من شهر صفر سنة ١١١٦ فكانت مدة حكمه لهذه المرة سبعة أشهر واربعة أيام .

حكومة الوزير حسن باشا

ان هـــذا الوزير يتمتع بشخصية محبوبة وصورة جميلة ومعروف بالشجاعة والاقدام ويجيد استعمال مختلف الاسلحة وهو في هذا الصدد فريد عصرة ونسيج وحده ، وقد عرك الدهر واكتسب خبرة في ادارة أمور الدولة ومعالجة المشاكل ، ولاغرو فانه نشأ في البلاط السلطاني وتدرج في مناصب الدولة .

وأخيراً عهدت اليه ولاية بغداد دار السلام ، وعند وصوله باشر بتأمين الطرق ونشر العدل وحارب المتمردين والخارجين على النظام ، وكان الوزراء الذين تقدموه يرسلون الحمله اثر الحمله لتأمين هذه الناحيه فلم يفلحوا .

وفي أواسط السنة المذكورة وردت الأخبار بأن المسافرين بواسطة الأكلاك مابين الموصل وبغداد يتعرضون للغزو والنهب من قبل العشائر

المقيمة على ضفاف دجله ولا سيما عشائر الشهوان والغرير وامتدت اعتداآتهم الى كركوك وقراها ، وكان هذا دأبهم منذ مدة طويله وكلما تخرج عليهم حملة لتأديبهم توارو عنهـا الى جهة البادية وتحصنوا في أمكنة يصعب أجتيازها ، فقام الوزير المشار اليه واستصحب معه مقداراً من القوات المحليه والمدافع ومختلف لاسلحه وعبر الشط واحاط بهذه العشائر التي مارأت القوات تتقرب منها حتى سارعت الى قلاعها هي وأطفالها ونسائها .

ولكن الحملة ضيقت عليها الخنـاق وراحت تضربهم بدون هوادة وانقضت عليهم انقضـاض الصواعق ، واختلط حابلهم بنـابلهم وقويهم بضعيفهم وفرسان العساكر تلاحقهم من مكان إلى مكان حتى انكسروا شر كسرة وقتلوا بعضهم واسروا البعض الآخر ونهبوا أموالهم ولكن الوزير عاملهم بعدئذ بلطف ورحمة ورد اليهم الاسرى والنساء والاطفال ورد إليهم أيضاً أموالهم ونصب عليهم شيخاً جديداً وعاد إلى بغـــداد منصوراً .

وبعد إستراحة قصيرة أخذ يتجول فى أطراف البلده وزار ضريح سلمان الفارسي رضي الله عنـه ، وصـار يخرج يومياً للصيد ثم يعود مساءاً .

وفي شهر شوال من السنة المذكوره سافر لزيارة سيد شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة حضرة الامام الحسين رضي الله عنـه وفرق هناك المبالغ الطائله على الفقراء والمحتاجين ثم واصـل سفره لزيارة ضريح رابع الخلفاء وابن عم الرسول وزوج البتول الجليـــل المناقب حضرة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهناك أيضافرق الكثير من المبالغ وبعدها اتجه نحو الكوفة وصلى في مسجدها ركعتين وهناك أيضاً

فرق الكثير من المبالغ وبعدها إتجـه نحو الكوفة وصلى في مسجـدها ركعتين تقرباً الى الله تعالى ثم تحرك ركابه فوصل بلدة ذي الكفل(ع) وتبرك بزيارة ضريحه وبات هناك .

وفي اليوم التالي واصل سفرته الى الحلة الفيحاء حيث أقام يومين تحرك بعدها ولما وصل خان النصف وجده مهملا وقد اتخذه الأشقياء وقطـاع الطرق مكمناً يخرجون منـه لنهب وسلب المارة ثم يأوون إليه ليلا . فأمر الوزير المشار اليه بأعادة بنائه ورتب له حرساً يقيمون فيه لمحافظة المسافرين وقطع دابر المتمردين .

وفي أواخر السنة المذكورة رفع أعراب بني لام رايـــة التمرد والعصيان وراحوا يشنون الغارات ويقطعون الطرق على عباد الله ، ولما كانت هذه العشيرة تقع على الحدود ما بين العراق والعجم ورعايا كلا الدولتين يتعرضون للاعتداء عليهم من قبل هذه القبيلة ولم تفد معهم النصائح بالكف عن هذه الأعمال فقد قرر الوزير وجوب تأديبهم وفعلا اتجه نحوهم بما لديه من قوات .

وعند إقترابه منهم هجم عليهم هجوم السيل المنحدر من مرتفعات الجبال ، ولما لم يقدروا على المقاومة فروا بأتجاه الجبال هم وعيالهم وأطفالهم وتحصنوا في أمكنـة يصعب الوصول إليهم منهـا ومـع ذلك فقد تعقبهم الوزير وتمكن من سحقهم وقتل الكثير منهم وغنمت العساكر أموالهم وساقت مواشيهم وإعتبرتها من حصة الرسوم الاميرية التي في ذمتهم .

أما الذين نجوا منهم فقد التجأوا إلى الاراضي الايرانية غير انهم هناك أيضاً لاقوا الأمرين من الأكراد والايرانيين لانهم كانوا يقعون تحت طائلة غاراتهم وبذلك قضى على هذه القبيله الشريرة .

وفي مطلع سنة ١١١٧ وقعت في الحله حادثة غريبة وذلك ان أحد الجسارين شاهد بريقاً يخرج من مكان قريب ، ولما اقترب منه وجده قطعة من الحجر اللماع ، وذهب الى أحد الصاغة لبيعه والاستفادة من ثمنه ولما فحصه الصائغ اليهودي وجده من الأحجار الكريمة واشتراه بمبلغ زهيد

ولما كان كل سر جاوز الاثنين شاع فقد انتشر خبره بين الناس حتى وصل مسامع حاكم البلده فأحضر اليهودي وأحضر الحجر والخبراء وبعد الفحص تبين انه من الماس الخالص ، وعندئذ عرض الأمر على الوزير وجيء بالحجر الى بغداد وأعيد فحصه من قبل الخبراء بالجواهر وثبت أنه من الماس ووزنه خمسة وعشرون قيراطاً ونصف ، فوضعه الوزير في صندوق وختمه وقدمه الى رجل الدوله العليه هديه الى السدة السلطانية .

وفي اواسط السنة توجه الى سامرا لزيارة الامامين الهمامين السيدين السندين الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري ثم تجول بأطراف البلده وبعد قضاء وقت في الصيد عاد الى بغداد .

وبعد استراحة خفيفة رأى ان يتوجه الى احدى المقاطعات المختاره التابعه لبغداد وهي الحسكة التي اتخذها سلمان بن عباس الخزعلي مكمنا له ولعشيرته يندفعون منها لقطع الطرق ويغيرون على هذا وذاك ويسلبون وينهبون وعليه فقد جهز حملة قوية وسافر على رأسها الى تلك الجهات .

ولما اقترب من الشقي وضيق عليه الخناق أرسل مرة اخرى ولده مع جماعة من رجاله طالباً الصفح والامان فلم يوافق الوزير وطلب أما أن يحضر بنفسه وله الامان واما أن يترك هـذه الديار وأما الحرب .

ولما كان الخائن خائفاً فقد اختار الجلاء وذهب نحو الاهوار حيث قبع هناك . ودخل الوزير الى البلده المذكوره وعين لها ضابطاً ومقداراً

من العساكر للمحافظة على الامن . وبعـد ذلك خرج الشقي المذكور من مكمنه وذهب هو واتباعه الى أطراف ناحية السماوه ، ولما علم به الوزير اتجه نحوه وظل يطارده من مكان إلى مكان وبعـــد امعانه في الهروب عاد الى الحسكه .

ذكرنا فيما سبق ان الوزير خليل باشا الذي جرى تعيينه لمحافظة البصرة كان قد وصل بغداد في شهر جمادي الآخر من السنة المذكوره وبعد مكوثه بضعة أيام تحرك نحو البلده المذكوره .

اما والي البصره السابق علي باشا فانه تحرك منها وقبل وصوله الى بغداد بثلاث مراحل انتقل الى رحمة الله وجيء بجنازته في سلخ رجب حيث دفن في مقبرة الامام الاعظم رضي الله تعالى عنه .

ولما علم والي بغداد تحرك من الحسكه نحو بغداد وتولى امر بيع ممتلكات المرحوم وعرض الامر على الدولة العليه وترددت في امر البيع ولكنها وافقت عليه وعندئذ سلم المبالغ والاشيـاء التي لم يمكن بيعهـا الى كتخداه والخزينه دار حيث ذهبا بها الاستانه .

وفي شهر شعبان من السنة المذكوره ولد الامير السيد محمـد ، وانعمت الدوله العليه على الوزير المشار اليـــه بسيف مرصع وبدلة ممتازه صحبة المرافق السلطاني حيث وصل في أواخر شهر رمضان المبارك الى بغداد وقدمها الى الوزير الذي أقام بهذه المناسبة مراسيم الافراح لمدة عشرة ايام من اليوم الثالث من العيد المبارك .

وفي اليوم السابع والثامن من الشهر المذكور وعلى خلاف العاده اشتد البرد وهطلت الامطار بغزارة ثم أعقبهـا نزول الثلج والانجماد العام مما قضى على المزارع والاشجار ولا سيمـا النخيل والحمضيـات والسدر وغيرها واجهز على الكثير من الشيوخ والعجائز .

ولما حلت سنة ١١١٨ خرجت عشائر شمر عن الطاعة وراحت تعيث فى الارض فساداً ثم تبعتها بقيـة العشـائر الكائنة غربي نهري الفرات ، وكثرت تعدياتهم وقطعوا الطريق فتحرك الوزير على رأس قوة من قوات بغداد وعبر نهر الفرات واتجـه نحو تجمعاتهم ثم هجم عليهم فمزقهم وشردهم فى البراري وعاد غانماً منصورا .

وفى السنة المذكوره ايضاً تمردت عشيرة غزيه التابعـــه لشيوخ آل قشعم . وانبرت تقطع الطريق وتسلب الرائح والغـادي فى بادية السماوه والرماحيه ونهر الشـاهي . وكثر توارد الشكاوي من اعمالهم فاتجه الوزير نحوهم واحاط بهم وظل يحاربهم لمدة ثلاثة او اربعة أيام مزق خلالها شملهم وشتت جمعهم واسر اثنين من شيوخهم ثم عاد الى بغداد .

أما عشيرة شمر المار ذكرها فانه بعدما كانت تتجول شرقاً وغرباً وتقضي ايامها فى النهب والسلب فقد عادت الى صوابها وسلكت طريق الرشاد وعاشت هي وافخاذها وشيوخها بهدوء وسكون .

وعنـــد حلول سنة ١١١٩ تحركت عشيرة زبيد وجمعت رجالها وراحت تعتدي على القرى الامنه التابعه وتغلبت على الباشيه والسيب والاهوار وشتت سكان هـذه الأمكنـه واستولت على مزارعهم وخربت بيوتهم واكثرت من قطع الطرق . وكثيراً ما كانت تتغلب على الحملات العسكرية التي يرسلها الولاة عليها . ولما بلغت اعمالها حداً لا يمكن السكوت عليه توجه الوزير الغيور نحوها وراح يطاردها من مكان الى مكان حتى مزقها وقتل قسماً من رجالها وفر الباقون وعاد سكان القرى الى أراضيهم آمنين مطمئنين ، وقد أمرهم الوزير بكرى انهرهم المباشره بالزراعه والتعمير ثم عاد .

وهذا ولما كان شيخ المنتفق مغامس بن مانع قد بدرت منه مايدل على التمرد ضد اوامر البصره الوزير خليل باشا ، ومنها انه تغلب على الجزائر والنواحي الأخرى ، فقد أرسل المشار اليه حملة لتأديبه واعادته الى الطاعه ولكن هذه الحمله ارتدت على أعقابها مهزومة الى البصره ، مما اثار الرعب في قلوب السكان ، فأرسل والي بغداد مدداً من العساكر المشاة وجهزهم بالمعدات والذخائر الى خليل باشا يستعين بهم وليتمكن من اعادة النظام والهدوء الى السكان واخبر الدوله العليه بذلك وهذه بدورها ارسلت فرمانا الى والي بغداد ليتولى بنفسه القيادة العامه على القوات التي سوف ترسلها الى هناك .

وأصدرت أوامرها الى والى كوتاهيه الوزير المحترم حسن باشا ومحافظ ديار بكر الوزير المكرم رجب باشا ووالي الموصل وأمراء كركوك والقوات الانكشارية الموجودة في بغداد حيث اختارت منهم مقدار خمسمائة جندي من المتصفين بالبسالة والاقدام ، ولاجل جمع هذه القوات وجعلها على اتم استعداد ارسلت القبوجي باشى من البلاط السلطانى .

واخذت هذه القوات تتوارد على بغداد الفوج بعد الفوج وكأنهم امواج البحر وعسكروا فى الجانب الغربى من البلدة .

وقد اتخذ الوزير المشار اليه مايقتضى من جانبه للتهيؤ للحركة وجمع مقداراً من قواته وجهزهم بالمعدات الحربية ، وبعد اكمال الاستعدادات تحرك من بغداد في اوائل رجب من سنة ١١٢٠ ووصل الى الحله وبعد مكوثه هناك مدة اسبوع واصل سفره حتى وصل العرجه التابعه لولاية بغداد ثم دخل الاراضي التابعه لولاية البصره واتجه نحوها من جانب الباديه .

ولما كانت العبور الى المدينة ليس من السهوله بسبب كثرة الانهر فقد عسكر بالقرب منها ، ولما علم والي البصره خليل باشا بمقدمه هرع لاستقباله ، وكان لملاقاته به صدى فرح وابتهاج .

ثم ان الشقي ارسل جواسيسه يستطلعون له الاوضاع ، ولما علم بمقدم هذه القوات سارع الى اتخاذ الحيطة وجمع جموعه خلف الانهر والاهوار والجزائر التي يصعب اجتيازها واقام في الجانب الغربي من نهر عنتر ، وكان بصحبته عدد كبير جداً من العشائر وخاصة عشائر المنتفق ونجد والعراق ووقف على أتم استعداد لتحدي قوات الحكومه .

وقـــد وصلت اخبار تجمعه واستعداده الى القيـاده العسكريه فأوعزت الى محافظ البلده بعدم الخروج منها ، وتقدم القائد العام هو ورجاله وعساكره نحو النهر المذكور ، ولكنه وجـــد عبوره متعذراً ولذلك أمر القبودان باحضار السفن وساروا في محـاذاته ثم اتخذوا ما يسمى بالبطخه التي تعمل من القصب والبردي وربطوا بعضها ببعض للعبور بواسطتها ولكنهم وجدوها لا تحتمل اكثر من اربعين شخصاً .

أما الاثقال والمعدات الحربية فقد نقلت بوسائط أخرى ، كمـا تمكنوا من سد النهر المذكوو وتقدم قسم من القوات نحو مكمن الثوار واطلقوا عليهم نيراناً حامية .

ولما رأى القائد العام ان الثوار ما زالوا صامدين فى اماكنهم وخطوطهم الدفاعية التف حولهم من كل مكان وصار يدنو منهم رويداً رويدا ، ثم وجه إليهم المدافع وراحت تقصفهم قصفاً شديداً ومركزا واستمرت الحرب اربعة أيام واشترك فى القتـال ما يقرب من الخمسة آلاف جندي ومع ذلك لم يتزحزح الثوار . وانما استبسلوا في الدفاع عن انفسهم لا سيما وان الطرق قد سدت من كل الجهات بوجوههم .

واخيراً ضيقت الجيوش عليهم وامطرتهم بوابل من قنابل المدافع ورصاص البنادق حتى اهتزت الارض من تحت اقدامهم ورأوا ان لا مناص من الاذعان والتسليم بعدما شاهدوا ان المدافع اخذت تحصدهم حصداً ، ولم تعد لهم طاقة على الثبات واصبح معظمهم ما بين مجروح ومقتول ، وعندئذ انتهزوا فرصة حلول الظلام وفروا نحو البادية تاركين اثقالهم واطفالهم ونسائهم فنجا بعضهم وغرق في الاهوار البعض الآخر ، ومن نجا برأسه فقد ربح ، وهكذا تمزقوا شذر مذر ، وتقدم الشعراء يمدحون الوالي حسن باشا على هذا الظفر :

وقد قلت بهذه المناسبه : حمد ايوب سويلدم بو نصرت ايجون سال تاريخنى غزاى مبين سنة ١١٢٠ أي قلت حامداً كما حمد الله ايوب لما مسه النصر ان غزوة هذه السنة وقعت سنة ١١٢٠ .

هذا وان الجنود استولوا على الكثير من الغنائم . وفي هذه الظروف وصل سلحشور البلاط السلطاني يحمل فرماناً بتعيين والي كوتاهيه الوزير حسن باشا الى ولاية البصرة وسافر اليها عن طريق الجزائر بعد استراحة قصيرة في بغداد .

وعند انقضاض المعركة عاد الوالي الى البصره ومنها عن طريق الجزائر الى العرجه . وفي اواخر شهر ذي القعده من السنه المذكوره وصل بغداد وعلى رأسه ترفرف رايات النصر . اما الوزراء والامراء وسائر الجيوش فقد بدأوا يعودون من حيث جاؤا .

ولما حلت سنة ١١٢١ ثار أيضاً مفامس ولم يعتبر بتلك الموقعه في فى السنه الماضيه وجمع مقداراً من افراد عشائر غزيه وهجم بهم على ناحية الرماحيه واحرق المزارع وقطع الطرق ، وعندما علم الوزير بادر بالسفر نحوه برغم حرارة المناخ حتى وصل منتصف الطريق بين البصره وبغداد

وأرسل العتاد والأسلحة الكافية بعده عن طريق الحلة .

وقد بلغ المتمردين قرب وصول الحمله واجتيازها الحله ونهر الشاهي انتقل الشقي من مكانه إلى الجزائر وراح من هناك يحرض العشائر على الثورة ، وقد رأى الوزير ان هذه الثورة أخذت تتسع كتب الى الدولة العليه يعلمها بهذه الحوادث الجديده .

ولأجل القضاء على هذا المتمرد أصدرت أوامرها مرة أخرى الى والي ديار بكر ومحافظ كركوك أن يرسلا عساكرهما تحت قيادة الكتذائية وكذلك عساكر الموصل وأيالة كردستان وأمراء تلك المنطقة وعينت والي بغداد قائداً عاماً عليهم ، وأخذت هـذه القوات تصل تباعاً الى بغداد واتخذت لها مقراً في الجانب الغربي .

وفي أواخر شهر رجب من السنة المذكورة سافروا نحو الجهة المقصودة ، ولما وصلوا السماوة علموا أن الشيخ ناصر شيخ المنتفق فى حرب مع مغامس ، وبما أن معظم عشائر المنتفق مع هذا الاخير فقد اندحر ناصر بوجه خصمه ثم هجم مغامس على الجزائر وضبطها وحاصر البصرة ، فما كان من القائد العام الا وأسرع نحوه وقطع كل ثلاثة مراحل مرة واحدة .

وعند اقترابه من تلك الجهات سمع الشقي مغامس بمقدمه وفرّ نحو الجوازر وتحصن خلف الانهار والاهوار والامكنة التي يصعب الوصول اليها ، ولكن الوزير لاحقه وعبر تلك الحواجز وأحاطت قواته بالعشائر الثائرة من كل صوب وناحية ، وكان عدد أفرادها يتراوح بين الاربعين والخمسين الفاً ، ومع ذلك لم تصمد أمام ضربات العساكر المتلاحقة ، خاصة وان زعمائهم كل واحد منهم أخذ يختلق المعاذير للعودة الى ديرته وأخيراً انهزمت جموعهم وولت الادبار أمام العساكر التي راحت

تتعقبهم حتى هلك أكثرهم في الاهوار وصارت أموالهم غنيمة للقوات الحكومية كما وانهزم الشقي المذكور وعاد ادراجه بالمذلة والخسران .

وقد سجد الوزير شكراً لله على هذا الانتصار وبـــه قضى على المتمردين في تلك الاطراف ، وانتشر الامن هناك ولم تعد الحكومة تخشى من وقوع ثورات أوعصيان . وعاد الوزير بعدما عين حاكماً لناحيـــة الجوازر وتفقد فى طريقه شؤون البلاد والعباد وفي أوائل شهر رمضان المبارك من السنة المذكورة وصل الى مقره دار السلام وعرض النتيجة على الدولة العلية فنال تشكرات السلطان ورجال الدولة ، وقد أنيط به تعيين الولاة الى البصرة ، وقد اختار من بين الكتخدائية أقدرهم وهو مصطفى أغا وعينه حاكماً على البلدة المذكورة .

وفي سنة ١١٢٢ تمرد بعض الاعراب التابعين لناحية الجوازر على حاكمهم ورفعوا راية العصيان فتوجه الوزير المنصور الى هناك لتأديبهم مستصحباً بعض القوات الاحتياطيه فلم يتمكن المتمردون من المقاومة وركنوا الى الفرار نحو الاهوار تاركين أموالهم وأنعامهم غنيمة للعساكر وعاد الوزير بعد ذلك الى بغداد .

وفي سنة ١١٢٣ تمردت أيضاً عشائر بني لام وراحوا يغيرون على القرى والامكنة الواقعة في الجانب الشرقي من اطراف بغداد ويتعرضون بالمارة من أبناء السبيل فسارع الوزير إليهم ، ولما قرب منهم فروا ملتجئين الى حاكم الحويزه عبد الله خان وطلبوا قبولهم فأجارهم على الطريقة العربية وتوسط للعفو عنهم على شرط أن يعيدوا الاموال التي نهبوها ، فوافق الوالي على ذلك ، ولكن الخان أخذ يماطل بعد ذلك في أمر رد تلك الاموال الامر الذي حال دون تنفيذ هذا الشرط الذي تم الاتفاق عليه للعفو عنهم فتركهم الوزير محصورين فى تلك الجهات وعاد

الى مقره .

وفي سنة ١١٢٤ عينت الدولة العلية الوزير الجليل القدر عثمان باشا محافظاً على البصرة وقد مر ببغداد ومنها سافر الى مقر وظيفته .

وفي سنة ١١٢٦ عهدت الوظيفة المذكورة الى الوزير المحترم حسن باشا وكان مروره إليها من بغداد أيضاً .

ثم تمردت عشيرة بلباس الكردية وكثرت تعدياتها على الناس الآمنين فاضطر إلى السفر نحوهم ليذيقهم مرارة الهزيمة ويستولي على أموالهم ويعود منصوراً إلى مقره .

وفي السنة المذكورة تمرد سنجق بيه المسمى بكر التابع لمنطقة شهر زور وأعلن العصيان على والي المنطقة المذكورة وقتل بعض أقربائه ورجاله وراح يشن الغارة هنا وهناك ويقطع الطرق ويعتدي على الابرياء .

ولاجل تأديبه توجه الوزير الى تلك الجهة فوجد أن الشقي المذكورة قد تحصن فوق الجبال الشاهقة ويصعب الوصول إليها وقاوم القوات الحكومية ولكن هذه القوات الشديدة البأس والتي من بينها الكثير من الجنود الاكراد لم تحل دون تقدمهم الحصـون والجبال إذ تسلقوها وكأنهم مردة الجان والتحموا بالشقي وتغلبوا عليه وهزموه بعد ما قتلوا أكثر رجاله ، ومن بقى منهم على قيد الحيات هام على وجهه وفر في الصحاري والوديان وكأنهم الجراد المنتشر .

وبعد أرفضاض المعركة عين الوزير أميراً جديداً ثم عاد الى بغداد ومن غريب الاتفاق أن الشقي المذكور هاجر بعدئذ من دياره وجاء متخفياً إلى بغداد كمن يسعى لحتفه بظلفه ، فعرفه بعض الناس وقبضوا عليه ونال جزاؤه .

وفي سنة ١١٢٧ تحرك عبد الله خان السابق الذكر هو وحاكم كردستان

وعدد من حكام العجم وتجاوزوا الحدود الى الجوازر التي تحصنت فيها عشائر بني لام ، فكتب الضابط المسؤول عن تلك الجهات إلى الوزير يعلمه بذلك ثم جمع قواته والعساكر التي تحت إدارته وهجم بهم على القوات المتقدمة وتغلب عليهم وهزمهم فعادوا أدبارهم نحو الجهات التي جاؤوا منها وتركوا أموالهم وعتادهم غنيمة باردة .

وفى السنة المذكوره رفع اليزيديه المتحصنين منـذ زمن قديم في جبال سنجار راية البغي والفساد واندفعوا يقطعون الطرق ويقتلون وينهبون ، فتوجه إليهم الوزير المشار اليه على رأس حملة قوية ، ومع ان المتمردين تصدوا لهذه الحملة وقاوموها ولكنها واصلت هجومها إلى حصونهم وبطشت بهم وفرقت جموعهم الذين فروا نحو قرية الخاتونيه وتحصنوا بها ، فلاحقتهم القوات المنصورة ووقعت معركة عنيفة هناك قتل فيها الكثير من رجال الطرفين واخيراً كان النصر حليف القوات الحكومية ، ولما رأى الاشقياء انهم مغلوبون أخرجوا نسائهم وأطفالهم من القرية ودفعوهم نحو العساكر يلتمسون العفو والامان فتم ذلك وبعد ما عين الوزير شيخاً جـديداً عليهم من قبيلـة طي المقيمة فى تلك الجهات وعاد .

وفي السنة المذكوره عهدت الدوله بايالة شهرزور الى ابن الوزير المكرم احمد باشا وعينه حاكماً على تلك المنطقة . وبعـد مرور سنة جعلت ولاية البصرة أيضاً تحت اداوة الوزير المشار اليه .

وفي السنة نفسها إستردت الدولة جزيرة موره من أيدي الكفار ، ووردت البشائر بهذا النصر إلى بغداد وأقيمت مراسيم الزينة والافراح لهذه المناسبة .

وفي السنة التي بعدها عهد منصب الوزير الاعظم إلى خليل باشا ،

ولاجل إستئناف القتال مع الكفرة ، طلب من وزير بغداد أن يمده بمقدار من عساكره التي تحت إدارته فأرسل له ما يقارب الخمسمائة جندي من منطقة كردستان وسفرهم بعد تجهيزهم مما يحتاجون من عتاد وسلاح وجعل الكتخدا عبد الرحمن أغا قائداً عليهم ، وهذا بعد أداء ما عليه من الخدمة المطلوبة عهدت إليه حاكمية شهرزور بعد عودته إلى بغداد .

أما الوزير الأعظم فانه هرب بوجه العدو بسبب حصول تنافر بينه وبين أمراء الجيوش ، وأخذ منهم العدو قلاع طمشوار وبلغراد الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على البلاد الاسلامية .

وفي سنة ١١٢٩ تمرد أكراد الجاف التابعين لقوات القزلباش وهجموا على باجلان وقتلوا حاكمها كما قتلوا عثمان بك وبعض رجاله ، فسافر نحوهم الوزير على رأس قوة من عساكره وأسرع نحو هذه الزمرة المتمردة وسلط عليهم نيرانه فلم يثبتوا بوجهه وفروا نحو الجبال فتركهم وعاد الى مقر حكومته بعدما ظل يطاردهم من مكان إلى مكان وأذاقهم صنوف الخزي والخذلان .

وعند عودته كتب الى الشاه الايراني بصدد هذه الحركة ، فما كان منه إلا ان كتب الى ضباط الحدود يعاتبهم ويؤنبهم على هذه الاعمال ، وقد عزل بعضهم ودفع التعويضات اللازمه عن الاضرار التي تكبدتها الدولة العليه .

لقد كان الوزير المشار اليه موفقاً في أعماله ومساعيه ، وكان ينتقل من ظفر الى ظفر وينشر العدل والامن في كل مكان ، ويكثر من بذل الخيرات والمعونات للرعايا والمحتاجين ويرفه عنهم » .

ومن جملة أعماله قيامه باصلاح الجسر الحجري على النهر المسمى

التون كوبري النهر الزاب الصغير

بالماء الذهبي الواقع ما بين الموصل وكركوك بعدما كاد ينقض ويحرم المارة من العبور عليه ، وقد أعانته الدوله العليه بدفع قسم من المبالغ التي صرفت عليه .

وعين لمحافظته وادامته حاكماً يسمى أمير الجسر ، وشيد حواليه دوراً للسكن ومأوى لابناء السبيل ، وكذلك رمم الجسر الكائن على النهر المسمى جمن مابين الموصل وكركوك أيضاً وكذلك قنطرة چوپين من ماله الخاص ، وشيد أيضاً مسناة على طريق نهر دجله في جانبي الجسر ببغداد ، وكانت هذه المسناة قديماً ضيقة ومائلة للانهدام وكان المرور عليها لا يخلو من خطورة .

وكان يجلس في كل باب من ابواب مدينة بغداد جماعة من الجوربه‌جيه (الجباة غير الرسميين) يستوفون من الماره غنيهم وفقيرهم بعض النقود كرسم مرور ومن لم يوجد لديهم نقود يأخذون شيئاً مما يحملون حتى وان كان بيضاً ولا يستثنون من هذه الضريبة حتى اصحاب الاكلاك فألغاها الوزير ومنعها كما ومنع الرسوم التي تؤخـذ من الذين يمرون بهؤلاء الجباة نحو جبل حمرين في شمالي بغداد ولم يكتف بهذا المنع بل صادر المبالغ التي استوفوها وقيدها واردات للخزينة .

وما عدا هـذه الاعمال الطيبة فانه شيد المساجد وعمرها وكذلك مراقـد الاوليـــاء العظام وخاصة مرقـد امير المؤمنين ويعسوب الدين أبي الحسنين الاحسنين علي الولي كرم الله وجهه وجدد الصندوق الموضوع على ضريحه الشريف ، وكذلك رمم الاواوين في صحني قرة العين حضرة الامام الحسين والامام موسى الكاظم رضى الله عنهما واعاد تجديد الخانات الكائنة في شرقي بغداد وغربيها وذلك لاراحة الزوار والمسافرين ، كما وشيد أيضاً خاناً ما بين النجف الاشرف وكربلا وعين له بعض الحراس

لمحافظته ، وجدد صدر الحسينيه ووسعه وسهل بذلك مرور نهر الفرات منه ، والحاصل فان هذا الوزير يعد من نعم الله وفيض رحمته على منطقة دار السلام التي احيا ربوعها وأعاد اليها بهجتها ونضارتها واراح رعاياها .

هذا ومن الوقائع الغريبه ان الغلاء والقحط قد أصاب الديار الايرانيه واضطر أكثر سكانها الى الهجره نحو العراق ولا سيما الفقراء وذوي الحرف وراحوا يمارسون أعمالهم في بغداد وفى البلاد العراقيه الاخرى وتحسنت أحوالهم وظهرت عليهم آثار النعمة وقد تشافى مرضاهم وفي هذه الظروف أخذ البغداديين يميلون الى تشييد العمارات والمساكن شرقاً وغرباً بكثرة ويشكرون الله على أنعامه والطافه .

تمردا اعراب الحويزة

كان الباعث لهذا التمرد انه في سنة ۱۱۳۰ قد القى القبض على شيخ القبيلة المذكوره الشيخ عبد العالي وجيء به مقيداً الى بغـداد واودع السجن بسبب تمرده وعصيانه ثم اعفته الحكومة واطلقت سراحه ولما وصل ديرته نقض العهد ثانية واتفق مع عشائر الحويزه وجاؤا الى المحل المسمى شيخ جديد قرب الجصان وراحوا يعيثون فساداً فى تلك الجهات ثم أخـذوا يشنون الغارات على السفن التجاريه التي ترد من البصره وينهبون حمولتها ثم يعودون الى امكنتهم في الحويزه .

ولما كان القضاء على هذه العصابات من الضروره بمكان فقد عزم الوالي على السفر نحوهم ، وبينما كان يستعد لهذه السفره اذ اصيب ببعض الانحراف واضطره الى ان ينيب عنه احد الكتخدائيه قائداً على

الحملة ويرسلها الى تلك الجهات . ولما دخل أرض الحويزه عسكر حول النهر المسمى نهر الكرخه ، فما كان من حاكم الحويزه عبد الله خان إلا وان يهب لمساعدة الحمله ومعاونتها بقوانه وذلك تلافياً لما كان قد بدر منه قبل ذلك باتفاقه مع عشيرة بنى لام التي التجأت اليه حينذاك .

وقد ندم على ما يظهر وجاء الآن معتذراً ويطلب العفو عما مضى وقدم للحمله ما تحتاجه من مؤونة تكفيها لبضعة ليال وأبدى استعداده لمرافقتها واقام جسراً عبرت منه الحملة وتقدمت نحو المتمردين وراحت تطاردهم حتى وصلت الى نهر كاهرون وهناك اصطدموا معهم وبعـد مناوشات بين الطرفين لبضعة ساعات كاد العدد يتغلب عليهم ولكن قائد الحملة اخـذته الحمية وثبت امام جنوده وهزم الاعراب واستولت الحملة على اموالهم وغنمت امتعتهم ودوابهم وتبدل ثباتهم الى تراجع وانخذال .

تم طبع الكتاب بعون الملك الوهاب في غرة شهر صفر الخير سنة ثلاث وأربعين ومائة والف على يد الفقير ابراهيم من افراد الدركاه العالي المأمور بعمل الطبع بدار الطباعة المعموره في البلدة الطيبـة القسطنطينية دامت عمارتها الى يوم القيامة .

فهرس المحتوى

مقدمة المترجم ٥

كلمة الناشر ١٠

مقدمة المؤلف ١٣

تفصيل احوال بني العباس وخلافة عبد الله السفاح والقراض دولة بني أمية وفرار بعضهم إلى الاندلس ١٦

خلافة أبي جعفر المنصور ومقتل أبي مسلم وتشييد بغداد ومارواه المؤرخون عن عظمتها ٢٢

خلافة محمد المهدي بن المنصور ٣٦

خلافة هارون الرشيد ووزارة خالد البرمكي وذكر حكومة الاغالبة في المغرب ٤٠

خلافة الأمين بن هارون الرشيد ٤٣

خلافة المأمون بن هارون الرشيد ٤٥

ظهور دولة آل طاهر ٥٢

خلافة محمد المعتصم بن هارون الرشيد ٥٣

خلافة الواثق بالله هارون بن المعتصم ٥٦

خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ٥٧

خلافة المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن المتوكل ٦٠

خلافة المستعين بالله احمد بن محمد المعتصم ٦١

خلافة المعتز بالله محمد وقيل الزبير بن المتوكل ٦٣
خلافة المهتدي بالله محمد بن الواثق ٦٦
خلافة المعتمد احمد بن جعفر المتوكل وظهور صاحب
الزنج وحكومة الصفارين وآل سامان ٦٧
خلافة المعتضد بالله احمد بن الموفق طلحة بن المتوكل
وظهور فرقة القرامطة ٧٢
خلافة المكتفي بالله على بن المعتضد ٧٦
خلافة المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن احمد المعتضد
وظهور الفاطميين وتجمد نهر دجلة ٧٨
خلافة القاهر بالله ابو منصور محمد بن المعتضد احمد
العباسي وظهور آل بويه ٨١
خلافة الراضي بالله أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر
العباسي ٨٨
خلافــة المتقي بالله أبو اسحاق ابراهيم بن المقتدر
العباسي ٩٠
خلافة المستكفي بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفي ٩٢
خلافة المطيع بالله ابو القاسم الفضل بن المقتدر ٩٣
خلافة الطائع بالله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع ٩٤
خلافة القادر بامر الله ابو العباس بن اسحاق بن
المقتدر بالله ٩٥
خلافة القائم بامر الله عبد الله بن احمد القادر بالله ٩٦
تفصيل احوال سلاطين السلاجقة ٩٩
ذكر اتابكية الموصل المعينين من قبل ملكشاه ١٠٣

بقية سلاطين السلاجقة	١٠٥
خلافة المقتدي بالله عبد الله بن احمد بن القائم	١١٠
خلافة المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدي	١١٢
خلافة المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن المستظهر	١١٣
خلافة الراشد بالله ابو جعفر المنصور بن المسترشد	١١٥
خلافة المقتفي لاوامر الله ابو عبد الله بن المستظهر	١١٦
خلافة المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن محمد المقتفي	١١٧
خلافة المستضيء بنور الله الحسن بن المستنجد وظهور صلاح الدين الايوبي	١١٨
خلافة الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن الحسن المستضيء العباسي	١٢١
خلافـــة الظاهر بامر الله ابو النصر محمد بن الناصر لدين الله	١٢٤
خلافة المستنصر بالله منصور بن محمد الظاهر	١٢٥
خلافة المستعصم بالله ابو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله وسقوط بغداد بايدي هولاكو	١٢٧
تفاصيل وقعة بغداد	١٣٥
حكومة آل هولاكو وجنكيز في بغداد	١٥٢
حكومة بايدوخان بن طرخان بن هولاكو	١٥٥
حكومة الايلخانيين في بغداد	١٦٣
مجيء تيمور إلى بغداد واحتلاله لها	١٦٧
حكومة قره يوسف الشهير بقره قويونلي	١٧٢
حكومة الامير اسكندر بن قره يوسف	١٧٣

حكومة مرزا جهان شاه بن قره يوسف ١٧٤
حكومة پير بوداغ ١٧٥
سلطنة آق قويونلي ١٧٦
ظهور الشاه اسماعيل بن حيدر ١٧٩
حكومة ذي الفقار ١٨٦
مجيء السلطان سليمان خـان إلى بغداد وذكر نسب آل عثمان ١٨٨
سفر السلطان عثمان للجهاد ٢١٣
جلوس السلطان مراد خان الرابع ٢١٤
مجيء حافظ احمد باشا إلى بغداد ٢١٥
أرسال مفاتيح بغداد إلى الشاه الايراني ٢١٧
مجيء الشاه عباس إلى بغداد ٢١٨
حكومة صفي قلي خان ومجيء الوزير حافظ احمد باشا ٢٢٢
مجيء خسرو باشا إلى بغداد ٢٢٤
مجيء السلطان مراد خان الغازي إلى بغداد واستردادها ٢٣٠
١ توجيه حاكمية بغداد إلى حسن باشا ٢٣٤
٢ حكومة الوزير الدرويش محمد باشا ٢٣٥
٣ حكومة حسن باشا للمرة الثانية ٢٣٨
٤ حكومة الوزير دلي حسين باشا ٢٣٩
٥ حكومة الوزير محمد باشا ٢٣٩
٦ حكومة الوزير موسى باشا ٢٤٠
٧ حكومة الوزير ابراهيم باشا ٢٤١
٨ حكومة الوزير موسى باشا السمين ٢٤٢

٩ حكومة الوزير ملك أحمد باشا ٢٤٣
١٠ حكومة الوزير ارسلان باشا نغاي زاده ٢٤٥
١١ حكومة الوزير حسين باشا ٢٤٥
١٢ حكومة الوزير قره مصطفى باشا ٢٤٦
١٣ حكومة الوزير مرتضى باشا ٢٤٧
١٤ حكومة الوزير آق محمد باشا ٢٥٠
١٥ حكومة الوزير الخاصكي محمد باشا ٢٥١
١٦ حكومة الوزير مرتضى باشا للمرة الثانية ٢٥٧
١٧ حكومة الوزير مصطفى باشا الاحدب ٢٦٠
١٨ حكومة الوزير مصطفى باشا بايمبوغ ٢٦٢
١٩ حكومة الوزير قره مصطفى باشا ٢٦٣
٢٠ حكومة الوزير ابراهيم باشا الطويل ٢٦٤
٢١ حكومة الوزير قره مصطفى باشا ٢٦٩
٢٢ حكومة الوزير حسين باشا ٢٧٦
٢٣ حكومة الوزير عبد الرحمن باشا ٢٧٩
٢٤ حكومة الوزير قبلان مصطفى باشا ٢٨٠
٢٥ حكومة الوزير عمر باشا ٢٨٢
٢٦ حكومة الوزير ابراهيم باشا ٢٨٤
٢٧ حكومة الوزير عمر باشا للمرة الثانية ٢٨٥
٢٨ حكومة الوزير الكتخدا أحمد باشا ٢٨٦
٢٩ حكومة الوزير عمر باشا للمرة الثالثة ٢٨٧
٣٠ حكومة حسن باشا ٢٩٥
٣١ حكومة الوزير أحمد باشا البزركان ٢٩٩

حكومة الوزير احمد باشا	٣٠١
حكومة الوزير علي باشا	٣٠١
حكومة الوزير اسماعيل باشا	٣٠٣
حكومة الوزير مصطفى باشا الطبان	٣٠٤
حوادث نهر ذياب	٣٠٨
حكومة الوزير يوسف باشا	٣١٤
جلوس السلطان أحمد خان	٣١٦
حكومة الوزير علي باشا	٣١٦
حكومة الوزير حسن باشا	٣١٧
تمرد اعراب الحويزة	٣٣٢

فهرس الامكنة

(حرف الالف)

الاستانة ٥ ، ٦ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦

الاندلس ٢٠

الاهواز ٦٧ ، ٤٤ ، ٨٦

أذربايجان ١٥٦ ، ١٩٣ ، ٢٠١

اخلاط ٥٨ ، ١٨٩

أشناس ٧٠

الاسماعيلية ٧٤

انطاكية ٨٠ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١٢٠

اصفهان ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٥

اسكونه ١٢٣

اسد آباد ١٥٣

اسطخر ١٧٨

أردبيل ١٧٨

انقرة ١٩٣

آق شهر ١٩٤

أدرنـــه ١٩٤

اردلان ٢٢٥

الاحساء ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

(حرف الباء)

بغداد ٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣١٧

بوصير ١٨

البصرة ٢٣ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٦٩ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، ٢٧٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ،

بسطام ٥٨

بخارى ٧١

بعلبك ٧٧

بيت المقدس ٨٠ ، ١١٢ ، ١٢٠

بيروت ١٢٠

بعقوبة ١٥٠
بهرز ٢٢٣ ، ٢٨٧

(حرف التاء)

تبريز ١٥٨ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ .
تكريت ٢٤١

(حرف الجيم)

جرجان ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٨٤
جزيرة ١٠٤
جالديران ١٨٥

(حرف الحاء)

الحميمة ١١ ، ١٦
حمام أعين ١٧
حلوان ٤٤ ، ١٢٢
حما ٧٧ ، ١٠٣
حديثة ٩٨
الحويزة ٢٨٣
حمص ١٠٣
حلب ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٤
الحله ١١٣ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠

(حرف الخاء)

خراسان ١١ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ١٢٣ ، ١٦١
خاموشان ١٧
خوزستان ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١١٥
خانقين ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨

(حرف الدال)

ديار بكر ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٨ ، ١٧٩ ، ٢١١ ٢٦٤ ، ٢١٥،
٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ،
دمشق ١٠٣ ، ١٦١
دامغان ١٠٩
دمياط ١٢٠
در كزين ١٨٥ ، ٢٢٥

(حرف الراء)

الري ٣٧ ، ٤٢ ، ٩٨ ، ١٥٧
الرماحية ٢٦٥ ، ٢٧٠
الرقـــة ٧٦ ، ٩١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩
الرملة ٨٠ ، ١٢٠
الرها ١٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨
روان ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣

(حرف السين)

سامراء ٢٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧١ ، ١٦٩ .

سجستان ٥٣ ، ٦٨ ، ٦٩

سرخس ٤٧

سمرقند ٧٠ ، ١٠٢

سجلماسه ٧٩

سنجار ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٥

(حرف الشين)

شهرزور ١٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٩٦

شيراز ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧

شيروان ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ٢٢٣

شهربان ١٩٩

الشنافية ٢٧٠

(حرف الصاد)

صفوريه ١٢٠

صيدا ١٢٠

(حرف الطاء)

طليطلة ٢١

طوس ٢٦ ، ٥٠

طبرستان ٥٣ ، ٦١ ، ٨٤

طبرية ٧٧ ، ١٢٠

طونه ٢٦١

(حرف العين)

عمورية ٥٥

عسقلان ٨٠ ، ١٢٠

العرجه ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤

عانـــه ٩٨

عكـا ١٢٠

(حرف الغين)

الغوطه ٢٢

غـــزه ١٢٠

(حرف الفاء)

فدك ٤٩

فارس ٦٨

فزعانة ٧٠

(حرف القاف)

قرطبة ٢٠

القيروان ٥٨

القرنـــة ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧

(حرف الكاف)

الكوفة ١٧ ، ١٩ ، ٣٢ ، ٧٥ ، ٩٨

كربلاء ١٩ ، ٦٠ ، ٨٤ ، ١٤٤ ، ١٥٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٣٠٣

كرمان ٦٨ ، ٨٣ ، ٨٦

كيلان ٨٢ ، ١٢٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤

كاشغر ١٢٣

كركوك ٢١٦

كريد (جزيرة) ٢٦٠

(حرف اللام)

اللاذقية ١٠٢

لاهيجان ١٨١

(حرف الميم)

مرو ١٧ ، ١٨٩

مصر ١٨ ، ٢١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩١ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ،
١٥٨ ، ١٦١ ، ١٩٧
مكة المكرمة ٢٦ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٢٦٥
الميمونة ٢٨
ماردين ٢٢٩
المنصورية ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧١
الموصــل ٦٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ ،
١٦٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ،
٢٥٢ ، ٢٦٩
مازندران ٦٨ ، ١٢٣
المدائن ٤٤
المدينة المنورة ٤٦ ، ١٠٤ ، ١٦١
ميافارقين ١٠٥
المعره ١١٢
المنتفق ٢٧٦
مراغـه ١١٤
مرند ١٨٥
مغنيسيا ١٩٥ ، ٢٠٨ . ٢١٠

(حرف النون)

نصيبين ٢٢
نيسابور ٥٣ ، ٨٤ ، ٩٩
النجف الاشرف ٨٤ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٠ ، ٣٠١

الناصرة ١٢٠
نابلس ١٢٠
نخجوان ٢٨١، ٢٠٦
نهاوند ٢١٠ ، ٢٢٦

(حرف الواو)

واسط ١٧ ، ٦٨ ، ٤٤ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ٢٠٣ ،
وان ٢٠٢

(حرف الهاء)

الهاشمية ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦
هرمز ٦٧
هرات ٧٠
هجر ٧٥
همدان ٨٦ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ٢٢٥
هيت ٢٥٢

فهرس الاعلام

(حرف الألف)

أبو مسلم عبد الرحمن ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

أتا تورك كمال ٩

أبو العباس السفاح ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢

أبو جعفر المنصور ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦

الامام جعفر الصادق ٢٨ ، ٤٧

الامام محمد ٢٦

الامام ابراهيم ٢٦

الامام الاعظم ٢٨

الامام الكلبي ٢٩

الامام الاوزاعي ٢٩

أبو عبد الله محمد المهدي ٢٩

أبو يوسف ٤٠ ، ٤١

الامين محمد ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٢

أبو نواس ٤٥

ام الفضل بنت سعد ٤٦

الامام احمد بن حنبل ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٠

أبو سليمان الداراني ٥٢
الاصمعي ٥٢
الامام الحسين ٥٧ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٧٠
أبو سعيد بهادر خان ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧
أبو الحسن سمجور ٧٢
أيل خان ملك الترك ٧٢
الاباضية ٧٤
ابو طاهر ٧٥
الاسود كافور ٨٢
أبو طاهر فيروز خسرو شاه ٨٦
أبو منصور العماد لدين الله ٨٧
أبو جعفر محمد بن حمير ٩٣
أبو نصر الفارابي ٩٤
أبو الطيب المتنبي ٩٤
أبو الفرج الاصفهاني ٩٤
أبو الحسن المعلم ٩٥
ألب أرسلان ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١
أفرسياب ٩٩
أسرائيل ٩٩ ، ١٠٠
أقسنقر ١٠٣
أيبك عز الدين ١٢١
أبو طالب مؤيد الدين محمد بن عبد الملك العلقمي ١٣٧ ، ١٣٨

١٣٩ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥١
أختر خان ١٤٦
الايلخاني حسن الشيخ ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٦٤
أرباخان ١٦٢
الأوزبكي شيبك خان ١٧٠ ، ١٧١
آل بحاويش محمد باشا ٢٤٢

« حرف الباء »

بن علي محمد ١٦
بن سيار نصر ١٧
بن هبيرة يزيد ١٧ ، ٢٨
بن عبد العزيز عمر ١٩ ، ١٢٤
بن طباطبا محمد بن علي ١٩
بن هشام سليمان ١٩
بن معاوية عبد الرحمن ٢٠
بن الحكم سليمان ٢١
بن حمود العلوي علي ٢١
بن علي عبد الله ٢٢ ، ٢٣
ابن زائده معن ٢٤
ابن يقطين علي ٢٥
البرمكي خالد ٢٦ ، ٣٩ ، ٢٨ ، ٤٠
بن ارطاة الحجاج ٢٦
بن الجوزي ٢٦ ، ٧٣ ، ١٤٠

بن عبد الله ابراهيم ٢٨
بن يونس ربيع ٢٨
بن المنصور المهدي ٢٨ ، ٣٦
بن هرقل قسطنطين ٣٠
بن السبعين ٣٣
بن محمد بن علي ابراهيم ١٦ ، ١٧
بن سهل الحسن ٣٤ ، ٤٧
بن طهمان ابو عبد الله ٣٦ ، ٣٧
بن الحجاج العتكي شعبة ٣٧
بن شعبه سفيان ٣٧
بن أدهم ابراهيم ٣٧
بن نصير داود الكافي ٣٧
بكر المفسر ٣٧
بن زيد أبو الحسن ٣٨
بن المقفع عبد الله ٣٨
بن اعين هرثمة ٣٩
البرمكي يحيى ٤٠ ، ٤٢
بن أبي حفصه مروان ٤٠
بن محمد الاحنف العباس ٤٠
بن الربيع الفضل ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣
بن عبد الله بن الحسن يحيى ٤٠ ، ٤٢
بن انس مالك ٤١
بن المبارك عبد الله ٤١

بن هارون الرشيد القاسم ٤١ ، ٤٣
بن وصيف صالح ٦٥
بن هارون الرشيد الأمين ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٢
البرمكي جعفر ٤١ ، ٤٢
البرمكى الفضل بن يحيى ٤٢
بن أبي حنيفة حماد ٤٢
بن أغلب ابراهيم وأولاده ٤٣
بن ماهان بن علي عيسى ٤٤
بن ماهان حسين بن عيسى ٤٤
بن كثير المقري عبد الله ٤٥
بن ابراهيم محمد العلوي ٤٥
بن الحسين طاهر ٤٤ ، ٥٢
بن سهل الفضل ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
بن موسى العلوي ابراهيم ٤٥
بن سهل الحسن ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨
بن موسى الكاظم علي الرضا ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢
بن المهدي ابراهيم ٤٧
بن أدريس محمد الشافعي ٤٧ ، ١٢٠
بنت الحسن بوران ٤٧
بن عبد العزيز عمر ٤٩
بن الشحنة ٤٩
بنت السلطان سليمان اختر ٥٠
بن نوح محمد ٥٠

بن زياد الحسن ٥٢
بن طاهر الحسين بن مصعب الخزاعي ٥٢
بن طاهر محمد ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٤
بن زيد الحسن ٥٣ ، ٦١
بن الرشيد يعقوب الصفار ٥٣
بن هارون الرشيد محمد المعتصم ٥٣ ، ٦١
بن أبي داود أحمد ٥٤ ، ٥٦
بن حنبل احمد ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٠
بن المأمون العباس ٥٤
بن سيناط سهل ٥٥
بن نصر الخزاعي احمد ٥٦
بن محمد الازدي عبد الله ٥٦
بن عبد الملك محمد الزيات ٥٨
بن خاقان الفتح ٥٩
بن اكثم يحيى القاضي ٦٠
بن سهل محمد ٦٠
بن الخطيب احمد الوزير ٦١
بن زيد محمد ٦١ ، ٩٣
بن الواثق محمد ٦٣
بن اسرائيل محمد ٦٤ ، ٦٥
بن طولون احمد ٦٤
بن عبد الله المثنى ابراهيم ٢٨
بن الحسين طاهر ٤٤

بن الحسين طلحة ٥٢
بن طلحة علي ٥٢
بن طاهر عبد الله ٥٣
باغر ٥٩ ، ٦٢
بن المنتصر عبد الوهاب ٦١
بغا ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥
بن بغا محمد ٦٥
بن نصر درهم بن رافع ٦٨
بن زيد الباقري حسين ٦٨
بن ليث عمرو ٦٨ ، ٧١
بايزيد البسطامي ٧٠
بن سامان أحمد بن أسد ٧٠
بن احمد نصر ٧٠ ، ٧١
بن نوح منصور ٧١
بن قرمط احمد ٧٣
بن العمري العباس ٧٣
الباطنيون ٧٤
بن اسماعيل محمد ٧٤
بن ميمون عبد الله ٧٤
بن ذكرويه يحيي ٧٧
بن سليمان محمد ٧٧
بن طولون احمد ٧٧
بن داود بن الجراح محمد ٧٨

بن المعتز عبد الله ٧٨
بن خاقان محمد ٧٨
بن حمدان عبد الله ٧٨
بن منصور حسين الحلاج ٧٨
بن حامد الوزير ٧٨
بن الحسين مهدى عبد الله الفاطمي ٧٩
بن عبد الله محمد القائم بامر الله ٨٠
بن مؤنس عباس ٨١
بن طفج الاخشيد ٨١
بن بويه احمد ٨٣ ، ٩٢
بن الياس علي ٨٣
البختياري عز الدولة ٨٤
بن عباد الصاحب ٨٤
بن النحوي أبو علي الاصفهاني ٨٥
بن مقلة ٨٨
البريدي عبد الله ٩٠
بن حمدان ناصر الدولة ٩٠
بن رائق والي الشام ٩٠ ، ٩١
بنو أسد ٩٧
بنو كلاب ٩٧
بن اسرائيل قتلمش ٩٧
بن بدوان قريش ٩٧

بن ميكائيل طغرل بك ١٠٠
بن عماد الدين زنكي ١٠٤
بن زنكي قطب الدين مودود ١٠٤
بن ملكشاه بركيارق ١٠٥
بن ملكشاه محمد ١٠٥
بن ملكشاه سنجر ١٠٦
بن ملكشاه محمود ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٧
بن محمود طغرل بن ملكشاه ١٠٧
بن طغرل أرسلان ١٠٨
بنت ملكشاه مه ملك ١١٠
بن عيسى المنجم علي ١١٢
بن ملكشاه داود ١١٤ ، ١١٥
بن حسن بن طاووس مجد الدين ١٤٥
بن المطهر سديد الدين يوسف ١٤٥
بن المعز شمس الدين محمد ١٤٥
بهادر علي ١٥٠
بن عمران ١٥٠ ، ١٥٢
بن هولاكو أباقا خان ١٥٣
بن هولاكو أحمد ١٥٤ ، ١٥٥
بن أباقا خان أرغون ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
بن أباقا كيخاتوخان ١٥٦
بن طرقاى بن هولاكو بايدوخان ١٥٦
بن أرغون غازان ١٥٧

بغداد خاتون ١٦٠ ، ١٦٢
بن ايلخان بن جلائر آق بقا ١٦٣
بن قره يوسف اسكندر ١٧٣
بن شاه رخ باى سنقر ١٧٤
بن شاه اسماعيل طهماس ١٨٤
بن طغرل عثمان الغازي ١٩٠
بن خصا حسن راشد ١٩٩
بن راشد مانع ١٩٩
البغدادي فضولي ٢٠٠ ، ٢٠٧
بن احمد الطويل محمد ٢١١
بن محمد قنبر عبدالله ٢١٣ ، ٢٢٠
بكتاش خان ٢٢٨ ، ٢٣٣
بن سيد خان ٢٦٠
بن حسين افراسياب ٢٦٨ ، ٢٦٩
بنو لام ٢٨٣ ، ٣١٩
بن عباس سلمان الخزعلي ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٥

(حرف التاء)

التقي محمد الجواد ٤٦ ، ٥٤
التركي وصيف ٦٢ ، ٦٤
التركى مفلح ٦٧
الترمذي علاء الملك ١٢٢
تاج الدين محمد بن نصر ١٣٨

تيمور ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩٣

(حرف الجيم)

جامع السير ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٦٠ ، ١٨٣
الجارية قبيحة ٥٩ ، ٦٥
الجواد محمد التقي ٥٤ ، ٢٠٠
الجنابي أبو سعيد ٧٣ ، ٧٥
جنكيز خان ١٢٣ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٤
الجارية عرفة ١٤٥
جواهر الاخبار ١٥٢
جوبان أمير الامراء ١٦٠
الجركس برقوف ١٦٦
الجلائري أحمد ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢
جلال الدين ميران شاه آل تيمور ١٧٠
جنيد جد اسماعيل شاه ١٧٧ ، ١٧٩
جغان زاده سنان ٢٠٩
جغال زاده حسن أغا ٢٣٢

(حرف الحاء)

حسن باشا ١٢
الأحيم حاتم شيخ ٦٠
حناني زاده ٢٧

حسين باشا مير ميران البصرة ٢٤٨
حسين عباس امير الموالي ٣٠٢

(حرف الخاء)

الخيزران ٢٨ ، ٣٨ ، ٣٩
خميس مؤرخ ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠
الخطيب البغدادي ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥
الخادم مؤنس ٧٩
الخوارزمي يوسف ١٠١
خوارزم شاه ١٠٧ ، ١٢٢
خورشيد مؤرخ ١٥٥
الخواجه مرجان ١٦٥
خدا بنده محمد ٢٠٩
الخاصكي مراد أغا ٢٤١
الخاصكي حسين أغا ٢٥١
الخاصكي محمد باشا ٢٥١

(حرف الدال)

الديري هبة الدين محمد ٢٩ ، ٣٥
الديلمي بويه ٨٢
دلشاد خاتون ١٦٢

« حرف الذال »

الذهبي ٧٣
ذو الفقار ١٩٨

(حرف الراء)

الرشيد هارون ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٤
روضة الابرار ٣٨
الرضا علي ٥٢
الراونديه ٧٤
الرحيم الملك البويهي ٩٧

« حرف الزاء »

زفر ٢٩
زبيده ٤٠ ، ٤٩
زنكي عماد الدين ١٠٣ ، ١١٥
زنكي أتابك ١١٥
زينل خان ٢٢٥

(حرف السين)

سركيس يعقوب ٥ ، ٦
السلطان مراد ١٢ ، ١٥
الساحر المقنع ٣٧

سيبويه ٤٢
الساماني اسماعيل ٦١ ، ٦٨
السفاح عبدالله ١٨ ، ١٩
السبعية ٧٤
السعيديه ٧٤
سامان ملك ٨٣
سيده خاتون ٨٥
السلطان الغزنوى محمود ٨٦
السلجوقي طغرل ٨٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ١٠٠ ، ١٨٩
سيف الدولة ٩١
السلطان محمود السبكتكين ٩٦
السلاجقة ٩٩
السلجوقي محمود ١٠٣
السلجوقي ملكشاه ١١٠
السلطان مسعود ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
السهروردي شهاب الدين ١٢٢ ، ١٢٥ ، ٢٧٧
السلطان سليم خان ١٣٤ ، ١٨٥
سعد الدولة الطبيب اليهودي ١٥٦
السلطان أويس بهادر الجلائري ١٦٤
سلطان الروم بايزيد خان ١٦٩ ، ١٧٨
السلطانه زبيده ١٧١
السلطان حسن الطويل الآق قويونلى ١٧٥

سولاف زاده مؤرخ ١٨٨
السلجوقي علاء الدين ١٨٩

(حرف الشين)

الشاعر سديف ١٩
الشيباني محمد بن الحسن ٤٢
شيرويه ٦٠
شيرزاد ٩٢
الشبلي الشيخ ٩٤
الشاه سليمان ١٠٨
شرف الدين علي زبدي ١١٣
شجرة الدر ١٢١
الشيخ محمود ١٣٤
شمس الدين الخواجه محمد بن صاحب الديوان ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥
الشاه اسماعيل بن حيدر ١٥٣ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢
١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٠
٢٠٨ ، ٢٠٩
الشيرازي حافظ ١٧١
الشيخ صفي الأردبيلي ١٧٩
الشاه طهماس ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ١٩٨
الشاة عباس مرزا ٢٠٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨
الشاه صفي مرزا ٢٢٤ ، ٢٣٨
شيخ الخزاعل سليمان ٣٢٦

شيخ المنتفق مانع ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦
شيخ المنتفك رضا حسن بن مانع ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦
الشيخ ناصر شيخ المنتفق ٢٢٦

(حرف الصاد)

صفوي عباس ٥
الصفار ليث بن يعقوب ٦٧
صاحب الزنج علي ٦٨ ، ٦٩
صاحب الشامه حسين ٧٧
الصباح حسن ١٠١ ، ١١٢ ، ١٣٨
صلاح الدين بن يوسف ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٠
الصوباشي بكر ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
صفي قلي خان ٢٢٨
صولاق حسين ٢٦٦

(حرف الطاء)

طوران التركي ٩٠ ، ٩١
الطوسي نظام الدين ١٠٠
الطوسي نصير الدين ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٨
الطويل حسن ١٧٧
الطيار محمد باشا ٢٣١
الطيار احمد باشا ٢٤٢

(حرف العين)

عز الدين يوسف الدكتور ٦

عمر باشا ١٤

العباسه ٤١ ، ٤٢

العلوي يحيى ٦١

العلوي الداعي إلى الحق ٦١

عبد الملك ١٨

العطار ظهير الدين ١١٩

العسكري الحسن ٧٠

عبد المعز جوهر ٨٠

عماد الدولة علي البويهي ٨٢

العلوي المستنصر ٩٧ ، ٩٨

العقيليون ٩٧

العجلي مهاوش ٩٨

عز الدين مسعود ١٠٥

علاء الدين نكش ١٢٣

العجمي علاء الدين ١٤٦

علاء الدولة شيخ ١٦١

علي شاه والي بغداد ١٦٢

العزاوي عباس ٢٣٦

علي باشا والي البصرة نجل حسين بك ٢٤٠

عبدي أغا ٢٦٢

(حرف الغين)

الغازي السلطان مراد ١٥
غزنين ٧١
الغزنوي محمود ٩٩
الغزنوي مسعود ١٠٠
غياث الدين ملك ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٠
غراب زاده محمود افندي ٢٨٨

(حرف الفاء)

الفاطميون ٤٣
فساسير السلجوقي ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨
فتح الدين ١٣٠
فرج الله حاكم الجويزة ٣٠٤

(حرف القاف)

قحطبة ١٧
قوام الدين شيخ ٣٥
القزويني حمد الله ٣٩
قصة الدراويش الثلاثة ٥١
القرامطة ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٩٠
قطر الندى ٧٦

القائم بامر الله ١٠٠
قزل ارسلان ١٠٩
قطب الدين قيماز ١١٩
قره يوسف التركماني ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
قزل باش ١٨٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤
قانصو غوري ١٩٦

(حرف الكاف)

الكاظم موسى ٤١ ، ٥٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٠
الكسائي ٤٢
الكرخي معروف ٤٥ ، ٢٨٠
كوثر خادم الامين ٤٤
كورتكين ٩٠
كزيده مؤرخ ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٥٥
الكيلاني الشيخ عبد القادر ١١٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ٢٤٥ ، ٢٦٣
٢٧٨
كمونه محمد ١٩٩
الكويريلي محمد باشا ٢٥٥
الكويريلي فاضل احمد باشا ٢٧٤ ، ٢٨٩
الكويريلي مصطفى باشا ٢٩٤
الكويريلي جعفر باشا ٢٩٥

(حرف اللام)

اللاري مصلح الدين ٢٦ ، ١٢٨

لؤلؤ بدر الدين ١٠٥

(حرف الميم)

محمد بن علي ١١ ، ١٦

مروان ١٧ ، ١٨ ، ٢٢

الموصلي اسحاق ٦٠

منذر ٢١

المؤيد هشام ٢١

مقلاص ٢٥

المهدي محمد أبو عبد الله ٢٦ ، ٣٧ ، ٣٩

المأمـــون ٢٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢

المعتصم ٢٦

المتوكل ٢٦

المستضيء ٢٦

المرزبان ٢٨

المقري أبو عمرو ٢٩

المعتضد بالله ٣٤

المعلى ابراهيم ٤٠

المقري وروش ٤٥

الجرمي بابك ٥٥
الامام المرتضى علي ٥٧ ، ٩٥ ، ١٤٥ ، ٢٠١ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥
المسعودي ٥٩
المصري ذو النون ٦٠
المازني أبو عثمان ٦٠
الموصلي اسحاق ٦٠
الامامان محمد وابراهيم أبنا الحسن المثنى ٢٦
الامام علي الهادى العسكري ٦٦
المعتز ٦٥ ، ٦٦
المهتدي ٦٦
الامام محمد المهدي بن الحسن ٧٠
المباركيـــة ٧٤
المبرقعية ٧٤
مبارك عبد ٧٤
مؤنس خادم الخليفة ٧٨
المنصور بالله اسماعيل ٨٠
المعز لدين الله معد ٨٠
المقتدى ٩٩
ميكائيل ٩٩
الملك الصالح ١٠٤ ، ١٣٣ ، ١٦٦
الملك العزيز ١٢٠
الملك العادل ١٢٠
الملك الأشرف ١٢١ ، ١٣٣

المنجم حسام الدين ١٣١
الملك الظاهر بيبرس ١٣٣
مجد الملك ١٥٤
مجاهد الدين ١٣٠
الملك الناصر المصرى ١٥٧
موسى خان ١٦٢
معين الدين شاه رخ آل تيمور ١٧٠
معز الدين آل تيمور ١٧٠
المولوى يحيى دده شيخ الدراويش ٢٨٥
المير سليمان ٢٩٦
المير حسن ٢٩٦

(حرف النون)

نظمي زاده مرتضى ٥ ، ١١ ، ١٥
الناصر لدين الله ٢١
نقفور ٤٢
النحوى هشام ٥٢
نفيسه الست ٥٢
النويرى ٨٢
نظام الملك ٧٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٢٢
ناصر الدولة ٩١
نور الدين محمود ١٠٣ ، ١٠٤
نور الدين أرسلان ١٠٥

(حرف الواو)

الواثق ٢٦ ، ٥٦
وكيع ٤٥
الواقدى ٥٠ ، ٥٢
وصيف ٦٢ ، ٦٣
الوصاف الشيخ أبو علي المؤرخ ١٥٨
الواعظ محمد افندى ٢٦٨

(حرف الهاء)

هشام ٢١
الهادى ٢٦ ، ٣٩
هرقل ٤٢
هرثمة ٤٥
هبة الله الديرى ٣٤ ، ٣٥
هولاكـــو ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣

(حرف الياء)

اليزدى مجد الملك ١٥٣

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	١٤	صارمى	صارى
١٥	٢	يتعاورن	يتعاورون
١٥	١٢	من ساعد	عن ساعد
١٨	١٣	دار	دابر
٢٩	١٥	في سفراء	من سفراء
٣١	٧	شهراً	شهر
٣١	٧	وفرقا	وغرقا
٣٤	٨	مجيط	محيط
٣٤	١٢	رحمه	رممه
٣٦	٧	ويستقيبهم	ويسقيهم
٤٢	٢١	والبلة	والليلة
٤٢	٢١	مع	على
٤٣	٧	للبلدة	البلدة
٤٨	١٤	يظر	يظهر
٦٣	١٩	المعتوكل	المتوكل
٦٨	١٥	انكر	انكسر
٧١	٦	ارست	ارسلت
٩٧	٩	جميع	جمع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٧	١٤	وتعاون	وتصاول
١١٢	١٩	حلوة	جلوة
١١٥	٢١	ائتلف	اتفق
١١٨	٣	اختبرتني	اخبرتني
١٢٤	٨	بدايته	بدانيه
١٣٠	١٩	المعتصم	المستعصم
١٣١	١٠	السلام	دار السلام
١٣٦	٣	مضفوفة	مصفوفة
١٣٦	٥	المدائق	المدائن
١٣٨	٥	الامام	الانام
١٤٠	٦	لكن	لكي
١٤٨	١٠	يعتثل	يمتثل
١٥٠	١	هدوا	هدموا
١٥٠	١٥	فوراً	غوراً
١٥١	٢٠	يدذون	يذمون
١٥٧	٣	يقوله	يقر له
١٥٧	٩	من قبله	في قلبه
١٦٩	١٠	ارسله	ارسل
١٦٩	١٠	رسل	رسلا
١٧٩	٢٠	فأوس	فأوجس
١٨٧	١٥	أخرى	أغرى
٢٠٢	٣	في هاد	فرهاد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٣	١	موفوراً	موفداً
٢٠١	٨	الكرام	الكرار
٢٠١	١٣	العالم	العالى
٢٠٤	١١	امضوا	امعنوا
٢٠٦	٢	كان	كاف
٢٢٣	٢١	يمنع	ليمنع
٢٢٥	٥	بخمسة واربعين مقاتل	بخمسة واربعين الف مقاتل
٢٢٥	٦	حاكم ارلادن بالتهيوء	حاكم اردلان احمد خان بالتهيوء
٢٣٩	١٢	الى التاسع من السنة	الى التاسع من شهر رجب من السنة
٢٤٣	١٨	بالحكم	بالحلم
٢٤٦	٢	لقيه	نقية
٢٥٣	١١	مرسولاً	مرسلاً
٢٥٧	١	في خبراته	من خبراتة
٢٥٨	١٢	بعضها باقراه	بعضها بحوالات رهنية وبعضها باقراض
٢٥٩	٥	ازياد	لزيادة
٢٦٦	٥	لمنفعتها	لمناعتها
٢٦٧	١٥	عدداً	مدداً
٢٦٩	١	وقد سبق ان حسين	وقد سبق ان ذكرنا
٢٦٩	٩	الدولة العلية واندفع	وانتفـــع من الغرور وركب راسه واندفع
٢٦٩	١٩	موسى باشا ليكونوا	موسى باشا ورلادر باشا ليكونوا
٢٧٥	٤	وقد سبق ان دفتر دار	وقد سبق ان ذكرنا ان

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٥٨ لسنة ١٩٧١

٣٧ - ١٠٠٠ - ٢٥ / ١٢ / ١٩٧١

مطبعة الآداب - النجف الأشرف

الثمن ٦٠٠ فلساً